دراسات منهجية

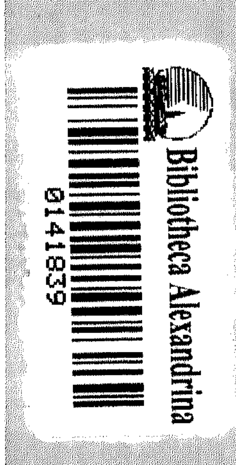
في

علم البديع

دكتور الشحات محمد أبو ستيت

أستاذ البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية ـــ جامعة الأزهر



الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ ـــ ١٩٩٤ م

دراسات منهجية

في

علم البديع

دكتور الشحات محمد أبو ستيت

أستاذ النقد والبلاغة

كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر

الطبعة الأولى ١٩٩٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصــلاة والســـلام على خاتم النبيين والمرسلين ، سيدنا محمد النبى العربى الأمين ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين •

أما بعـــــد •••

فقد صنف المتأخرون البلاغة فى ثلاثة علوم : المعانى والبيـــان والبديع ، وجعلوا علم البديع مختصا بوجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ، وبهذا أنزلوه منزلة دانية بعد علمى المعانى والبيان ، ووضعوه فى ذيل البلاغة ، وحكموا على مباحثه بأنها محسنات عرضية لا ذاتيـــة ، وحلى للتزيين والتجميل ، لا دخل لهـــا فى بلاغـــة الاسلوب ، ولا تتوقف عليها مطابقته لمقتضيات الأحوال •

وقد صادف هذا الحكم رواجا لدى أصحاب الشروح والحواشى والتقريرات ، وشايعهم بعض الدارسين والباحثين ، وتمخض ذلك عن انصراف الهمم عن تحصيل مباحث هذا العلم وتوقف الأذهان عن بحث أسراره ، وسبر أغواره ، فخلت معظم الكتب البلاغيـــة الحديثـــة من مباحثه ، واقتصر بعضها على عرض الذائع من ألوانه عرض الزاهدين •

وفى هذا غمط لمكانة هذا العلم وحط لقدره وشأنه ، وهو الذى احتل المنزلة العالية لدى السابقين ، وكثيرا ما أطلقوا اسمه على الفنـــــون البلاغية كلها ، بل ان الدراسات المنهجية فى البلاغة العربية بدأت بدراسة فنون البديع وألوانه على يد « ابن المعتز » فى كتابه « البديع » •

ومن تتبعى لفنون البديع فى مصادرها المختلفة رأيت أن هذه الفنون قد كثرت وتشعبت وتعددت أسماؤها وتداخلت صورها واختلط بعضها ببعض حتى غدا حصرها واستيعابها أمرا صعبا يحتاج الى جهد شاق ، لذا ينبغى أن تضم فى أبواب أو فصول يتضمن كل واحد منها مجموعة من الفنون البديعية التى تشترك فى عرض عام ترمى اليه،فيتم من خلال ذلك حصر فنون البديع فى نطاق محدد ييسر درسها ، ويعين على نقدها وتقييمها ، العناية بما له قيمة فى العمل الادبى وطرح ما لا جدوى من ورائـــــه •

ومن هنا كان هذا الكتاب « دراسات منهجية فى علم البديع » الذى التزمت فيه منهجا يسهم فى النهوض بهذا العلم ويجلى مكانته الرفيعة بين علوم البلاغة ، وبنيته على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمـــة •

ففى التمهيد تحدثت عن نشأة البديع وتطوره عبر العصور المختلفة•

وفى الفصل الأول تناولت بالتحليل مجموعة من الفنون التى تلتقى فى العمل على تناسب الاسلوب ، وائتلاف عناصره ، وربط أجزائه بعلاقات قوية ، وهى : الطباق — والمقابلة — ومراعاة النظير — والارصـــاد — والمزاوجة — والسجع — ومواضع التأنق فى الاساليب •

وفى الفصل الثانى تكلمت عن مجموعة من الفنون يلحظ فيها الايهام والتخييل وهى : التورية — والمشاكلة — وحسن التعليل — والتجريد — وتأكيد المدح بما يشبه الذم — وتأكيد الذم بما يشبه المدح — والجناس•

وفى الفصل الثالث وقفت أمام مجموعة من الفنون يتجلى فيها المعنى بين الاجمال والتفصيل ، والجمع والتفريق ، ونحو ذلك • وهى : اللف والنشر — والجمع — والتفريق — والتقسيم — والجمع مع التفريق — والجمع مع التقسيم — والجمع مع التفريق والتقسيم •

وفى الخاتمة فصلت الحديث عن مكانة البديع فى الدراســــات

البلاغية ، وأهميته فى بلاغة الاساليب ، نافيا عنه ما وصم به من تهـم لا أســـاس لهـــا •

وقد ركزت فى تناولى لفنون البديع على تحليل مسائلها ، والكشف عن سر بلاغتها ، وبيان أثرها فى المعنى وقيمتها فى الاسلوب ، مع الاكثار من الشواهد الأدبية التى توضح هذه الجوانب •

واقتصارنا على هذه الفصول وما درسناه فيها من فنون لا يعنى حصر فصول البديع أو فنون كل فصل ، انما ذلك بمثابة اشـــارة على الطريق بقدر ما هيأت الظروف ، ومن الميسور تسمية فصول أخرى وضم ألوان فيها ، أو اضافة ألوان أخرى الى الفصول التى سميناها •

وأرجو أن يكون هذا الكتاب مزيلا لبعض ما تراكم من غبار على فنون البديع ، ومعينا على كشف لطائفها وتذوق حسنها وجمالها ، وباعثا على مواصلة البحث فى أفنانها الوارفة •

وعلى الله قصـــد السبيل

وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب

طحانوب — قليوبيـــة
فى ١٤ / ٤ / ١٤١٤ هـ
١ / ١٠ / ١٩٩٣ م

دكتـــور
الشحات محمد عبد الرحمن أبو ستيت
أستاذ البلاغة والنقـــد
بكلية اللغة العربية بايتاى البارود

تمهيـــــــد

البديع : نشـــــأته وتطـــوره

معنى كلمــــة بديع :

جاء فى لسان العرب : بدع الشىء يبدعه بدعا ، وابتدعه : أنشأه وبدأه ، وبدع الركية : استنبطها وأحدثها •

والبديع والبــدع : الشىء الذى يكون أولا • وفى التنزيل (قــل ما كنت بدعا من الرسل) (١) ، أى ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلى رســـل كثير •

والبديع : المحدث العجيب ، والبديع : المبدع ، وأبدعت الشىء : اخترعته لا على مثال • وسقاء بديع : جديد ، وحبل بديع جديد •

وابدع الشاعر : جاء بالبديع (٢) •

وعلى هذا فالكلمة تدور فى اللغة حول معنيين :

١ ــ المحدث والجديد الذى أنشىء على غير مثال سابق •

٢ ــ العجيب والغريب الذى يكون فيه حسن وطرافة •

وقد وردت هذه الكلمة فى الشعر القديم وجاءت فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف بهذين المعنيين •

فنراها فى قول الأفوه الأودى :

ولكل ساع سنة ممن مضى ... تنمى به فى سعيـه أو تبـدع

---

(١) الأحقـــــاف آيـــة ٩ •
(٢) ينظر لسان العرب ــ مادة : بدع •

وفى قول عدى بن زيد :

فلا انا بدع من حوادث تعترى
رجالا غدت من بعد بؤسى بأسعد

وفى قول حسان بن ثابت :

قـــوم اذا حاربوا ضروا عـــدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
ســـجية تلك فيهم غير محـــدثة
ان الخلائق فاعلم شرها البـــدع

وجاء لفظ « بديع » فى القرآن الكريم فى آيتين :

قوله تعالى : (بديع السموات والأرض واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) (٣) • وقوله تعالى : (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) (٤) •

ومعناه : أنه أنشأها وأحدثها على غير مثال سابق (٥) •

وجاء لفظ « بديع » فى الحديث الشريف فى قوله صلى الله عليـــه وسلم : « ان تهامة كبديع العسل حلو أوله حلو آخره » (٦) •

وظل استعمال هذه الكلمة يدور حول معانى : الجديد والمحـــدث والعجيب والغريب فى عصر صدر الاسلام والعصر الأموى وجاءت على ألسنة كثير من الشعراء ، ومن ذلك :

قول عمر ابن أبى ربيعة :

---

(٣) البقـــرة آيـــة ١١٧ .
(٤) الأنعــــــــام آيـــة ١٠١ .
(٥) ينظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ٨٣/١ .
(٦) لســـان العـــرب ـــ مادة : بدع .

فأتتها فأخبرتهـا بعـذرى ثم قالت : أتيت أمـرا بديعـا

وقـول كثير :

وحاجة نفسى قد قضيت وحاجة تركت وأمرا قد أصبت بديعـا

وقـول الفـرزدق :

أبت ناقتـى الا زيادا ورغبتـى
وما الجـود من أخـلاقه ببديع (٧)

وجاء العصر العباسى ، وجددت الحضارة المادية والعقلية من رواء الشعر ، فأمدته بالخيال الخصب ، والفكر العميق ، والمعنى الدقيق ، وزينته بألوان زاهية من التشبيه والاستعارة ، وبديع التصوير وجميل التمثيل ، وصبغته بأصباغ طريفة من الثقافة والفلسفة ، ومزجته بحكمة الهنود وأدب الفرس ، وتنبه الشعراء العباسـيون الى ما فى شـعر القدماء من طرائف الصنعة البديعية ، فتناولوا البديع فى شعرهم (٨) ، ما بين مقتصد فيه كبشار بن برد (ت ١٦٧ هـ) وأبى نواس (ت ١٩٩ هـ) ومفرط فى استعماله كمسـلم بن الوليـد (ت ٢٠٨ هـ) وأبى تمـام (ت ٢٣١ هـ) .

وينسبون الى مسلم بن الوليد أنه أول من أطلق اسم «البديع» على الفنون التعبيرية التى شاعت فى الشعر العباسى (٩) ، وتبعـه فى ذلك الشعراء والرواة ، ثم استعمل هذا المصطلح فى مؤلفات الأدباء .

---

(٧) تنظر هذه الأبيات وغيرها فى الصور البديعية ١/٥ .
(٨) البديع فى ضوء أساليب القرآن ٧ .
(٩) انظـر الأغـانى ١٨/٣١٥ .

قـــدم فنـــون البديع :

واستعمال فنون البديع فى الكلام لم يكن أمرا مستحدثا فى العصر العباسى ، فهذه الألوان البديعية وجدت فى الشعر الجاهلى والشـــعر الاسلامى وجودا فطريا ، واتفقت للقدامى اتفاقا ، واطردت فى كلامهم اطرادا عن عفو الخاطر ، وفيض الفطرة ووحى السليقة من غـــير أن يعمدوا اليها متعلمين متكلفين ، ومن غير أن يعرفوا لها أسماء ، سوى أنها من ألوان كلامهم الذى به يؤدون أغراضهم (١٠) .

فجاء الطباق فى قول امرىء القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معـــا   كجلمود صخر حطه السيل من عل

وجاءت المقابلة فى قول النابغة الجعدى :

فتى تم فيـــه ما يسر صـــديقه   على أن فيه ما يســـود الأعاديا

وجاءت مراعاة النظير فى قول امرىء القيس :

فد معهما سكب وسح وديمـــة   ورش وتوكـــاف وتنهمـــلان

وجاء الارصاد فى قول عمرو بن معد يكرب :

اذا لم تستطع شـــيئا فدعـــه   وجـــاوزه الى مـــا تستطيع

وجاءت المشاكلة فىقول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحـــد علينـــا   فنجهل فـــوق جهل الجاهلينـــا

وجاء الاستطراد فى قول السموءل :

وانا لقوم ما نرى القتل ســـبة   اذا ما رأتـــه عامـــر وســـلول

وجاء العكس والتبديل فى قول عبد الله بن الزبير الأسدى :

---

(١٠) الصـــبغ البـــديعى ١٥ .

فرد شعورهن السود بيضـــا ورد وجوههن البيض سودا

وجاء الرجوع فى قـــول حسان :

لا أسرق الشعراء ما نطقوا بل لا يوافق شعرهم شـــعرى

وجاء اللف والنشر فى قول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبــا ويابســا
لدى وكرها العناب والحشف البـــالى

وجاء التقسيم فى قول زهير :

فان الحـــق مقطعـــه ثلاث أداء أو نفـــــار أو جـــلاء

وجاء التجريد فى قول الأعشى :

ودع هريرة ان الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيهـــا الرجل

وجاءت الوان أخرى على ألسنة الشعراء ، ووردت فنون كثيرة من البديع فى القرآن الكريم والحديث الشريف (١١) ، وكل هذا دليل على قدم البديع وأصالته ، وأنه لم يستحدث فى العصر العباسى على أيدى شـــــعراء البـــديع .

ظهـــور مصطلح « البـــديع » :

قدمنا أنه فى العصر العباسى اتجه كثير من الشـــعراء الى تزيين شعرهم ببعض الفنون التى أطلقوا عليها اسم « البديع » وتبعهم الرواة والأدباء فى استعمال هذا المصطلح حتى جـــاء الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، فاستعمل هذا المصطلح فى كتاباته ، ففى البيان والتبيين يروى قـــول الأشهب بن رميـــــلة :

---

(١١) من اراد الاستزادة فى هذا الموضوع فليرجع الى الصبغ البديعى ١٦ — ٤١ .

هم ساعد الدهر الذى يتقى به وما خير كف لا تنــوء بســاعد

ثم يقول معلقا عليه ، قوله : « هم ساعد الدهر » انما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواه البديع ، وقد قال الراعى :

هم كاهل الدهر الذى يتقى به ومنكبه ان كان للدهــر منكب

وقد جاء فى الحديث : « موسى الله أحد ، وساعد الله أشد » والبديع مقصور على العرب ، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغـــة ، وأربت على كل لسان والراعى كثير البديع فى شعره ، وبشار حسن البديع ، والعتابى يذهب شعره فى البديع (١٢) .

ويستفاد من كلام الجاحظ أمور :

١ — ان لفظ « البديع » استعمله الرواة ، ثم نقله الجاحظ عنهم فليس هو أول من استعمله .

٢ — أن البديع أطلق على الطريف والعجيب من الصــور الاسلوبية حيث أطلق فى هذا المثال على ســاعد الدهر وكاهل الدهر وهــذا من قبيــل الاستعـــارة .

٣ — أنه جعل البديع مقصورا على لغة العرب ، وقد جانبه الصواب فى هذا الحكم فلكل لغة بديعها ومحسناتها .

وبناء على هذا الحكم تشكك الدكتور طه حسين فى معرفة الجاحظ بآداب الأعاجم ولغاتهم وقال انه اذا كان قد سمع شيئا عنها فمن المرجح أنه لم يخرج منها الا بصورة غامضة غير دقيقة (١٣) .

وقد استعمل الجاحظ مصطلح « البـــديع » فى موضع آخــر من كتـــابه فقــــال :

---

(١٢) البيان والتبيين ٤/٥٥ ، ٥٦ .
(١٣) مقـــدمة نقـــد النثر ٣ .

ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة ، مع البيان الحسن : كلثوم بن عمرو العتابى وكنيته أبو عمرو ، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله فى البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من المولدين ، كنحو منصور النمرى ، ومسلم بن الوليد الأنصارى وأشباههما ، وكان العتابى يحتذى حذو بشار فى البديع ، ولم يكن فى المولدين أصوب بديعا من بشار وابن هرمة (١٤) .

وفى كتاب « الحيوان » يتكلم الجاحظ تحت اسم : قطع من البديع ويذكر شعرا لبعض الشعراء يحتوى على التشبيه والاستعارة وغيرهما (١٥) .

وبناء على ما تقدم نرى أن الجاحظ استعمل مصطلح البديع فى كتاباته ، وقد نقله عن الرواة والشعراء الذين جرى على لسانهم هذا الفن الجميل .

التأليف فى البديع :

ابن المعتز :

وأول من وضع كتابا فى فنون البديع هو عبد الله بن المعتز الخليفة العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، حيث ألف كتابا سماه « البديع » وكان ذلك سنة ٢٧٤ هـ ، وقال فى مقدمته : قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدناه فى القرآن الكريم ، واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون « البديع » ليعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا الى هذا الفن ، ولكنه كثر فى أشعارهم

---

(١٤) البيان والتبيين ١/٥١ .

(١٥) ينظر الحيوان ٣/٥٧ .

فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه (١٦) .

وبهذا بين أن سبب تأليفه الكتاب : اثبات قدم البديع والدلالة على أنه فن موجود فى كلام العرب من قديم ، وأن المحدثين من الشعراء فى العصر العباسى لم يخترعوه ولم يسبقوا المتقدمين الى شىء من أبوابه (١٧) .

وقد قسم كتابه الى قسمين :

١ — أبواب البديع : وقد جعلها خمسة هى : الاستعارة ، والتجنس ، والمطابقة ، ورد أعجاز الكلام على ماتقدمها ، والمذهب الكلامى (١٨) .

٢ — محاسن الكلام والشعر وهى كثيرة وذكر منها ثلاثة عشر نوعا هى : الالتفات — والاعتراض — والرجوع — وحسن الخروج — وتأكيد المدح بما يشبه الذم — وتجاهل العارف — والهزل الذى يراد به الجد — وحسن التضمين — والتعريض والكناية — والافراط فى الصفة — وحسن التشبيه — واعنات الشاعر نفسه فى القوافى — وحسن الابتداء (١٩) . وبذلك يكون قد بحث فى كتابه سبعة عشر فنا من فنون البديع .

وبين ابن المعتز أنه لم يسبقه الى جمع هذه الفنون أحد قبله وأن اقتصاره فى البديع على فنون خمسة لا يعنى جهله بمحاسن الكلام ولا ضيق فى المعرفة ، فمن أحب الاقتداء به فى ذلك فليفعل ، ومن أضاف اليها شيئا من هذه المحاسن أو غيرها فله اختياره (٢٠) .

---

(١٦) البديع ١ .
(١٧) ينظر السابق ٣ .
(١٨) ينظر السابق ٣ — ٥٧ .
(١٩) السابق ٥٨ — ٧٧ .
(٢٠) السابق ٥٧ ، ٥٨ .

وبهذا عد ابن المعتز رائد البديع ومؤسسه (٢١) ، حيث كان أول من ألف فيه وجاء العلماء على أثره فزادوا فى فنونه وأضافوا فى ألوانه .

قدامة بن جعفر :

ثم جاء قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ ه) وألف كتابه « نقد الشعر » وقد عالج قدامة فنونا بلاغية عدة ، ووزعها علىعناصر الشعر ، وهى :

نعت اللفظ ونعت الوزن ونعت القوافى ونعت المعانى وهذه هى نعوت المفردات وهناك نعوت المركبات وهى : ائتلاف اللفظ مع المعنى ونعت ائتلاف اللفظ والوزن ونعت ائتلاف المعنى والوزن ونعت ائتلاف القافية والمعنى (٢٢) .

وقد تحدث قدامة عن عشرين فنا من فنون البديع توارد مع ابن المعتز فى ثمانية منها هى : التشبيه والتتميم وقد سماه ابن المعتز الاعتراض ، والمبالغة وقد سماها ابن المعتز الافراط فى الصفة ، والتكافؤ وقد سماه ابن المعتز المطابقة ، والالتفات والارداف وقد سماه ابن المعتز الكناية والتعريض ، والمجانس وقد سماه ابن المعتز التجنيس والاستعارة .

وزاد قدامة : الترصيع وصحة التقسيم وصحة المقابلة ، وصحة التفسير ، والمساواة والاشارة والتمثيل والمطابق وهو لون من ألوان التجنيس وائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت والتوشيح والايغال والتصريع (٢٣) .

ولم يبحث قدامة هذه الفنون تحت اسم البديع ولكنه تكلم عنها

---

(٢١) قد فصلنا القول عن ابن المعتز وكتابه فى بحث كبير منشور بمجلة كلية اللغة العربية بدمنهور ، العدد الثالث فيرجع اليه .

(٢٢) فن البديع ٨ ، وينظر نقد الشعر .

(٢٣) ينظر الصبغ البديعى ١٤٦ — ١٥٦ .

باعتبار دخولها فى عناصر الشعر ونقده وأدرج معها ألوانا أخـرى من مستلزمات الصناعة الشعرية ومن ثم يختلف الباحثون فى عد الألوان البديعية التى تحدث عنها قدامة فيراها بعضهم سبعة وعشرين لونا (٢٤) ويراها آخرون عشرين لونا والخطب فى ذلك سهل ميسور .

أبو هلال العسـكرى :

ثم جاء أبو هلال العسكرى (ت ٣٩٥ هـ) وألف كتابه « الصناعتين » وجعل الباب التاسع منه لشرح البديع ودراسة فنونه وقد ذكر من هذه الفنون ستة وثلاثين فنا درس خمسة وثلاثين منها دراسة مفصلة وخص كلا منها بفصل على حدة وفى نهاية الفصل الخامس والثلاثين استدرك على نفسه فنا آخر سماه : المشتق وتحدث عنه (٢٥) .

وقد توارد مع من سبقوه فى تسعة وعشرين فنا هى :

الاستعارة والمجاز — والتطبيق — والتجنيس — والمقابلة — وصحة التقسيم — وصحة التفسير — والاشـارة — والارداف والتوابع — والمماثلة — والغلو — والمبالغة — والكنـاية والتعريض — والعكس والتبديل — والتذييل — والترصيع — والايغال — والتوشيح — ورد الأعجاز على الصدور — والتكميل والتتميم — والالتفات — والاعتراض — والرجـوع — وتجاهل العـارف — والاستطراد — وجمع المؤتلف والمختلف — والسلب والايجاب — والاستثناء — والمذهب الكلامى — والتعطف .

وانفرد بدراسة سبعة أنواع هى :

التشطير — والمجاورة — والاستشهاد والاحتجاج — والمضاعفة — والتطريز — والتلطف — والمشتق .

---

(٢٤) ينظر البديع فى ضـوء أساليب القرآن ١١ ، وقدامة والنقـد الأدبـى ٣٨٠ .

(٢٥) ينظـر الصنـاعتين ٣٤٣ .

ولم تسلم له هذه الأنواع السبعة فقد درس بعضها تحت اسم آخر لدى من سبقه من العلماء (٢٦) .

وأخرج أبو هلال من البديع : التشبيه والايجاز والاطناب والسجع والازدواج (٢٧) ، ودرسها فى أبواب وفصول مستقلة .

وقد دفع أبو هلال دراسة البديع دفعة قوية الى التطور وجمع بين طريقتى ابن المعتز وقدامة فعرف اللون البديعى واحتفل بالشواهد الكثيرة من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام الصحابة والعرب وشعر المتقدمين والمحدثين وعقب كل فن بذكر أمثلة للمعيب منه ، وأجاد فى شرح الشواهد وتحليل الأمثلة (٢٨) .

ابن رشيق :

ثم جاء أبو على الحسن بن رشيق القيروانى (ت ٤٦٣ هـ) وألف كتابه « العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده » وهو كتاب جامع لكثير من موضوعات الأدب والبلاغة والنقد ويعد سجلا حافلا لآراء من تقدمه من علماء البلاغة مع اعطائه فكرة واضحة عن تطور مصطلحات البلاغة وما طرأ عليها من تغيير عبر السنين (٢٩) .

وتناول « ابن رشيق » فى كتابه كثيرا من فنون البديع وقال : والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة أنا أذكر منها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة ان شاء الله تعالى (٣٠) .

ومن فنون البديع التى ذكرها : التجنس — والترديد — والتصدير

---

(٢٦) ينظر الصبغ البديعى ١٧٣ — ١٧٦ .
(٢٧) ينظر الصناعتين ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٧٢ ، ١٩٩ .
(٢٨) ينظر الصبغ البديعى ١٦١ .
(٢٩) نظرات فى البلاغة والاسناد ٣٣ .
(٣٠) العمدة ٢٦٥/١ .

— والتقسيم — ونفي الشيء بإيجابه — والتضمين — والإجازة — والإشارة ، وقد نوعها إلى أنواع كثيرة منها : التفخيم — والإيماء — والتعريض — والتلويح — والكناية — والتمثيل — والرمز — واللمحة — واللغز — واللحن — والحذف (٣١) .

ودرس « ابن رشيق » هذه الفنون فيها بسطا وتوضيحا وتحليلا وزاد زيادات وزيادات في علمي لم يوجد عند سابقيه ومن ثم كان كتابه ذا أهمية كبرى في دراسة البديع واتكأ عليه جل من أتى بعده من البلاغيين ونقلوا دون يذكروه الإيضاح وورده المذهب .

ابن سنان الخفاجي :

وألف أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) كتابه « سر الفصاحة » وتكلم في كتابه عن عدد من فنون البديع منها حسن الاستعارة والحشو والتوشيح والترصيع وحسن الكناية والجناس والمطابق وغيرها (٣٢) .

وتأثر كثيرا بطريقة قدامة بن جعفر في نقد الشعر فوزع بحوث كتابه بين أوصاف من نعوت الألفاظ وأوصاف من نعوت المعاني وأوصاف من نعوتهما معا وهو بهذا الصنيع قد أكمل ما أسسه قدامة من تنويع الفنون البديعية إلى لفظية ومعنوية ، فكان ثاني اثنين مهدا الطريق للمتأخرين في تقسيمها هذا التقسيم (٣٣) .

عبد القاهر الجرجاني :

ثم جاء الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) الذي بلغت

---

(٣١) العمدة ١/٣٠٢ .
(٣٢) ينظر سر الفصاحة ١٣٧ ، ١٥٨ .
(٣٣) الصبغ البديعي ٢٠٦ .

البلاغة على يديه قمة التطور والازدهار فأقام فى كتابيه «أسرار البلاغة» و «دلائل الاعجاز» دعائم البلاغة العربية شامخة قوية وجمع فيهما أسس المعانى والبيان والبديع •

ولم يتوسع الامام فى عرض مسائل البديع وكنه تحدث عن بعض فنونه مركزا على أثره فى الاسلوب ومبينا أنه لا يحسن الا بما يضيفه من معان لا تتحقق فى عدم وجوده ، ففى « أسرار البلاغة » عرض للتجنيس والسجع والحشو ، والاستعارة ، والتطبيق ، وبين أن الحسن فى هذه الألوان يرجع الى المعنى قبل ان يرجع الى اللفظ وأبدع فى اثبات هذه الحقيقــــة (٣٤) •

كما تناول فى هذا الكتاب التجريد دون أن يسميه وبين أنــواع التخييل ودرجاته بما لا مزيد عليه (٣٥) •

وعرض فى « دلائل الاعجاز » فى فصل عقده للنظم يتحد فى الوضع ويدق فيه الصنع لبعض فنون البديع ، فذكر المزاوجــة بين معنيين فى الشرط ، والجزاء ، والتقسيم ، وبين أن هذا النمط من الكلام هو النمط العالى والبــاب الأعظم والذى لا نرى ســلطان المزية يعظم فى شىء كعظمــه فيــــه (٣٦) •

وبذلك وضع الامام أساس بلاغة الفنــون البديعية وبين سـر مكانتهــا فى الاســلوب •

البديع بعد الامام عبد القاهر :

يمكن القول أن البحث فى البديع وفى البلاغة عموما قد تشعب بعد عصر الامام عبد القاهر الى اتجاهات ثلاثة :

---

(٣٤) أسرار البــلاغة ٤ — ١٥ •
(٣٥) أســرار البــلاغة ٢٣١ — ٢٦١ •
(٣٦) دلائل الاعجـــاز ٩٣ ، ٩٤ •

١ — الاتجـــاه الأدبى •
٢ — الاتجـــاه البديعى •
٣ — الاتجـــاه العقلى •

أولا — الاتجــاه الأدبى :

وأصحاب هذا الاتجاه نهجوا فى دراسة البلاغة نهجا أدبيا ذوقيا يستمد روح الامام عبد القاهر وعرضوا فى دراساتهم لألوان مختلفة من البديع مع بحوث أخرى تتصل بصناعة الكلام ونقد الشعر ونظـــم القرآن الكريم • ومن علماء هذا الاتجاه :

ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) فى كتابه « المثل السائر فى أدب الكاتب والشـــاعر » •

وعبد الواحد بن عبد الكريم الزملكانى (ت ٥٦١ هـ) فى كتـــابه « التبيان فى علم البيان » و « البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن » •

ويحيى بن حمزة العلوى (ت ٧٤٥ هـ) فى كتابه : « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » •

ثانيا — الاتجاه البديعى :

وأصحاب هــذا الاتجاه يطلقون على جل فنـــون البـــلاغة اسم « البديع » ويبحثونها تحت هذا الاســـم ويجعلون رائدهم فى ذلك عبد الله بن المعتز فى كتابه « البديع » ومن علماء هذا الاتجاه :

مجد الدين أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) فى كتابه : البديع فى نقد الشعر ، وقد جمع فيه خمسة وتسعين لونا بديعيا مرتبة على أبواب وقد خلط فى كتابه بين صور البديع وجعل أقسام الباب الواحد أبوابا وأضاف السرقات والعيوب الى أبواب البديع •

وزكى الدين عبد العظيم بن عبد الواحد المعروف بابن أبى الاصبع المصرى (ت ٦٥٤ هـ) فى كتابيه : « تحرير التحبير » و « بديع القرآن » وهما من خير الكتب التى ألفت فى البديع وتمثل هذا الاتجاه تمثيلا دقيقا .

ففى « تحرير التحبير » درس ما يربو على مائة وخمسة وعشرين لونا من ألوان البديع وقسمها الى أصول وفروع فالأصول هى ما ذكره ابن المعتز وقدامه ، وعددها ثلاثون لونا ، والفروع هى الألوان التى ذكرها العلماء بعدهما وعددها خمسة وستون لونا ثم ذكر انه اكتشف ثلاثين لونا لم يسبق اليها ولم يسلم له من هذا الادعاء الا أربعة عشر لونا والباقى مسبوق اليه (٣٧) .

وفى « بديع القرآن » درس تسعة ومائة لون من ألوان البديع ممثلا لها بشواهد من القرآن الكريم ، ومحللا لها تحليلا دقيقا يظهر فيه جمال الاسلوب وحسن العرض ، والقدرة على استخراج أوجه الجمال فى الآيات القرآنية .

وكان هذا الاتجاه البديعى من الأسباب القوية التى أدت الى ظهور البديعيات المنظومة .

البديعيات :

وهى قصائد فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم غالبا ، يتضمن كل بيت منها لونا أو أكثر من فنون البديع مع الاشارة الى اسم اللون أو عدم الاشارة اليه وقد شرحت هذه القصائد بطريقة أدبية تعين على تنمية الاحساس وتربية الذوق الأدبى .

وأهم أصحاب البديعيات :

---

(٣٧) ابن أبى الاصبع المصرى ٢٨٥ .

١ — صفى الدين الحلى (ت ٧٥٠ ﻫ) ومطلع بديعيته :

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم
واقر السلام على عرب بذى سلم

وعدد أبياتها مائة وخمسة واربعون بيتا وتشتمل على مائة وواحد وخمسين لونا بديعيا . وشرحها شرحا لطيفا سماه « النتائج الالهية فى شرح الكافية البديعية » .

٢ — شمس الدين محمد بن جابر الأندلسى (ت ٧٨٠ ﻫ) . ومطلع بديعيته :

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم
وانثر له المدح وانشر طيب الكلم

وقد شرحها شرحا مختصرا .

٣ — عز الدين الموصلى (ت ٧٨٩ ﻫ) ومطلع بديعيته :

براعة تستهل الدمع فى العلم
عبارة عن نداء المفرد العلم

وقد ذكر فيها اسم اللون البديعى وشرحها فى كتاب سماه « التوصل بالبديع الى التوسل بالشفيع » .

٤ — تقى الدين أبو بكر على بن محمد المعروف بابن حجة الحموى (ت ٨٣٧ ﻫ) ومطلع بديعيته :

لى فى ابتدا مدحكم يا عرب ذى سلم
براعة تستهل الدمع فى العلم

وهى تتضمن مائة واثنين وأربعين لونا بديعيا وقد صرح فيها باسم

اللون البديعى ، وشرحها شرحا مطولا ابدع فيه وأجاد وسماه « خزانة الأدب وغاية الأرب » ويعتبر هذا الشرح مرجعا للباحثين فى علم البديع وملاذا لرواد الأدب والنقـد .

وغير هؤلاء من مؤلفى البديعيات كثيرون ، يطول الكلام بذكرهم ، وقد استمر تاليف البديعيات حتى العصر الحديث ، وفى كتاب « الصبغ البديعى » نماذج كثيرة منها ، تمثل هذا الاتجاه الذى قوى وازدهر فترة طويلة من الزمان . وقد ادى التمادى فى البديعيات ، والتسابق فى نظمها الى ضحالة الفكر البلاغى وضموره ، من جراء الاختصار المخل ، وجمع الألوان مهما كانت فارغة ، لا تغنى ولا تسمن .

ثالثا — الاتجـاه العقلى :

وهذا الاتجاه توفر اصحابه على تقعيد البلاغة العربية وتقنينها وتنظيم مسائلها وضبط مباحثها مع التقليل من الشواهد الأدبيـة وشرحها ، مما ترتب عليه اختفاء الروح الأدبية فى كثير من مؤلفـات اصحاب هذا الاتجاه . وهذا الاتجاه ظل مالكا زمام البلاغة العربية حتى وقتنـا الحاضر .

ومن أهم علماء الاتجاه العقلى :

١ — فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) فى كتابه « نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز » وعرض فيه لعدد من فنون البديع درس بعضهـا فى الجملة الأولى الخاصة بالمفردات ، وبعضها فى الجملة الثانية الخاصـة بالنظم ، ودراسته لهذه الفنون موجزة لا تتعدى تعريف النوع البديعى وذكر بعض الأمثلة له [٣٨] .

٢ — أبو يعقوب يوسف السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) فى كتابه « مفتاح

---

(٣٨) انظر نهاية الايجاز ١٢٦ ، ٢٨٥ .

العلوم » وقد جعل القسم الثالث منه خاصا بالبلاغة ، وقسمها الى علمين هما : المعانى والبيان ، ولما فرغ من شرح مسائل هذين العلمين اتبع ذلك بوجوه تحسين الكلام — وهى ألوان البديع — وقسم هذه الوجوه قسمين (٣٩) : قسم يرجع الى المعنى ويضم عشرين وجها ، وقسم يرجع الى اللفظ ويضم خمسة وجوه . وتحدث عن كل ذلك بايجاز مقتصرا على تعريف الوجه وذكر بعض أمثلته .

وختم كلامه عن هذه الوجوه ببيان أصل الحسن فيها فقال : وأصل الحسن فى جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعانى ، لا أن تكون المعانى لها توابع ، أعنى ألا تكون متكلفة (٤٠) . وهذا أساس دقيق يجب مراعاته فى استعمال فنون البديع ، وقد نبه عليه الشيخ عبد القاهر .

٣ — بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) فى كتابه « المصباح فى المعانى والبيان البديع » وقد جعله ثلاثة أقسام : الأول منها لعلم المعانى ، والثانى لعلم البيان ، والثالث لعلم البديع ، والظاهر أنه أول من حصر البلاغة فى هذه العلوم الثلاثة ، وعلى منواله مضى الخطيب من بعده .

وعلم البديع عنده هو معرفة توابع الفصاحة ، والفصاحة نوعان : فصاحة لفظية وفصاحة معنوية ، وبناء على ذلك كانت المحسنات البديعية عنده اما راجعة الى الفصاحة اللفظية ، واما راجعة الى الفصاحة المعنوية ، والراجعة الى المعنوية اما مختصة بالافهام والتبيين ، واما مختصة بالتزيين والتحسين فهى ثلاثة أقسام : ما يرجع الى الفصاحة اللفظية ويضم أربعة وعشرين نوعا ، وما يرجع الى الفصاحة المعنوية وهو مختص بافهام المعنى وتبيينه ويضم تسعة عشر نوعا ، وما يرجع الى الفصاحة المعنوية وهو خاص بتحسين الكلام وتزيينه ويضم خمسة

---

(٣٩) مفتاح العلوم ٢٠٠ .
(٤٠) السابق ٢٠٤ .

عشر نوعا (٤١) • وبذلك يكون قد درس فى كتابه ثمانية وخمسين نوعا بديعيا ، وقد جاءت دراسته لها فيهـا شىء من البسط ، ومشتملة على كثير من الشواهد الأدبية •

٤ ــ الخطيب القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) فى كتـابيه « التلخيص » و « الايضاح » ومضى فيهما على تقسيم البـلاغة الى علـوم ثلاثة : المعانى والبيان والبديع ، وعرف البديع : بأنه علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة (٤٢) • وبذلك جعل فنـون البديع حلية للكلام ، وزينة تكسوه بهجة وجمالا ، ولا دخل لها فى بلاغة الكلام التى تقوم على رعاية مقتضى الحال ، حيث تأتى هـذه الألوان بعد رعاية المطابقة ووضـوح الدلالة ، فهى من توابع البـلاغة لا من أصولها وتحسينها عرضى لا ذاتى •

وقسم الخطيب المحسنات البديعية الى ضربين : ضرب يرجع الى المعنى وضرب يرجع الى اللفظ ، وذكر من المعنوى واحدا وثلاثين لونا ومن اللفظى سبعة ألوان • وتناول هذه الألوان فى « الايضاح » بشىء من التفصيل مع كثرة الشواهد والنظرات التحليلية •

وقد استهوى تلخيص الخطيب من جاء بعده من البلاغيين فعكفوا عليه يشرحون ألفاظه ، ويفسرون عبـاراته ، دون زيادة ذات بال ، مع اغراق الشروح والحواشى بالمناقشات العقلية ، والمحاورات المنطقية ، مما أفقدها الروح الأدبية التى ينمو فى ظلالها البحث البـلاغى ويؤتى ثمـــاره •

وظل الحال على ذلك حتى جاء العصر الحديث وظهرت دعـوات مخلصة تدعو الى تنقية البلاغة مما علق بها ، والعودة بالبحث البلاغى

---

(٤١) أنظر المصـباح ١٥٩ ، ٢٠٤ ، ٢٤٦ .
(٤٢) الايضـاح ٤/٦ .

علم البديع

عرف الخطيب البديع بقوله : هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة .

وهذا التعريف يجعل وظيفة فنون البديع فى الاسلوب مقصورة على مجرد تحسينه وتنميقه ، دون أن تكون من عوامل بلاغته ، كما أنه يضع علم البديع فى درتبة دنية ودرجة متأخرة بعد علمى المعانى والبيان ، فعلم المعانى مختص باعتبارات مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وعلم البيان مختص باعتبارات وضوح الدلالة ، وبمراعاة الأعتبارات المقررة فى العلمين تتحقق بلاغة الكلام ، ثم تأتى فنون البديع بعد ذلك على الكلام البليغ لتكسوه رداء الحسن ، وتلبسه قلائد الزينة ، دون أن تكون اساسا فى بلاغته .

وهذه نظرة مجحفة بعلم كان البحث فيه الخطوة الأولى فى مسيرة البلاغة ، وكثيرا ما أطلق عليها ، وضم تحت رايته — لفترات طويلة — معظم فنون البلاغة ، ومنها ما هو من علم المعانى ، وما هو من علم البيان حسب مصطلحات المتأخرين . وسنتناول هذه القضية بمزيد من التفصيل فى نهاية حديثنا عن فنون البديع .

والمحسنات البديعية عند البلاغيين على قسمين : معنوية ولفظية .

فالمحسنات المعنوية : هى التى يكون التحسين فيها راجعا الى المعنى أولا ، ويتبع ذلك تحسين اللفظ . ومنها الطباق ، والمشاكلة ، والتورية .

والمحسنات اللفظية : هى التى يكون التحسين فيها راجعا الى

اللفظ أولا ، ويتبع ذلك تحسين المعنى . ومنها الجناس ، والسجع ، ورد العجـز على الصـــدر .

وتعرف المحسنات المعنوية بأنه لو غير فيها اللفظ بما يرادفه لبقى المحسن كما هو قبل التغيير ، ففى قول أبى الحسن التهامى :

لقد أحيـا المكارم بعد مـوت   وشـاد بناءها بعد انهـدام

طباق بين الاحياء والموت ، والشيد والانهدام ، والطباق محسن معنوى ، ولو غيرنا « احيا الى أوجد » أو غيرنا « موت الى فناء » لظل الطباق كما هو فى الكلام ، واذ قلنا « بنى بدلا من شاد » و « سقوط بدلا من انهدام » لبقى الطباق بين اللفظين كما كان قبل التبديل . فتغيير اللفظ بمرادفه فى المحسن المعنوى لا يبطله ، بل يبقيه كما هو قبـل التغيير .

وتعرف المحسنات اللفظية بأنه لو غير فيها أحد اللفظين بما يرادفه لزال ذلك المحسن ، ولم يبق له وجود فى الكلام . ففى قول محمـد ابن عبد الله الكوفى :

وسميته يحيى ليحيـا فلم يكن   الى رد أمـر الله فيـه سبيل

جناس بين « يحيى » اسم الطفل ، و « يحيا » الفعل المضارع ، والجناس محسن لفظى ، فلو غيرنا « يحيى الى على » أو « يحيا الى يعيش » لذهب الجناس ولم يعد له وجـود فى الكلام ، فتغيير اللفظ بمرادفه فى المحسن اللفظى يزيل المحسن ويذهب به .

وتقسيم المحسنات الى معنوية ولفظية هو فى نظرنا تقسيم صورى لا تتعدى فائدته ضبط الألوان وتقنينها ، وينبغى ألا يفهم على أنه فصل بين المعانى والألفاظ فى العمل الأدبى فهذا الفصل فيه اضعاف لناحية من النواحى التى يقوم عليها الاساوب البليغ ، اذ يتكامل لفظه ومعنـاه

لأداء الغرض المقصود ، ولا يصح أن نفصل بين اللفظ والمعنى فى احداث الجمال والحسن للأساليب ، فكل منهما لا يوجد دون الآخر ، ولا تتم بلاغة الاسلوب الا بهما معا • والمحسنات اللفظية لا تحسن الا بموقع معناها فى العقل ، والمحسنات المعنوية لا تحسن الا بمراعاة الألفـــاظ الحاملة للمعنى ، وقد نبه البلاغيون على ذلك (١) •

وبهذا نكون قد انتهينا من التمهيد ، لندخل فى فصول الكتاب •

* * *

(١) انظر أسرار البلاغة ٤ ، ومفتاح العلوم ٢٠٤ ، والايضاح ١١٦/٦ •

الفصــــل الأول

فنـــــون التناسب

يتناول هذا الفصل تحليل مجموعة من الفنون البديعية التى تحقق التناسب بين عناصر الكلام ، وتعمل على التلاحم أجزائه ، وتماسك بنائه ، فتأخذ كل كلمة بحق صاحبتها ، ويدل أوله على آخره ، وتنسجم جمله ، وتتلاءم فقره ، ويبدو كالسبيكة التى أفرغت افراغا واحدا ، لا خلل فيها ولا تباين .

والفنون التى سنعرض لها فى هذا الفصل هى : الطباق — والمقابلة — ومراعاة النظير — والارصاد — والمزاوجة — والسجع — ومواضع التأنق .

وهى كما ترى تلتقى فى وصل الكلام ، وربط أجزائه ، وايجاد علاقات قوية بين مفرداته وجمله عن طريق التضاد ، أو التناسب ، أو تعلق أوله بآخره ، أو التناسق الصوتى ، بجانب جعل العمل الأدبى وحدة متكاملة الأجزاء متناسقة الوضع .

الطبـــــــــاق

ويسمى المطابقة ، والتطبيق ، والتضاد ، والتكافؤ •

والطباق فى اللغة : التوافق ، وفى اصطلاح البلاغيين : الجمع بين المتضادين فى كلام واحد ، أو ما هو كالكلام الواحد فى الاتصال •

والمراد بالتضاد هنا وجود لون من التقابل والتنـــافى بين الشيئين ولو فى بعض الصور • وسمى الجمع بين الضدين طباقا لمساواة أحدهما للآخر وان اختلفا فى المعنى • ولهذا قيل للشىء « طبق » و « مطابق » اذا ساوى الآخر فى مقداره عندما يجعل عليه أو يغطى به ، وان اختلف الجنســـــــان (١) •

والطباق من الفنون البلاغية التى بدأ بحثها مبكرا مع الخطوات الأولى فى مسيرة البلاغة العربية ، فالخليل بن أحمد (ت ١٨٧ هـ) يشير اليه مبينا معناه اللغوى بقوله : يقـــال طابقت بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حذو واحد • والأصمعى (ت ٢١٣ هـ) يتحدث عنه كصورة تقع فى الشعر ويذكر أن أحسن شاهد للمطابقة قول زهير :

ليث بعثر يصـــطاد الرجـــال اذا
ما الليث كذب عن أقرانه صـــدقا (٢)

واتصل حديث البلاغيين عن المطابقة حتى قل أن يخلو كتاب بلاغى من الكلام عنها على سبيل الايجاز أو البسط ، وتتبع أطوار البحث فى كل فن من الفنـــون البلاغية موضـــوع طويل يحتـــاج الى دراســـات خاصـــــة به •

---

(١) الموازنة ر/٢٨٨ .
(٢) العمـــــــــــدة ٦/٢ .

صـــور الطبـــــاق :

وتتعدد صور الطباق باعتبارات مختلفة •

فهو باعتبار نوع طرفيه أربعة أقسام اذ قد يكون بين لفظين من نوع واحد ، اسمين أو فعلين أو حرفين ، وقد يكون بين لفظين مختلفين •

فمما جـــاء بين اسمين قوله تعـــــالى : « وتحسبهم أيقاظا وهم رقود » (٣) ، فبين « ايقاظا و رقود » مطابقة ، وهما اسمان • والرقاد : المستطاب من النوم القليل ، وانما وصفهم بالرقود مع كثرة منـــامهم اعتبارا بحال الموت ، وذاك أنه اعتقد فيهم أنهم أمـــوات ، فكان ذلك النوم قليلا فى جنب الموت (٤) •

والآية تبين بعض أحوال أصحاب الكهف العجيبة الدالة على قدرة الله تعالى ، فمن رآهم فى كهفهم ظنوهم أيقاظا لمخالفتهم حال النائم ، وهم فى الحقيقة رقود • وقد قوى الطباق من اظهار هذه الحـــال حين طرح المعنى المظنون باثبات ضده ، ونفى أحد الضدين يثبت الآخر • وايثار « رقود » فى المطابقة على نيام ، لان الرقاد نوم قليل خفيف فهو أشد ملاءمة لحالهم حيث كانت عيونهم مفتوحة كمـــا قيل ، ويتقلبون يمينا وشمالا ، بجانب ما فيه من توه وفخامة تناسب « أيقاظا » وبذلك يمضى السياق على نسق واحد من القوة والفخامة •

ومنه قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » (٥) ، ففيه طباق بين الأول والآخر ، وبين الظاهر والباطن ، وهو يبين اتصافه تعالى بهذه الصفات المتضادة فى آن واحد ، مما يدل على مخالفته تعالى للمخلوقات ، ويظهر كمال سلطانه وقدرته •

---

(٣) الكهف آيـــــة ١٨ .
(٤) المفردات ٢٠١ ، وبصائر ذوى التمييز ٣/٩٤ .
(٥) الحـــــــديد آيـــــة ٣ .

ومن هذا قوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات » (٦) ، ففيه مطابقة بين الأعمى والبصير ، والظلمات والنور ، والظل والحرور ، والأحياء والأموات ، وكلها أسماء . والآيات تمثيل للمؤمن والكافر والايمان والكفر ، فمثل المؤمن بالبصير والأحياء ، والكافر بالأعمى والأموات ، ومثل الايمان وثوابه بالنور والظل ، الكفر وعقابه بالظلمات والحرور (٧) . وقد وردت هذه الحقائق فى سياق المطابقة التى أظهرها واضحة جلية ، وهيأ للعقول أن تقارن بينها ، فلا تملك الا أن تسلم بعدم تساويها ، ومن ثم تنشط فى اختيار النهج السوى والتزامه .

ومنه قول السموءل :

سلى ان جهلت الناس عنا وعنهم
فليس سواء عالم وجهول

وقول الفرزدق :

والشيب ينهض فى الشباب كأنه
ليل يصيح بجانبيه نهار

فطابق الأول بين عالم وجهول ، وطابق الثانى بين الشيب والشباب، والليل والنهار ، وكلها من قبيل الأسماء ، والمطابقة فى البيتين زادت المعنى قوة ، وأضفت على السياق حسنا وبهاء ، وأوضحت الصورة التشبيهية فى البيت الثانى .

ومما جاء فيه الطباق بين فعلين قوله تعالى : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من

---

(٦) فاطر اية ١٩ — ٢٢ .
(٧) الكشاف ٣/٣٠٦ ، وحاشية الشهاب ٧/٢٢٣ .

تشاء بيدك الخير » (٨) ، فالطباق بين تؤتى وتنزع ، وتعز وتذل ، وهى أفعال مضارعة • وفى الآية تمجيد لله تعالى وثناء عليه بسلطانه المطلق ، وملكه التام للكون وما فيه ، وقدرته على التصرف كما يشاء ، وقد أظهر اسلوب الطباق هذه الحقائق واضحة بذكر الأضداد التى هى أقدر على تمييز الأشياء وتجليتها ، فهو جل شأنه يؤتى الملك وينزعه ، ويعز ويذل حسب مشيئته ودون منازع له فى ذلك •

ومنه قوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه هو أمات وأحيا » (٩) ، فالطباق بين أضحك وأبكى وبين أمات وأحيا وهى أفعال ماضية ، والضحك أثر سرور النفس ، والبكاء أثر الحزن وهما من خواص الانسان ومن عجائب خلقه ، وقد دلت الأفعال الأربعة بما بينها من مطابقة على كمال قدرة الله تعالى بايجاد الأضداد فى محل واحد ، وجاء اسنادها الى الله تعالى قويا حيث أكد بأن وضمير الفصل الذى أفاد قصر ايجادها على الله تعالى ، وحذفت مفعولاتها للقصد الى الأفعال بذاتها لا الى من تقع عليه ، فالله تعالى هو الذى أوجد الضحك والبكاء والموت والحياة • وقدم الضحك على البكاء لانه مرغوب لكل نفس ، ففيه مزيد امتنان ، وقدم الموت على الحياة لما فيه من مزيد العبرة والموعظة ، وردا على قولهم (وما يهلكنا الا الدهر) (١٠) • وبجانب ذلك ففى التقديم فى الموضعين رعاية للفاصلة التى جاءت عليها سورة النجم (١١) •

قال أبو هلال العسكرى معلقا على قوله تعالى : « وأنه هو أضحك وأبكى » وقد تنازع الناس هذا المعنى ، قال ابن مطير :

تضحك الأرض من بكاء السماء

---

(٨) آل عمران آية ٣٦ •
(٩) النجم آية ٤٣ ، ٤٤ •
(١٠) الجاثية آية ٢٤ •
(١١) أنظر التفسير الكبير ٧٤١/٧ ، والتحرير والتنوير ١٤٣/٢٧ •

وقال آخـــر :

ضحك المزن بها ثم بكى

وقال آخـــر :

فله ابتســـام فى لوامع برقـــه ولـه بكا من ودقه المتسرب

وقال آخـــر :

لا تعجبى يا ســلم من رجـــل ضحك المشـيب برأسه فبكى

فلم يقرب أحد من لفظ القرآن فى اختصاره وصفائه ، ورونقـــه وبهائه ، وطلاوته ومائه ، وكذا جميع ما فى القرآن من الطباق (١٢) .

ومن الطباق بين فعلين قوله تعالى : « وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور » (١٣) ، فالطباق بين « أسروا و اجهروا » وهما فعلا أمر ، وقد أظهرت المطابقة علم الله تعـــالى بالسر والجهـــر على السواء ، وقدم السر على الجهر لان العلم به أدل على كمال علمه تعالى واحاطته بكافة المعلومات .

ومما ورد فيه الطباق بين حرفين قوله تعالى : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » (١٤) ، وقوله تعـــالى : « لها ما كسبت وعليهـــا ما اكتسبت » (١٥) ، ففى الآيتين طباق بين اللام وعلى ، لان اللام تشعر بالملكية المؤذنة بالانتفاع ، وعلى تشعر بالعلو المشعر بالتحمل أو الثقل المؤذن بالتضرر فصار تقابلهما كتقابل النفع والضرر وهما ضدان (١٦) .

---

(١٢) الصنـــاعتين ٢٣٩ .
(١٣) الملك آيـــة ١٣ .
(١٤) البقـــــرة آيـــة ٢٢٨ .
(١٥) البقـــــرة آيـــة ٢٨٦ .
(١٦) مواهب الفتـــاح ٢٨٩/٤ .

والتعبير فى الخير بالكسب وفى الشر بالاكتساب ، لان الاكتساب فيه اعتمال وشدة اهتمام ، والشر تشتهيه الأنفس وتنجذب اليه فهى أجد فى تحصيله وأعمل فى نيله •

ومن هذا قول الشاعر :

على أننى راض بأن أحمل الهوى
وأخلص منـــه لا على ولا ليــا

فطابق بين على واللام فى آخر البيت والمعنى لا على ذم ولا لى مـــــدح •

ومما وقع فيه الطباق بين لفظين مختلفين قوله تعالى : « من يضلل الله فلا هادى له » (١٧) ، فالمطابقة بين « يضلل و هادى » الأول فعل والثانى اسم • والتعبير بالاسم فى الجانب الثانى مفيـــد لنفى الجنس ونفى جنس الهداة له كنـــاية عن عدم حصول الهدى له بأى حـــال من الأحـــــوال •

ومنه قوله تعالى : « وأحيى الموتى بأذن الله » (١٨) ، ففيه طباق بين فعل واسم ، ومنه قول أبى تمام :

وقد كان يدعى لابس الصـــبر حازما
فأصبح يدعى حازمـــا حين يجـــزع

فطابق بين الصبر ويجزع والأول اسم والثانى فعل •

والمتصور عقلا فى كون الطباق بين مختلفين ثلاثة أقسام :

---

(١٧) الاعـــــــراف آيـــة ١٨٦ •
(١٨) آل عمــــــران آيـــة ٤٩

أن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا ، أو يكون أحدهما اسما والآخر حرفا ، أو يكون أحدهما فعلا والآخر حرفا • لكن الشائع فى الأساليب الأدبية هو القسم الأول وهو المطابقة بين الاسم والفعل • وقد مثل السبكى للقسمين الآخرين بأمثلة مصنوعة ، فالطباق بين الاسم والحرف كقولك : ثواب زيد حاصل وعليه وزره • والطباق بين الفعل والحرف كقولك : أثيب زيد عليه ما اكتسب (١٩) •

والطباق باعتبار كون طرفيه من الحقيقة أو المجاز على ثلاثة أقسام :

ما كان طرفاه من قبيل الحقيقة كقوله تعالى : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور » (٣٠) ، ففى الآية طباق بين السموات والأرض والظلمات والنور وهذه الألفاظ مستعملة فى حقائقها اللغوية فهى من قبيل الحقيقة • وقوله تعالى : « ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن » (٢١) ، فبين نخفى ونعلن طباق والطرفان حقيقيان •

ومن هذا قول الشاعر :

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة ... لقد سرنى أنى خطرت ببالك

فطابق بين ساءنى وسرنى وهما من قبيل الحقيقة • وتجد هذا القسم فى كثير من أمثلة الطباق التى تقدمت •

وما كان طرفاه من قبيل المجاز • ويخص بعض البلاغيين هذا القسم باسم « التكافؤ » (٣٢) ، ومن أمثلته قوله تعالى : « أومن كان ميتا

---

(١٩) عروس الأفراح ٤/٢٨٩ •
(٢٠) الأنعام آية ١ •
(٢١) ابراهيم باية ٣٨ •
(٢٢) بديع القرآن ٣١ •

فأحييناه » (٢٣) ، أى ضالا فهديناه ، فطرفا الطباق من قبيل الاستعارة، ومن هذا قوله تعالى : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » والمراد بالظلمات الضلال والكفر ، وبالنور الهداية والايمان، فالمطابقة بين لفظين مجازيين •

ومن هذا قول الشـاعر :

حلو الشـمائل وهو مر باسل   يحمى الذمار صبيحة الارهاق

فالطباق بين حلو ومر ، وهما مجازان على سبيل الاستعارة •

وقـول الشـاعر :

لقد أحيا المكارم بعد موت   وشاد بناءها بعد انهـدام

فالاحياء والموت ، والشيد والانهدام ألفاظ واردة على سـبيل المجـاز لا الحقيقـة •

وما كان أحد طرفيه حقيقة والآخر مجازا ، ومن هذا قول الشاعر :

لا تعجبى يا سـلم من رجـل   ضحك المشيب برأسـه فبكى

فطابق بين ضحك وبكى والأول من قبيل المجاز والثانى من قبيل الحقيقة ، ويسمى هذا « ايهام التضاد » •

والطباق باعتبار الاثبات والنفى على قسمين : طباق الايجـاب وطبـاق السـلب •

فطباق الايجاب ما كان طرفاه مثبتين معا أو منفيين معا •

وكل الأمثلة التى قدمناها من طباق الايجاب المثبت ، ومنه أيضـا

(٢٣) الأنعـام آيـة ١٢٢ •

قوله تعالى « والله يقبض ويبسط واليه ترجعون » (٢٤) ، فبين يقبض ويبسط طباق ايجاب مثبت ، يبين أن سعة الرزق وضيقه بقـــدرة الله تعالى ، ويعلل ما فى صدر الآية من أن الله تعـــالى يعطى المنفقين فى سـبيله أضعـــافا كثيرة •

ومن طبـــاق الايجاب المنفى قوله تعـــالى : « ثم لا يموت فيهـــا ولا يحيا » (٢٥) ، فوقع الطباق بين طرفين منفيين معا ، ولو كان أحدهما مثبتا ما وجدت المطابقة • ومنه قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم » (٢٦) ، ففيه طبـــاق بين منفيين « لا ينفعهم » و « لا يضـــــرهم » •

وقد اجتمع اللونان فى قول الفرزدق :

لعـــن الاله بنى كليب انهـــم لا يغـــدرون ولا يفـــون لجار

يستيقظون الى نهيق حمارهم وتنـــام أعينهم عن الأوتار

ففى البيت الأول طبـــاق ايجـــاب منفى بين « لا يغـــدرون » و « لا يفون » ، وفى البيت الثانى طباق ايجاب مثبت بين « يستيقظون » و « تنام » ، وقد اشتمل البيت الأول على لونين من ألوان الاطنـــاب بجانب المطابقة ، أشار اليهما الخطيب القزوينى فقال : وفى البيت الأول « تكميل » (٢٧) حسن اذ لو اقتصر على قوله « لا يغدرون » لاحتمل الكلام ضربا من المدح ، اذ تجنب الغدر قد يكون عن عفة ، فقـــال « لا يفون » ليفيد أنه للعجز ، كماأن ترك الوفاء للؤم ، وحصل مع ذلك

---

(٢٤) البقـــرة آيـــة ٢٤٥ •
(٢٥) الأعلى آيـــة ١٣ •
(٢٦) الفرقـــان آيـــة ٥٥ •
(٢٧) التكميل : ان يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه •

« ايغال » حسن ، لانه لو اقتصر على قوله « لا يغدرون ولا يفون » تم المعنى الذى قصده ، ولكنه لما احتاج الى القافية أفاد بهـا معنى زائدا حيث قال : « لجار » لان ترك الوفاء للجار أشد قبحا من ترك الوفـاء لغـيره (٢٩) .

وطباق السلب هو الجمع بين فعلى مصدر واحد أحدهمـا مثبت والآخر منفى ، أو الجمع بين فعلين أحدهما أمر والآخر نهى .

فمن النوع الأول قوله تعالى : « قل هل يسـتوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٣٠) ، فبين « يعلمون و لا يعلمون » طباق سلب والأول مثبت والآخر منفى .

ومنه قول السموءل :

وننكر ان شـئنا على الناس قولهـم
ولا ينكـرون القول حين نقـول

وقول البحتـــرى :

يفيض لى من حيث لا أعلم النـوى
ويسرى الى الشـوق من حيث أعلم

وقـول زهـــير :

أخو ثقة لا يهلك الخمـر مالـه
ولكنـه قد يهـلك المـال نائله

---

(٢٨) الايغال : ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها .
(٢٩) الايضــاح ٦/١٠ .
(٣٠) الزمـــر آيـة ٩ .

وقول أبى الطيب :

ولقـــد عرفت وما عرفت حقيقـــة
ولقـــد جهلت وما جهلت خمـــولا

ومن النوع الثانى قـــوله تعـــالى : « فلا تخشـــــوا الناس واخشون »(٣١) ، فبين « لا تخشوا و اخشون » طباق سلب والأول نهى والثانى أمر • وقوله تعالى : « اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء »(٣٢) ، فبين « اتبعوا و لا تتبعوا » طبـــاق سلب ، والأول أمر والثانى نهى •

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « كونوا للعلم وعاة ولا تكونوا له رواة »(٣٣) ، فطابق بين كونوا ولا تكونوا والأول أمر والثانى نهى •

والطباق باعتبار موقع التضاد على قسمين : طباق لفظى وهو ما كان التضاد فيه واقعا بين الألفاظ كالأمثلة التى قدمناها ، وطباق معنوى وهو الذى يتم فيه الجمع بين الشىء وضده فى المعنى لا فى اللفظ ، كقـــوله تعالى « الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء »(٣٤) ، ففيه مطابقة معنوية بين « فراشا و بناء » ولا تضاد بينهما فى اللفظ ، انما التضاد بينهما فى المعنى اذ البناء رفع للمبنى ، فمعناه مضاد للفراش الذى هو على خلاف البنـــــاء •

ومنه قوله تعالى : « ان أنتم الا تكذبون ، قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون »(٣٥) ، فالمعنى : ربنا يعلم انا لصادقون(٣٦) • وهذا مضاد للحكم عليهم بالكذب •

---

(٣١) المائـــدة آيـــة ٤٤ •
(٣٢) الأعـــــراف آيـــة ٣ •
(٣٣) الجامع الصغير ٢/٩٧ •
(٣٤) البقـــــرة آيـــة ٢٢ •
(٣٥) يس آية ١٥ ، ١٦ •
(٣٦) معترك الأقــــــران ١/٤١٥ •

ومنه قول المقنع الكندى :

لهم جل مـالى ان تتتـابع لى غنى
وان قل مـالى لا أكلفهـم رفـدا

ففيه طبـاق معنـوى بين « تتابع وقل » لان تتابع بمعنى كثر والكثرة ضد القلة • ونحوه قول الشاعر :

فان تقتلونى فى الحـديد فاننى
قتلت أخاكم مطلقـا لم يقيـد

فقوله « فى الحديد » يعنى أنه مقيد ، وهو مضاد لمطلق ، فبينهما طبـاق معنـوى •

ومن الطباق لون يسمى « التدبيج » من دبج المطـر الأرض أى زينها ، وهو : أن يذكر فى معنى من المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية ، فأما تدبيج الكناية فكقوله تعالى : « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » (٣٧) فان المراد بذلك ــ والله أعلم ــ الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق ، لان الجادة البيضاء هى الطريق الملحوب التى كثر السلوك عليها جدا ، وهى أوضح الطرق وأبينها ، ولهذا قيل ركب بهم المحجة البيضاء ، ودونها الحمراء ، ودون الحمراء السوداء ، التى كأنها فى الخفاء والالتباس ضـد البيضاء فى الظهور والوضوح •

ولما كانت هذه الألوان الثلاثة فى الظهور للعين طرفين وواسـطة بينهما ، فالطرف الأعلى فى الظهور : البياض ، والطرف الأدنى فى الخفاء السواد ، والأحمر بينهما ، على حكم وضع الألوان فى التركيب ، وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة ، والهداية بكل علم نصب

---

(٣٧) فاطـر آية ٢٧ •

للهداية منقسمة هذه القسمة ، أتت الآية الكريمة على هــذا التقسيم ، فحصل فيها التدبيج ، وصحة التقسيم (٣٨) ، وهي مسوقة للاعتــداد بالنعم على ما هدت اليه من السعي في طلب المصالح والمنافع ، وتجنب المعاطب والمهالك الدنيوية والأخروية (٣٩) .

ومنه قول أبي تمام في مرثية محمد بن حميد ، وقد مات شهيدا :

تردى ثيــاب الموت حمــرا فما أتى

لها الليل الا وهي من سندس خضر

يقصد أنه لبس الثياب الملطخة بالدم حين قتل ، ولم يدخل عليــه الليل حتى صارت تلك الثياب سندسا أخضر ، فكنى بحمرة الثياب عن القتل ، وكنى بخضرتها عن دخول الجنة ، وبين اللونين طباق التدبيج .

ومنه قول ابن حيوس :

فافخــر بعم عم جــود يمينه   وأب لأفعــال الدنيــة آبي

ببياض عرض واحمرار صوارم   وسواد نقع واخضرار رحاب

فطابق بين البياض والاحمرار والســواد والاخضرار وهي ألوان مذكورة على سبيل الكناية ، فبياض العرض كناية عن الشرف والفضيلة ، واحمرار الصوارم كناية عن كثرة القتلى بها ، وسواد النقع كناية عن شدة الحرب ، واخضرار الرحاب كناية عن طيب العيش ورغده .

وأما تدبيج التورية فقد جاء في قول الحريري (٤٠) ، فمذ ازور

---

(٣٨) التقسيم من الون البديع وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين .

(٣٩) بديع القــرآن ٢٤٢ .

(٤٠) شرح مقــامات الحريري ٢/ ٤١ .

المحبوب الأصفر ، واغبر العيش الأخضر ، اسود يومى الأبيض ، و ابيض فودى الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فيا حبذا الموت الأحمر . فجمع بين ألوان مختلفة ، والأول منها مذكور بقصد التورية ، فالمحبوب الأصفر له معنيان : معنى قريب : وهو محبوبه الموصوف بالصفرة ، ومعنى ازوراره : ميله عنه وعدم اتصاله به ، ومعنى بعيد : وهو الذهب ، وهذا المعنى هو المقصود . وأما الألوان الأخرى فمذكورة على سبيل الكناية ، فاغبرار العيش كناية عن ضيقه ونقصانه ، واخضراره كناية عن طيبه ونعومته ، وسواد اليوم كناية عن الحزن والغم ، وبياضه كناية عن السرور والفرح ، والفود : شعر جانب الرأس وبياض الفود كناية عن كثرة الهموم والأحزان ، ووصف العدو بالزرقة كناية عن شدة عداوته ، ووصف الموت بالحمرة كناية عن شدته . وعلى هذا ففى قول الحريرى تدبيج التورية وتدبيج الكناية .

ومن الطباق نوع يسمى « طباق الترديد » وهو أن ترد آخر الكلام المطابق على أوله ، فان لم يكن الكلام مطابقا فهو من رد الاعجاز على الصدور ، ومنه قول الأعشى :

لا يرقع الناس ما أوهوا وان جهدوا

طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا (٤١)

فطابق بالسلب بين لا يرقع ورقعوا ، وبين أوهوا ولا يوهون ، ورد آخر الكلام المطابق على أوله .

ويدخل فى الطباق ما كان التضاد فيه خفيا محتاجا الى تأويل وهو قسمان :

أحدهما : الجمع بين معنيين لا يتنافيان فى ذاتهما ، ولكن يتعلق

---

(٤١) خزانة الأدب ١/١٦٠ .

أحدهما بما يقابل الآخر بسببية أو لزوم أو نحوهما • مثال ذلك قوله تعالى : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » (٤٢) ، فان الرحمة ليست ضد الشدة ، ولكنها مسببة عن اللين الذى هو ضدها ، فلما ذكر المتسبب عن أحد الضدين كان ذكره مع الضد الآخر كالطباق ومن ثم ألحق به •

ومنه قوله تعالى : « مما خطيآتهم أغرقوا فأدخلوا نارا » (٤٣) ، ففيه طباق بين « أغرقوا وأدخلوا نارا » وادخال النار ليس مضـــادا للاغراق ، ولكنه يستلزم الاحراق المضاد للاغراق • ومنه قوله تعالى : « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا » (٤٤) ، فالنار تستلزم اللون الأحمر ، فكأنه جمع بين الأخضر والأحمر وهو طباق التدبيج (٤٥) •

قال الخطيب : ومن فاسد هذا الضرب قول أبى الطيب :

لمن تطلب الدنيـــا اذا لم ترد بهـــا

سرور محب أو اســاءة مجــرم

فان ضد المحب هو المبغض ، والمجرم قد لا يكون مبغضـــا ، وله وجه بعيد (٤٦) •

وفسر السبكى هذا الوجه بأن بين الاجرام والبغض تلازما ادعائيا، كأنه يشير الى أن المجـــرم لا يكون الا مبغضـــا له ، لمنافاة حاله حال المجرم (٤٧) ، ومثل هذا كلمة « اساءة » فانها ليست ضد السرور ولكن يوجد بينها وبين الحزن الذى هو ضد السرور تلازم •

---

(٤٢) الفتـــح آيـــة ٢٩ •
(٤٣) نـــوح آيـــة ٢٠ •
(٤٤) يس آيـــة ٨٠ •
(٤٥) أنظر البرهان ٣/٤٥٧ •
(٤٦) الايضـــاح ٦/٢٤ •
(٤٧) عروس الأفراح ٤/٢٩٥ •

وبهذا الوجه تكون المطابقة فى بيت أبى الطيب لا غبار عليها ، خصوصا انهم يعتدون فى المطابقة بوجود وجه من التقابل ولو كان بتأول • ومما ينبغى اللفت اليه أن هذا البيت يعتبر مثالا للمقابلة حسب تعريف الخطيب لها ففى جعله من الطباق نظر ، وان كان قد عد المقابلة نوعا من الطباق كما سيأتى :

والثانى : الجمع بين معنيين غير متقابلين عبر عنهما بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان ، ويسمى هذا « ايهام التضاد » ومنه قول دعبل الخزاعى :

لا تعجبى يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فقد جمع بين الضحك والبكاء ، وضحك المشيب معناه ظهوره وانتشاره ، وهذا المعنى المقصود لايضاد البكاء ، ولكن الذى يضاد البكاء هو المعنى الحقيقى للضحك ، فبين الكلمتين تضاد فى المعنى الحقيقى لا فى المعنى المراد فى البيت •

ومثله قول أبى تمام فى الشيب :

له منظر فى العين أبيض ناصع
ولكنه فى القلب أسود أسفع

فالسواد هنا استعارة لما يحدثه الشيب فى النفس من هم وحزن ، وهذا المعنى المقصود لا يضاد البياض ، انما ضده هو السواد الحقيقى •

ترشيح الطباق :

قالوا ومجرد الجمع بين المتضادين فى الكلام أمر ميسور ، فينبغى أن يرشح الطباق بلون آخر من ألوان البديع يشاركه البهجة والرونق ويزيد من حسن الكلام وفخامة المعنى (٤٨) •

---

(٤٨) خزانة الأدب ١/١٦٠ ، وشرح عقود الجمان ٢/٨٢ •

تجد ذلك فى قوله تعالى : « تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب » (٤٩) ، فقد رشح الطباق بلونين هما العكس والتكميل ، قال ابن حجة الحموى : ففى العطف بقوله تعالى : « وترزق من تشاء بغير حساب » دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة قدر على أن يرزق بغير حساب من شاء من عباده ، وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى ، فانظر الى عظم كلام الخالق هنا ، فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية ، والعكس الذى لا يدرك ، لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل التى لا تليق بغير قدرته (٥٠) .

وفى قوله تعالى : « هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا » (٥١) ، وقعت المطابقة بين الخوف والطمع ، ورشحت بالتقسيم البديع الذى أضفى عليها فخامة وجعل الحكم جامعا قاطعا ، اذ ليس فى رؤية البرق الا الخوف من الصواعق ، والطمع فى الأمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين .

ومن ذلك قول امرىء القيس :

مكر مفر مقبل مدبر معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل

فطابق بين الكر والفر ، والاقبال والادبار ، ورشح الطباق بالتكميل فى قوله « معا » فزاده تكميلا فى غاية الكمال ، حيث دل بذلك على قرب الحركة فى جميع الحالات ، ولو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذا الموقع ولا كانت بهذه البهجة ، ثم انه استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل الى التشبيه على سبيل الاستطراد

---

(٤٩) آل عمران آية ٢٧ .
(٥٠) خزانة الأدب ١٦١/١ .
(٥١) الرعد آية ١٢ .

البديعى ، وبذلك اشتمل قوله على المطابقة والتكميل والاستطراد (٥٢) .

ومنه قول أبى تمام :

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى
متونهن جلاء الشك والريب

حيث رشح الطباق بالجناس فجمع بين المعانى المتضادة والألفاظ المتجانسة ، وأفرغ الكلام فى قالب القصر ، ، فجاءت عبارته فخمة ذات معنى قوى محدد .

بلاغة الطباق :

والطباق لون بديعى فطرى يشيع فى أساليب العامة والخاصة ، بناء على ما هو مركوز فى الطباع من مقارنة بين الاضداد وموازنة بين المتقابلات . نظراً لكثرتها أمام الأنظار فى مشاهد الكون،ومظاهر الحياة، وصفات الخلائق على اختلاف ألوانها.وهو من الفنون التى تربط الكلام ببعضه عن طريق علاقة التضاد ، فالضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده .

وللطباق شعب خفية ، وفيه مكامن تغمض ، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب ، والذهن اللطيف (٥٣) .

ولذلك فان بلاغة الطباق لا تكمن فى مجرد الجمع بين المعانى المتقابلة والألفاظ المتضادة ، فهذه حلية شكلية وزخرفة لفظية ، لا تقاس بها جودة الاسلوب ولا تقدر بها قيمته .

وانما ترجع بلاغة الطباق الى تأثيره فى ناحيتين :

---

(٥٢) أنظر خزانة الأدب ١/١٦١ .
(٥٣) الوساطة ٤٤ .

ناحية لفظية : وذلك بمجيئه فى الاسلوب سلسا طيعا غير متكلف ، فيخلع عليه جزالة وفخامة ، ويجعل له وقعا جميلا مؤثرا •

وناحية معنوية : بما يحققه من ايضاح المعنى واظهاره ، وتأكيده وتقويته ، عن طريق المقارنة بين الضدين ، وتصور أحد الضدين فيه تصور للآخر ، وعلى هذا فالذهن عند ذكر الضد يكون مهيأ للآخر ومستعدا له ، فاذا ورد عليه ثبت وتأكد فيه •

وينبغى أن يكون الأثر المعنوى للطباق هو القائد اليه ، والدافع نحوه ، وقد أكد الامام عبد القاهر على الاضافة المعنوية للطباق وسائر فنون البديع ، وجعل عليها مدار الحسن والقبح فقال : وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع ، فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما الا من جهة المعانى خاصة ، من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك نصيب ، أو يكون لها فى التحسين أو خلاف التحسين تصعيد وتصويب •• والتطبيق أمره أبين وكونه معنويا أجلى وأظهر ، فهو مقابلة الشىء بضده ، والتضاد بين الألفاظ المركبة محال ، وليس لأحكام المقابلة ثم مجال (٥٤) •

وقد يأتى الطباق مصنوعا متكلفا ، لا طائل تحته ، ولا محصول وراءه ، وذلك عندما يتعمد القائل توشية كلامة بالصبغ البديعى دون نظر الى ما يحققه من قيمة فى الاسلوب ، وحيثما جاء الطباق بهذه الصورة فهو طباق معيب ، لانه صار مجرد حلية شكلية وتلاعب لفظى ، وبلاغة الكلام بمنأى عن ذلك • ولذا رأينا النقاد يعيبون كثيرا من الأقوال التى سرت فيها المطابقة المتكلفة فأفسدتها ، وأخرجتها عن نطاق البلاغة•

من ذلك قول الأخطل :

قلت المقام وناعب قال النوى   فعصيت أمرى والمطاع غراب

---

(٥٤) اسرار البلاغة ١٣ ، ١٤ •

اذ قالوا : ان هذا من غث الكلام وبارده (٥٥) • وما ذاك الا لان الشاعر تعمد المطابقة فأجهد نفسه فى الاتيان بها غير عابىء بما أحدثته من ثقل وقلق فى البيت ، فجاء جسدا بلا روح •

وشبيه بهذا قول أبى تمام :

قد لان أكثر ما تريد وبعضـــه خشن وانى بالنجاح لواثق

فأغرى بالمطابقة بين « لان و خشن » مع قبحها وعدم حاجة المعنى اليها وضد الليونة الشدة أما الخشونة فهى مضادة النعومة •

ونحـــوه قـــوله :

وان خفــرت أموال قــوم أكفهــم

من النيــل والجدوى فكفــاه مقطع

فتكلف الطباق بين « خفر و مقطع » وهى مطابقة رديئة ، بجانب افسادها للمعنى فهو يقول : اذا كانت يد الرجل كالخفير لماله تحفظه من السؤال ، فكفاه مقطع ، أى يقطع فيهما الطريق على المال ، لان العادة جارية بأن المال يؤخذ فى قطع الطريق (٥٦) •

ومن هذا قول الشاعر فى القاسم بن عبيد الله :

من كان يعــلم كيف رقــة طبعــه

هو مقســم أن الهـــواء ثخين

فتكلف المطابقة بين « رقة و ثخين » وهى مطابقة فاسدة ، بجانب ما فى المعنى من احالة •

---

(٥٥) الصـــناعتين ٢٤٨ •

المقـــــــابلة

وهى لغة المواجهة والمعارضة تقول : قابلت الشىء بالشىء مقابلة اذا عارضـــته به وواجهته • وفى اصطلاح البلاغيين : أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم بما يقابل ذلك على الترتيب (١) •

والمراد بالتوافق خلاف التقابل والتنـــافى ، فيشمل المتناسبين كالشمس والقمر ، والمتماثلين فى أصل الحقيقة مع عـــدم التناسب فى المفهوم كمصدوق القائم والانسان ، والخلافيين كالانسان والطائر (٢) •

ومن مشهور أمثلتهـــا قوله تعالى : « فليضحكوا قليلا وليبكـــوا كثيرا » (٣) •

فالضحك والقلة معنيان متوافقان ، والبكاء والكثرة كذلك ، وقوبل بين الطرفين على الترتيب ، فالبكاء يقابل الضحك والكثرة تقابل القلة •

وأكثر البلاغيين يجعلون المقابلة لونا مستقلا من ألوان البـــديع ، ويبحثونها فى باب خاص بها ، وخالفهم الخطيب القزوينى فى ذلك فأدخلها فى الطباق وجعلها قسما منه •

ونؤيد رأى الجمهور فى جعل المقـــابلة لونا مستقـــلا يختلف عن الطباق ، وقد فرق ابن أبى الاصبع بينهما من وجهين :

الأول : أن المطابقة لا تكون الا بالجمع بين ضدين ، والمقابلة تكون غالبا بالجمع بين أربعة أضداد ، ضدان فى صدر الكلام وضدان فى عجزه،

---

(١) الايضـــــاح ٦/١٦ •
(٢) شروح التلخيص ٤/٢٩٧ •
(٣) التـــوبة آيـــة ٨٢ •

وتبلغ الى الجمع بين عشرة أضداد : خمسة فى الصدر وخمسة فى العجز ٠

والثانى : أن المطابقة لا تكون الا بالاضداد ، والمقـــابلة تكون بالاضداد وبغير الاضـــداد (٤) ٠

وفرق العلامة عبد الحكيم بينهما من وجه آخر دقيق مؤيدا نظرة السكاكى فى جعل المقابلة لونا مستقلا فقال : ان الطباق يحصـــل فيـــه التوافق بعد التنافى ، ولذا سمى بالطباق ، وفى المقابلة يحصل التنـــافى بعد التوافق ، ولذا سمى بالمقابلة ، وفى كليهما ايراد المعنيين بصـــورة غريبة ، فكل منهما محسن بانفراده ، واستلزام أحدهما للآخر لا يستلزم دخوله فيه فالحق مع السكاكى رحمه الله (٥) ٠

وحاصل كلامه أن الطباق يحصـــل فيه جمع وتوافق بين صـــفتين متنافيتين متضادتين كالحياة والموت ، والضحك والبكاء ، أما المقابلة فتأتى فيها المعانى متوافقة أولا ثم يحصل بينها التنافى والتضاد بسبب الجمع ، فالضحك والقلة متوافقان والبكاء والكثرة متوافقان ، ثم حصـــل بين الطرفين تناف بعد الجمع بينهما ٠ فكل من الطباق والمقابلة يختلف عن الآخر فى شكله ومضمونه ، وهذا ما يؤكد على استقلال كل منهما ٠

صـــور المقـــابلة :

وتتنوع المقابلة بحسب المعانى التى تتضمنها كما يلى :

١ ـــ مقابلة معنيين بمعنيين كقوله تعالى فى شأن فرعون « يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم » (٦) فاستحياء النساء يقابل تذبيح الأبناء ٠

---

(٤) تحرير التحبير ١٧٩ ٠
(٥) حاشية عبد الحكيم ٤٩٣ ٠
(٦) القصص آيـــة ٤ ٠

وقوله تعالى : « الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر »(٧) ، فالنهى عن المنكر يقابل الأمر بالمعروف • وقوله تعالى « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها »(٨) ، فخاب يقابل أفلح ، ودساها يقابل زكاها • ومعنى زكاها : نماها بالعلم والعمل ، ومعنى دساها : نقصها وأخفاها بالجهالة والفسوق(٩) •

ونحو ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « ان الرفق لا يكون فى شىء الا زانه ، ولا ينزع من شىء الا شانه » ففيه مقابلة بين لا يكون فى شىء ولا ينزع من شىء ، وزانه وشانه • ونحوه توقيع الرشيد فى نكبة البرامكة : « أنبتتهم الطاعة وحصدتهم المعصية » • فقابل بين الانبات والحصد ، والطاعة والمعصية • ومن هذا قول الشاعر :

فتى تم فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فقابل بين يسر صديقه ويسوء الأعاديا • ونحوه قول الآخر :

فوا عجبا كيف اتفقنا فناصح ... وفى ومطوى على الغل غادر

فالغل يقابل النصح ، والغدر يقابل الوفاء •

٢ — مقابلة ثلاثة معان بثلاثة معان ، كقوله تعالى : « ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها »(١٠) ، ففيه مقابلة بين تمسسكم وتصبكم ، وحسنة وسيئة ، وتسؤهم ويفرحوا • وقوله تعالى فى صفة الرسول صلى الله عليه وسلم : « ويحل لهم الطيبات ويحرم

---

(٧) التوبة آية ١١٢ •
(٨) الشمس آية ٩ ، ١٠ •
(٩) تفسير البيضاوى ٧٤٢ •
(١٠) آل عمران آية ١٢٠ •

عليهم الخبائث » (١١) • فيه مقابلة بين يحل ويحرم ، ولهم وعليهم ، والطيبات والخبائث • وقوله تعالى : « وازلفت الجنة للمتقين ، وبرزت الجحيم للغاوين » (١٢) فيه مقابلة بين آزلفت وبرزت ، والجنة والجحيم، والمتقين والغـــاوين •

ومن هذه الصورة قول ابراهيم الصابى : « وأعد لمحسنهم جنــة وثوابا ، ولمسيئهم نارا وعقابا » فقابل بين المحسن والمسىء والجنــة والنار والثـــواب والعقـــــاب •

ومنها قـــول أبى دلامة :

ما أحسن الدين والدنيـــا اذا اجتمعا

وأقبح الكفـــر والافلاس بالرجل

فجعل القبح والكفر والافلاس فى مقابلة الحسن والدين واليسار المعبر عنـــه بالدنيـــــا •

وقـــول أبى الطيب :

فلا الجود يفنى المال والجد مقبـــل

ولا البخل يبقى المال والجـــد مدبر

فوضع البخل ويبقى ويدبر فى مقابلة الجود ويفنى ومقبل •

٣ — مقابلة أربعة معان بأربعة معان ، كقوله تعالى : « فأما من أعصى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل

(١١) الأعــراف آيــة ١٥٧ •
(١٢) الشــعراء آيــة ٩٠ ، ٩١ •

واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى »(١٣) ، فبخل يقابل أعطى ، واستغنى يقابل اتقى ، وكذب يقابل صدق ، والعسرى يقابل اليسرى • والتقابل بين استغنى واتقى معنوى ، فالمراد باستغنى : زهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتق ، أوستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة فلم يتق(١٤) •

ومنها قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى وصيته عند الموت : هذا ما أوصى به أبو بكر ، عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها • فقابل أولا بآخر ، والدنيا بالآخرة ، وخارجا بداخل ومنها بفيها •

ومن هذا قول جرير :

وباسط خير فيكم بيمينه ... وقابض شر عنكم بشماليا

فقابل بين البسط والقبض ، والخير والشر ، وفيكم وعنكم ، واليمين والشمال •

ونحوه بيت ابن حجة فى بديعيته :

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا ... ولوا غضابا فيا حربى لغيظهم

فقابل بين المقابلة والتولية ، والرضا والغضب ، والسلم والحرب ، والانشراح والغيظ • والمقابلة فى بيت ابن حجة متكلفة مصنوعة ، ومن ثم تراها ثقيلة غير مقبولة على خلاف ما تقدمها من مقابلات •

٤ ــ مقابلة خمسة معان بخمسة معان ، ومثلوها بقول أبى الطيب :

---

(١٣) الليل آية ٥ ــ ١٠ •
(١٤) الايضاح ١٨/٦ •

ازورهم وسواد الليل يشفع لى   وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

فقابل بين أزور وأنثنى ، وسواد وبياض ، والليل والصبح ، ويشفع ويغرى (١٥) ، ولى وبى • وذكر الخطيب موازنة بين هذا البيت وبيت أبى دلامة السابق فقال : وقد رجح بيت أبى الطيب على بيت أبى دلامة بكثرة المقابلة ، مع سهولة النظم ، وبأن قافية هذا ممكنة ، وقافية ذاك مستدعاة ، فأن ما ذكره غير مختص بالرجال ، ورجع بيت أبى دلامة على بيت أبى الطيب بجودة المقابلة ، فان ضد الليل المحض النهار لا الصبح (١٦) •

ونرى أن ما أخذ على أبى الطيب فى المقابلة بين الليل والصبح يؤخذ على أبى دلامة فى موضعين فقد قابل بين الدين والكفر ، ومقابل الكفر الايمان ، كما قابل بين الدنيا والافلاس ، ومقابل الافلاس الغنى واليسار • وبذلك لا يبقى لبيت أبى دلامة ما يرجحه ، ويظل بيت أبى الطيب فى غاية الحسن ، وقد أثنى عليه كثير من النقاد وجعلوه أمير شعره (١٧) ، كما عد أفضل بيت فى المقابلة (١٨) •

ومن هذا قول النابغة يصف حمارا وأتانا وحشيين :

اذا هبطا سهلا أثارا عجاجة

وان علوا حزنا تشظت جنادل (١٩)

---

(١٥) لما كان الليل يستره عن الرقباء جعله تشفيعا له ، ولما كان الصبح يفضحه ويشهره جعله مغريا به ، وعلى هذا كان التقابل بينهما .

(١٦) الايضاح ٦/١٨ .

(١٧) يتيمة الدهر ١/١٧٧ .

(١٨) المصباح ١٩٠ .

(١٩) عجاجة : غبارا كثيفا ، وتشظت : تكسرت فصارت شظايا ، والجنادل : الحجارة .

فقابل بين اذا وان ، وهبطا وعلوا ، وسهلا وحزنا ، وأثارا وتشظت ، وعجاجة وجنادل •

ومن هذا قول صفى الدين الحلى فى بديعيته :

كان الرضا بدنوى من خواطرهم

فصار سخطى لبعدى عن جوارهم

فقابل بين كان وصار ، والرضا والسخط ، والدنو والبعد ، ومن وعن ، وخواطرهم وجوارهم (٢٠) وعلى كثرة المقابلات فى البيت تراه جافيا جاسيا ، لانه لم يصدر عن طبع بل صدر عن صنعة عمادها تكلف اللون البديعى •

٥ — مقابلة ستة معان بستة معان كقول عنترة :

على رأس عبد تاج عز يزينه

وفى رجل حر قيد ذل يشينه

فقابل كل كلمة فى الشطر الثانى بكل كلمة فى الشطر الأول على الترتيب • وهذا غاية ما وجد فى شعرهم من مقابلات •

وقد توسع كثير من البلاغيين فى مفهوم المقابلة ، فرأوا أنها تتحقق بمقابلة الاضداد ، وغير الاضداد ، وبالموافق ، والمخالف • كل مع شكله ولفقه (٢١) •

وجعل أبو هلال منها نوعامعنويا هو مقابلة الفعل بالفعل ، كما فى

---

(٢٠) شرح الكافية البديعية ٧٥ •

(٢١) أنظر نقد الشعر ١٤١ ، ١٩٣ ، والصناعتين ٢٦٤ ، والعمدة ١٥/٢ ، وبديع القرآن ٧٣ ، وغيرها .

قوله تعالى : « نسوا الله فنسيهم » (٢٢) ، وقوله تعالى : « ومكروا مكرا ومكرنا مكرا » (٢٣) ، فالمكر من الله تعالى العذاب ، جعله الله عز وجل مقابلة لمكرهم بأنبيائه وأهل طاعته (٢٤) • وقد سبق قدامة الى ذكر بعض أمثلة هذا النوع دون أن يذكر أسمه (٢٥) • ومضى على ذلك ابن رشيق وابن سنان (٢٦) •

وقال حازم مشيرا الى المقابلة المعنوية : ومن ضروب المقابلة قول تأبط شرا :

أهز بها فى ندوة الحى عطفه

كما هز عطفى بالهجان الأوارك

فقابل هز عطفه بالمنحة بهز عطف ممدوحه بالمدح (٢٧) •

وعرض ابن الأثير لهذا النوع من المقابلة وأطلق عليه مقابلة الشىء بمثله ، وعلى نهجه مضى العلوى والزركشى (٢٨) • وهذا اللون من الكلام لا يدخل فى المقابلة الاصطلاحية ، وانما هو مقابلة لغوية تقوم على مقابلة فعل بفعل مماثل له ، وكثير من أمثلته داخل فى المشاكلة •

وجعل ابن رشيق من المقابلة لونا سماه الموازنة وهو ما ليس مخالفا ولا موافقا الا فى الوزن والازدواج كقول أبى الطيب :

---

(٢٢) التوبة آية ٦٧ .
(٢٣) النمل اية ٥٠ .
(٢٤) الصناعتين ٢٦٤ .
(٢٥) أنظر نقد الشعر ١٤٢ .
(٢٦) انظر العمدة ١٦/٢ ، وسر الفصاحة ٢٥٨ .
(٢٧) منهاج البلغاء ٥٤ . والهجان الأوارك : الإبل التى ترعى شجر الأراك .
(٢٨) أنظر المثل السائر ٢٨٩ ، والطراز ٣٨٦/٢ ، والبرهان ٤٦١/٣ .

نصيبك فى حياتك من حبيب   يصيبك فى منامك من خيال

فوازن قوله : « فى حياتك بقوله فى منامك » وليس بضده ولا موافقة وكذلك صنع فى الموازنة بين حبيب وخيال • ومن أملح شواهد الموازنة قـــول ذى الرمة :

أستحدث الركب عن أشياعهم خبرا

أم راجع القلب من أطـــرابه طرب ؟

لان قوله « أستحدث الركب » موازن لقوله « أم راجع القلب » وقوله « عن أشياعهم خبرا » موازن لقوله « من أطرابه طرب » وكذلك « الركب موازن للقلب » و « عن موازن لمن » و « أشـــياعهم موازن أطرابه » و « خبرا موازن لطرب » (٢٩) •

وهذا التوسع فى مفهوم المقابلة لدى كثيرين من علمـــاء البلاغـــة يقـــابله ضيق وتشـــدد فى مفهومها لدى السكاكى والخطيب ومن سلك سبيلهما ، فهى لا تتم عندهم الا بمقابلة الاضداد وما يلحق بها ، وعليه فالمقابلة بين غير الاضداد ، والمقابلة المعنـــوية ، والموازنة ، لا تدخل عندهم فى باب المقابلة • وترتب على هذا وجود شواهد للمقابلة عنـــد المتوسعين فى مفهومها لا تعد من باب المقـــابلة حسب رأى الســـكاكى والخطيب ، من ذلك قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » (٣٠) ، فقد جعلها ابن رشيق من معجز المقابلة (٣١) ، وعدها ابن أبى الاصبع كذلك ، وحللها تحليلا بديعيا جيدا ، نجد لزاما علينا ذكره — رغم طوله — لنظهر بعض جهود السابقين فى دراسة بديع القرآن •

---

(٢٩) العمـــدة ٢/١٩ ، ٢٠ •
(٣٠) القصص آيـــة ٧٣ •
(٣١) انظر العمـــدة ٢/١٧ •

قال ابن أبى الاصبع : ومن معجز المقابلة فى القرآن الكريم قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » فانظر الى مجيء الليل والنهار فى صدر الكلام ، وهما ضدان ، ومجيء السكون والحركة فى عجز الكلام ، وهما ضدان ، ومقـابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب ، وكيف عبر سبحانه عن الحركة بلفظ الارداف ، فاستلزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة ، والذى أوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة ، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة ، وهى تشير الى الاعانة بالقوة ، وحسن الاختيار ، الدال على رجاحـة العقل وسلامة الحس ، ويستلزم اضاءة الظرف الذى تلك الحـركة المخصوصة واقعة فيه ، ليهتدى المتحرك الى بلوغ المآرب ووجوه المصالح ويتقى أسباب المعاطب ، والآية سيقت للاعتداد بالنعم ، فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه وتابعه ، ليتم حسن البيان ، فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المنافع والمصالح التى لو عددت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها الى ألفاظ كثيرة ، فحصل فى الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن ، ألا تراه سبحانه جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال « لتسكنوا و لتبتغوا » بلام التعليل ، فجمعت هذه الكلمات : المقابلة — والتعليل — والاشارة — والارداف — والائتلاف — وحسن البيان — وحسن النسق، لمجيء الكلام فيها متلاحما آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض ، ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميع ما عدده من النعم بلفظه الخاص ، وما تضمنته العبارة من النعم التى هى من لفظى الاشارة والارداف بعض رحمته ، حيث قال بحرف التبعيض « ومن رحمته » وكل هذا فى بعض آية عدتها احدى عشرة لفظة،فالحظ هذه البلاغة الباهرة ، والفصاحة الظاهرة (٣٢) .

وهذا التحليل الدقيق يجلى لك صورة من صور الاعجـاز البلاغى

---

(٣٢) بديع القرآن ٧٣ ، ٧٤ . وخزانة الأدب ١/ ١٣٠ .

للقرآن الكريم ، ويوضح لك منهج ابن أبى الاصبع فى دراسة البديع القرآنى وتحليل شــواهده •

وانما جعــل ابن أبى الاصبع هــذه الآية من قبيل المقــابلة لانه لا يشترط فى المعانى المتقابلة أن تكون متوافقة ، بل تتأتى المقابلة عنده بالمخالف والموافق ، والمضاد وغيره على السواء •

والآية على رأى السكاكى والخطيب لا مقابلة فيها ، لان مدارها عندهما على الجمع بين المعانى المتوافقة وما يقابلها على الترتيب ، وفى الآية جمع بين معنيين متقابلين وما يوافقهما على عكس المقابلة ، وعلى هذا فما فى الآية عندهما من قبيل الطباق ، وقد اجتمع فيها طبــاقان : الأول : طباق لفظى بين الليل والنهار ، والثانى : طباق معنــــوى بين لتسكنوا ولتبتغوا ، فان ابتغاء الفضل يستلزم الحركة التى هى مضادة للسكون ، كما أن فى الآية لونا بديعيا آخر هو اللف والنشر ، حيث ذكر الليل والنهار ، ثم ذكر ما لكل واحد منهما من غير تعيين •

ومذهب الســـكاكى والخطيب أدق وأضبط وأبعــد عن الخلط بين صور البديع ، وان كنا نميل الى التوسع فى مفهوم المقابلة بما لا يؤدى الى تداخل الفنون وخلطها ، لنرى المقابلة تضم المشاهد التى تنهض على الموازنات والمقارنات بين أنماط مختلفة وأصناف متباينة ، وان لم تكن أطرافها متساوية العدد ، متضادة المعانى ، منظومة على الترتيب •

وعلى هذا فالمشاهد القرآنية فى وصف المؤمنين والكافرين ، والجنة والنار ، والثواب والعقاب ، والمشاهد التى تصف الآيات الكونية وغيرها مما يرد على نمط المقارنة والموازنة ، ينبغى أن تنضوى تحت لواء المقابلة، فقوله تعالى : « ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنــات تجرى من تحتها الأنهار والذين كفــروا يتمتعون ويأكلون كمــا تأكل

الأنعام والنار مثوى لهم » (٣٣) • وقوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » (٣٤) • وقوله تعالى : « وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا » (٣٥) • وقوله تعالى : « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها ، والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها ، والسماء وما بناها ، والأرض وما طحاها » (٣٦) ، كل هذا وما يشبهه يدخل فى باب المقابلة دون نظر الى التضاد أو الترتيب أو العدد •

وهذه اشارة يسيرة الى موضوع كبير ينبغى أن يدرس باتقان ، فالنظم القرآنى مشحون بالمشاهد المتقابلة ، والصور التى تقوم على المقارنة والموازنة •

بلاغة المقابلة :

والمقابلة البليغة ما جاءت صحيحة مطبوعة • وصحة المقابلة تتحقق من ترتيب الكلام على ما ينبغى ، فاذا أتى المتكلم فى صدر كلامه بأشياء قابلها فى عجزه بما يلائمها من أضدادها أو أغيارها من المخالف والموافق على الترتيب (٣٧) •

وقد مرت بك أمثلة كثيرة تستطيع أن تتبين فيها ذلك بوضوح •

فاذا قابل القائل أحد المعانى بما لا يخالف الآخر ولا يوافقه فالمقابلة فاسدة لعدم التلاؤم بين المعانى • من ذلك أن يقال : فلان شديد

---

(٣٣) محمد آية ١٢ .
(٣٤) البقرة آية ٢٦٨ .
(٣٥) الفرقان آية ٤٧ .
(٣٦) الشمس آية ١ — ٦ .
(٣٧) أنظر نقد الشعر ١٤١ ، وبديع القرآن ٧٣ •

البأس ، نقى الثغر ، أو جواد الكف أبيض الثوب ، فالمقابلة فى المثالين فاسدة ، لان نقاء الثغر لا يخالف شدة البأس ولا يوافقه ، وبياض الثوب لا يخالف جواد الكف ولا يوافقه ، فالمعانى غير متلائمة . والصحيح أن يقال : فلان شديد البأس عظيم النكاية ، وجواد الكف كثير العرف ، ونحو ذلك من المعانى المتناسبة (٣٨) .

ومن المقابلة الفاسدة قول أبى على القرشى :

يا ابن خير الأخيار من عبد شمس

أنت زين الدنيا وغيث الجنود

فليس قوله « وغيث الجنود » موافقا لقوله « زين الدنيا » ولا مضادا وذلك عيب أفسد المقابلة . ومن فاسد المقابلة قول امرىء القيس :

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

فليس « سوية » بموافق « لتساقط » ولا مخالف له ، ولهذا غيره أهل المعرفة فجعلوه « جميعة » لانه بمقابلة « تساقط » أليق (٤٠) .

وكما يجب أن تكون المقابلة صحيحة ينبغى أن تكون مطبوعة سلسلة غير متكلفة ولا مصنوعة بقصد التلوين البديعى ، فانها ان جاءت متكلفة سمجت وعافتها الاسماع والعقول ولو كانت صحيحة شكلا ، وأكبر دليل على هذا أبيات البديعيات ، انك تجد المقابلة فيها صحيحة

---

(٣٨) الصناعتين ٢٦٦ .
(٣٩) نقد الشعر ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٤٠) الصناعتين ٢٦٦ . وتساقط بضم التاء أى يموت بموتها خلق كثير .

من حيث الشكل ومع هذا لا تجد فيها ماء ، ولا تحس لها رونقا ، وقد سقنا من ذلك بيتين لصفى الدين الحلى وابن حجة ، يوضحان لك هذا الأمر ، ويضاف اليهما بيت ابن جابر فى بديعيته :

بواطىء فـــوق خد الصبح مشتهر
وطائر تحت ذيل الليـــل مكتتم

فقابل بين : واطىء وطائر ، وفوق وتحت ، وخد وذيل ، والصبح والليل ، ومشتهر ومكتتم ، وعلى الرغم من كثرة المقابلات فالبيت ثقيل على اللسان ، ممجوج فى الآذان ، وسر ذلك مبناه على التكلف وقيامه على التعمل لجلب اللون البديعى ، دون نظر الى قيمته فى الاسلوب ، وأثره فى أداء المعنى المراد •

وذكر ابن حجة أن علماء البديع على انه كلما كثر عدد المقابلات كانت أبلغ (٤١) •

وهذا أساس غير صحيح ، فأبلغية المقابلات لا تتوقف على عددها فى الاسلوب ، والمقابلة بين معنيين قد تكون أبلغ مما لو كانت بين أكثر من ذلك ، وتكدس المقابلات فى الاسلوب يؤدى الى ثقل ألفاظه وخفة معانيه ، فلا تعثر على معنى ذى بال فى زحام الألفاظ المتقابلة ، ومن ثم نرى المقابلة فى الاساليب الأدبية كثيرا ما تكون بين معنيين ، وتقل بين ثلاثة وتندر بين أربعة أو خمسة • وقد أشرنا آنفا الى أن كثرة المقابلات فى أبيات البديعيات لم ترفع من قيمتها فى ميزان البلاغة •

والمقابلة البليغة تؤثر فى الاسلوب شكلا ومضمونا • ففى الشكل توجد فيه نمطا من التوازن والتناسب له حسنه وبهاؤه ، فالألفـــاظ متجانسة ، والجمل متوازنة ، والتقابل بينها يحدث أثرا صوتيا له قيمته

(٤١) خـــزانة الأدب ١٣١/١ •

فى وقع الاسلوب • وفى المضمون تظهر المعنى واضحا قويا مترابطا ، ففيها يتم ذكر الشىء ومقابله ، وعقد مقارنة بينهما ، فتتضح خصائص كل منهما ، وتتحدد المعانى المرادة فى الذهن تحديدا قويا • وهى من هذه الناحية تشبه المطابقة ، الا أن قيام المقابلة على الجمل ، وبناؤها على المواجهة بين معنيين فأكثر يضيف لها خاصية لا توجد فى المطابقة •

اقرأ قوله تعالى : « وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا » (٤٢) ، وقوله تعالى : « وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » (٤٣) ، وقوله تعالى : « ان الأبرار لفى نعيم ، وان الفجار لفى جحيم » (٤٤) ، وتأمل ما فى الآيات من مقابلات معجزة ، انك تحس أثرها اللفظى فى سبك الاسلوب سبكا قويا ، واظهاره فى صورة بديعة تأسر الأسماع ، وتخلب الألباب بكلماتها المتلائمة ، وجملها المتوازنة ، وايقاعها الأخاذ ، ولا يحدث شىء من هذا ان تغيرت الجمل عن نظمها المتقابل •

كما تلحظ أثرها المعنوى جليا معاينا ، فالمقابلة الأولى بين الليل والنهار ، واللباس والمعاش ، تريك منة الله تعالى على عباده بالليل والنهار وما لكل منهما من خاصية تميزه ، ولا يمكن أن تقوم الحياة الا بهما معا وهما يتعاقبان على هذا النظام المتقابل فى الوجود كما تتقابل العبارة عنه ، فلا تملك ازاء هذا النظام الدقيق الا أن تسبح بحمد مالك القوى والقدر •

والمقابلة الثانية بين العذب الفرات والملح الأجاج تدرك منها الفرق الشاسع بين البحرين وقد جعلهما الله متجاورين متلاصقين دون امتزاج ،

---

(٤٢) النبأ آية ١٠ ، ١١ .
(٤٣) الفرقان آية ٥٣ .
(٤٤) الانفطار آية ١٣ ، ١٤ .

أحدهما عذب فرات سائغ للشاربين ، والآخر ملح خالص الملوحة يعافه الوراد ، ومع هذا التقابل التام بينهما الا أنهما ضروريان معا لوجـود الحيـــاة •

والمقابلة الثالثة بين الأبرار والفجار والنعيم والجحيم تطلعك على مشهد من مشاهد الآخرة ، ترى فيه تناقض الأجزية واختلافها تبعـا لتناقض الأعمال فى الدنيا ، فالأبرار فى نعيم عظيم ، والفجار فى جحيم أليم،ومواجهة كل فريق بالآخر فى العبارة ، تجلى الفرق بينهما ماثلا أمام العيون ، مما يبعث على المسارعة الى طريق الأبرار ، والتبـــاعد عن طريق الفجـــــار •

***

مراعـــــاة النظـــــير

ولهذا اللون البديعى أسماء مختلفة منها : التناسب ــ والائتلاف ــ والتوفيق ــ والمؤاخاة • وهــو : ان يجمع بين أمر وما يناســـبه لا بالتضـــــاد (١) •

وهذا يعنى أن يكون الكلام متناسبا متلائما ، لا تجد فيه لفظـة نافرة ، ولا كلمة شاذة ، تأخذ كل كلمة فيه بعنق صاحبتها ، وترتبط بها ارتباطا وثيقا • ووجوه التناسب مختلفة ، وكلها صالح فى هذا اللون ، الا ما كان على سبيل التضاد فانه يعد من الطباق ، ومن هنا قيـــدوا التعريف بقولهم : لا بالتضاد ، ليخرج الطباق ، فمبناه على الجمع بين المعنى وضــــده •

ومراعاة النظير أنـــواع (٢) :

الأول : ائتلاف اللفظ والمعنى • ويراد به أن تكون ألفــاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضا ، ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها ، غير لائقة بمكانها ، كلها موصوفة بحسن الجوار ، بحيث اذا كان المعنى غريبــا كانت ألفاظه غريبة ، واذا كان المعنى مولدا كانت الألفاظ مولدة ، واذا كان المعنى متوسطا كانت الألفاظ كذلك ، واذا كان متداولا كانت الألفاظ معروفة مستعملة (٣) •

من ذلك قوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام : « يا أبت انى

---

(١) الايضـــاح ١٩/٦ •
(٢) انظر التبيان ٣٤٩ ، وشرح عقود الجمان ٨٧/٢ •
(٣) بديع القرآن ٧٧ ، ٧٨ •

أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا » (٤) ، فابراهيم عليه السلام يدعو أباه الى عبادة الله وحده ، ويحذره من عذاب الله الذى يلحقه بسبب عبادة الشيطان واتباعه . وقد جاء التحذير فى عبارة رقيقة تتلاءم مع شفقته على أبيه وتلطفه فى دعوته وحسن الأدب معه .

فناداه بيا أبت ليلفت انتباهه بنداء محبب الى النفوس ، يحرك فيه مشاعر الأبوة الحانية التى يمتلىء بها فؤاد الأب تجاه ابنه ، وعبر بالخوف دلالة على ما يعانيه من فزع عليه ، واشارة الى عدم جزمه بوقوع العذاب عليه ، وهذا أخف من أن يقطع بعذابه ، واستعمل المس المشعر بالتقليل المنبىء عن قلة الاصابة ، بدلا من ذكر ما يشعر بشدة عذابه ، ونكر العذاب لتقليله ، ووصفه بأنه من الرحمن اشعارا بخفته . وبهذا جاءت العبارة التحذيرية فى غاية الرقة واللطف تتناسب مع مقام الرحمة والشفقة وحسن الأدب مع الأب (٥) .

ومنه قوله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » (٦) لما كان الركون الى الظالم دون فعل الظالم وجب أن يكون العقاب عليه دون عقاب الظالم ، ومس النار فى الحقيقة دون الاحراق ، ولما كان الاحراق عقابا للظالم أوجب العدل أن يكون المس عقاب الراكن الى الظالم ، ولهذا عدل عن فتدخلوا النار وجىء بقوله « فتمسكم النار » للاشارة الى ما يقتضى الركون من العقاب ، وللتمييز بين ما يستحق الظالم وبين ما يستحق الراكن له من العقاب (٧) .

وقوله تعالى : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٨) ، جىء

(٤) مريم اية ٤٥ .
(٥) أنظر كتابنا : خصائص النظم القرآنى فى قصة ابراهيم عليه السلام ٣٤ ، ٣٥ .
(٦) هود آية ١١٣ .
(٧) بديع القرآن ٧٨ .
(٨) البقرة آية ٢٨٦ .

بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة فى جانب السيئة لثقلها واقترانها بالتعمل . وقوله تعالى : « فكبكبوا فيها هم والغاوون » (٩) ، جىء بلفظ « كبكبوا » وهو أبلغ من كبو ، للاشارة الى أنهم مكبون كبا عنيفـــا فظيعا (١٠) ، كأنه يتكرر من شدته ، فجسد اللفظ طريقة القائهم فى النار وناسب بضخامته المعنى المراد .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » (١١) ، وفى رواية أحمد « أهل النار كل جعظرى جواظ مستكبر » فأتى فى أهل الجنة بألفاظ سهلة رقيقة ، وفى أهل النار بألفاظ غليظة شديدة (١٢) . وبذلك ناسبت الألفاظ المعانى وتآلفت معها .

ومنه فى الشـــعر قول زهـــير :

أثافى ســـفعا فى معرس مرجـــل
ونؤيا كجـــذم الحوض لم يتثلم (١٣)

---

(٩) الشـــــعراء آيـــة ٩٤ .
(١٠) الاتقـــــان ٢/٧٧ .
(١١) رياض الصالحين ١٣١ . والضعيف : ضعيف النفس لتواضعه وضعف حاله فى الدنيا . والعتل : الغليظ الجافى . والجواظ بفتح الجيـــم وتشديد الواو : الجموع المنوع ، أو الضخم المختال فى مشيته ، والجعظرى : الفظ الغليظ .
(١٢) شرح المرشـــدى ٢/٨٢ .
(١٣) الأثافى : جمع أثفية بضم الهمزة وهى ما يوضع عليها القدر . والسفع : السود . والمعرس بفتح العين والراء المشددة المكان الذى تنصب فيه القدر ، والمرجل القدر الذى يطبخ فيه ، والنؤى : حاجز يرفع حول البيت من تراب لئلا يدخل الماء البيت من الخارج . وجذم الحوض : حرفه وأصله. ولم يتثلم : لم يتكسر . والمعنى أنه عرف حجارة سوداء تنصب عليها القدر ، وحاجزا كان حول منزل أم أوفى لم يتكسر ، وقد دلته هذه الأشياء على دار أم أوفى .

فلما عرفت الدار قلت لربعهـــا
ألا عم صباحا أيها الربع واسلم

فأتى فى البيت الأول بألفاظ غريبـــة لكون معـــانيه أعرابية ، وفى الثانى بألفاظ مستعملة لكون معانيه عرفيه ، وبذلك تآلفت الألفـــاظ مع المعـــانى (١٤) .

والثانى : ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وذلك بأن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضا ، بأن يقرن الغريب بمثله ، والمتداول بشبهه ، والألفاظ التى من واد واحد بنظيرها ، بحيث يسير الاسلوب على نمط متلائم .

ترى شاهدا على ذلك فى قوله تعالى : « تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أو تكون من الهالكين » (١٥) ، حيث جىء بأقـــل حـــروف القسم استعمالا وهو « التاء » وتبعه المجىء بأغرب الألفاظ الدالة على الاستمرار وهو « تفتأ » وعبر بأغرب الألفاظ الدالة على الهلاك وهـــو « حرضا » فاقتضى حسن الوضع فى النظم أن تجاور كل لفظه بلفظة من جنسها فى الغرابة أو الاستعمال ، توخيا لحسن الجـــوار ، ورغبـــة فى ائتلاف المعانى بالألفاظ ، ولتتعادل الألفاظ فى الوضـــع ، وتتناسب فى النظم ، ألا ترى أنه عز وجل قال فى آية أخرى : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » (١٦) . لما كانت جميع ألفاظ الكلام المجاورة لهذا القسم كلها مستعملة متداولة ، لم تأت فيها لفظة غريبة تفتقر الى مجاورة ما يشاكلها فى الغرابة ويلائمهـــا (١٧) .

ويتجلى هذا النوع فى الجمع بين الكلمات التى من واد واحد ، كما

---

(١٤) التبيـــان ٣٤٩ .
(١٥) يوسف آيـــة ٨٥ .
(١٦) فاطـــر آيـــة ٤٢ .
(١٧) بديع القرآن ٧٧ ، ٧٨ . والمقصـــود بالغرابة هنـــا الجزالة والقوة ، فهى صفة حسن فى الاسلوب .

فى قوله تعالى « الشمس والقر بحسبان » (١٨) ، فقد جمع فيه بين الشمس والقمر وهما آية النهار وآية الليل • وقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا » (١٩) ، جمع فيه بين أمور متناسبة تتصل بالبيت الحرام والحج والنسك • وقوله تعالى : « والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها واوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ، والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكل سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون » (٢٠) • فقد جمع فيه بين أمور متناسبة تذكر بنعم الله تعالى على الناس فى اقامتهم وملبسهم ، وتيسير سبل الحماية والاعاشة لهم فى كافة الظروف والأحوال •

ومن هذا قول البحترى يصف ابلا هزيلة :

كالقسى المعطفات بل الأسـ ـهم مبرية بل الأوتار

جمع فيه بين ثلاثة أمور متناسبة هى : القسى ، والأسهم ، والأوتار فانه لما شبه الابل بالقسى فى الدقة والانحناء شبهها بالأسهم والأوتار وكان يمكنه أن يشبهها بالعراجين ، وبحرف النون أو الدال ولكنه آثر ما ذكر للتناسب بين جميع الألفاظ ، وبذلك حسن التشبيه •

ومنه قول أبى الطيب :

ورب جواب عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قتام

تضيق به البيداء من قبل نشره وما فض بالبيداء عنه ختام

(١٨) الرحمن آية ٥ •
(١٩) المائدة آية ٢ •
(٢٠) النحل آية ٨١ •

حروف هجـاء الناس فيه ثلاثة　　جواد ورمح ذابل وحســام

فانه جعل جيش سيف الدولة جوابا عن كتاب ، وأتى بالألفــاظ المناسبة للجواب وهى : العنوان والنشر وفض الختام وحروف الهجاء ، وجعل حروف الهجاء هو الجواد والرمح والحسام ، وهذا تخيل بديع رائع ، جمع فيه المتنبى بين الألفاظ المتآلفة .

ومنه قول أبى العـلاء :

فهـن أقلامك اللاتـى اذا كتبت
مجدا أتت بمداد من دم هـدر

والضمير فى « فهن » للرماح ، وقد جعلها أقلاما تكتب المجد بمداد من دم ، وهذه أمور متناسبة .

ومنه قول ابن رشيق :

أصح وأقوى ما سمعناه فى النـدى
من الخبـر المأثور منـذ قـديم
أحاديث ترويها السيول عن الحيا
عن البحر عن كف الأمير تميم (٢١)

فانه ناسب فيه بين الصحة والقوة والسمـاع والخبر المأثور والأحاديث والرواية ، ثم بين السيل والحيا والبحر وكف تميم ، مع ما فى البيت الثانى من صحة الترتيب فى العنعنة ، اذ جعل الرواية لصاغر عن كابر ، كما يقع فى سند الأحاديث ، فان السيول أصلها المطر ، والمطـر

---

(٢١) الحيا : المطر . والامير تميم هو أبو على تميم بن المعز بن باديس .

أصله البحر لانه يحدث من تصاعد البخار ، ولهذا جعـل كف الممدوح أصلا للبحر مبالغــة (٢٢) •

والبيتان وان اجتمعت فيهما هذه الأمور المتناسبة ، الا أنهمـا لا يحملان كبير معنى ، وتكلف الصنعة فيهما واضح ، مما جعلهما أشبه بالقواعد المنظومة لا بالشعر الذى يهز المشاعر ويحرك الوجدان ، وهذا أثر من آثار تكلف الصنعة البديعية فى الشعر •

ومن هذا النوع قول بعض الأدباء للوزير المهلبى : أنت أيهـا الوزير اسماعيلى الوعد ، شعيبى التوفيق ، يوسفى العفو ، محمـدى الخلق • فجمع بين أربعة أمور متناسبة فى عبـارات صـافية وأسلوب سلس •

الثالث : ائتلاف المعنى مع المعنى وهو ضربان :

الأول : أن يشتمل الكلام على معنى يصح معه لفظان أحدهمـا ملائم والآخر ليس كذلك فيقرن بالملائم ، كقوله تعالى « واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم » (٢٣) ، قرنت التوبة بالبارىء دون غيره من الأسماء للمناسبة المعنوية ، لان البارىء هو الذى خلقهم أبرياء من التفاوت ، وهى نعمة جسيمة ، وكان من حق الشكر عليها أن يخصوه بالعبادة ، فلما عكسوا وقابلوها بالكفران لمـا عبدوا العجل استرد منهم تلك النعمة بالقتل ، والانفكاك (٢٤) •

ومن هذا قول المتنبى يصف خوف الناس من سيف الدولة وفرارهم منـــه :

---

(٢٢) الايضـــاح ٢١/٦ •
(٢٣) البقـــرة آيـــة ٥٤ •
(٢٤) انظـــر التبيـــان ٣٥٣ •

فالعرب منه مع الكدرى طـائرة
والروم طائرة منـه مع الحجل (٢٥)

فقرن بين الشىء وملائمه ، اذ جعل العرب تفر منه مع الكدرى فى الفلوات والصحارى ، والكدرى من طيور السهول والعرب بلادها المفاوز والصحارى ، وجعل الروم تفر منه مع الحجل فى الجبال ، والحجل من طيور الجبل والروم بلادها الجبال (٢٦) .

ومن هذا الضرب نوع يسمى « تشابه الأطراف » وهو أن يختتم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى لكون ما ختم به كالعلة لما بدىء به ، أو العكس ، أو كالدليل عليه ، أو نحو ذلك (٢٧) .

كقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير » (٢٨) ، فاللطيف يناسب « لا تدركه الأبصار » اذ المتبادر من معنى اللطف دقة الشىء بحيث لا يظهر ، و « الخبير » يناسب « وهو يدرك الأبصار » لان الخبير من له علم بالخفيات فيدرك كل شىء ، وبذلك ناسب آخر الكلام أوله . وأوثر لفظ الخبير على لفظ البصير لما فيه من الزيادة على الابصار والادراك ، اذ ليس كل من أبصر شيئا أو أدركه خبيرا به ، فتضمنت الفاصلة بذلك معنى زائدا على معنى الكلام وصيغت لأجله بالايغال ، وهو ايغال متمم لمعنى التمدح ، فحصل فى هذه الآية على ذلك اثنا عشر ضربا من البديع وهى : التعطف ، الذى هـو قوله : « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » لمجىء لفظه « الأبصار » فى أول الكلام وآخره ، والمقارنة ، لاقترانه بالمطابقة السلبية ، والادماج ،

(٢٥) الكدرى نوع من القطا . والحجل طائر فى حجم الحمام أحمر المنقـار والرجـلين .

(٢٦) انظر التبيان ٣٥٣ ، والطراز ٣/١٥٠ .

(٢٧) مواهب الفتـاح ٤/٣٠٣ .

(٢٨) الأنعـام آيـة ١٠٣ .

لما أدمج فى التعطف من الاحتراس بقوله : « وهو يدرك الأبصار » فهو احتراس من توهم أنه اذا لم يكن مدركا لم يكن موجودا ، فأثبت لذاته كمال الوجـود وزيادة ، والائتلاف ، الذى هـو موضـوع الكلام ، والترشيح بالائتلاف الى الايغـال ، والايغـال ، بالمعنى الزائد فى الفاصلة ، لدلالة اللفظ القليل على المعانى الكثيرة ، والمجاز ، لحـذف المضاف من قوله : « وهو يدرك الأبصار » أى ذوى الأبصار ، لتقرب ألفاظ التعطف بعضها من بعض ، فيكون ذلك أبين وأحسن ، والتخيير ، للعدول فى الفاصلة عن البصير والمدرك الى الخبير ، والايجاز ، فان هذه الآية تسع لفظات تضمنت اثنى عشر ضربا من البلاغة (٢٩) .

ومن هذا قوله تعالى : « يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد » (٣٠) ، فعجز الآية مناسب لصدرها ، فما أشد ضلال من يعبد من دون الله ما لا ينفعه ولا يضره ، اذ لا ضلال أبعد من هذا ولا أشنع منه .

وقوله تعـالى : « لله ما فى السموات والأرض ان الله هـو الغنى الحميد » (٣١) ، فكونه غنيا حميدا يتلاءم مع ملكيتـه لما فى السموات والأرض . وقوله تعالى : « يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم » (٣٢) ، ختمت الآية بأن لهم عذابا مقيما وهذا يناسب ما قبله من أنهم لا يخرجون من النار .

والمتأمل فى الآيات القرآنية يجد أعجازها تتلاءم مع صـدورها ، وفواصلها متناسبة مع بداياتها ، ولكن هذا التناسب قد يكون ظاهرا كما تقدم ، وقد يكون خفيا يحتاج الى تدبر واعمال فكر حتى يدرك ، ومن

---

(٢٩) بديع القرآن ١٤٦ ، ١٤٧ .
(٣٠) الحـج ايـة ١٢ .
(٣١) لقمـان آيـة ٢٦ .
(٣٢) المائـدة آيـة ٣٧ .

هذا قوله تعالى « ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم »(٣٣) ، فان قوله « وان تغفر لهم » يوهم أن الفاصلة : الغفور الرحيم ، ولكن اذا انعم النظر علم انه يجب أن تكون « العزيز الحكيم » لانه لا يغفر لمن يستحق العذاب الا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه ، فهو العزيز ، لان العزيز هو الغالب ، ووجب أن يوصف بالحكمة أيضا لان الحكيم من يضع الشىء فى محله ، والله تعالى كذلك ، الا أنه قد يخفى وجه الحكمة فى بعض افعاله فيتوهم الضعفاء أنه خارج عن الحكمة ، فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن ، أى وان تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد فى ذلك ، والحكمة فيما فعلته (٣٤) .

وقوله تعالى : « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شىء عليم »(٣٥) ، ختمت الآية بقوله : « وهو بكل شىء عليم » والمتبادر الى الذهن أن تختم بالقدرة ولكن المتأمل يرى أن ما ختمت به الآية هو الصواب ، لان الآية تضمنت الاخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم ، وخلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت ، والخالق على الوصف المذكور يجب أن يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا ، مجملا ومفصلا ، من ثم ختمت الآية بالعلم(٣٦) .

والثانى : أن يشتمل الكلام على معنى له وصفان ملائمان ، فيختار الأحسن منهما لما له من مزية . من ذلك قول المتنبى فى مدح سيف الدولة :

وقفت وما فى الموت شك لواقف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم

(٣٣) المائدة آية ١١٨ .
(٣٤) الايضاح ٦/٢٢ .
(٣٥) البقرة آية ٣٩ .
(٣٦) معترك الأقران ٤٧/١ .

تمـــر بك الأبطـــــال كلمى هزيمـــة
ووجهك وضاح وثغـــرك باســـم

فعجز كل واحد من البيتين ملائم لكل واحد من صدريهما ، وصالح لان يؤلف معه ، لكنه اختار ما أورده لأمرين : أحدهما : أن قوله : كأنك فى جفن الردى وهو نائم ، انما سيق من أجل التمثيل للسلامة فى موضع العطب ، فجعله مقررا للوقوف والبقاء فى موضع يقطع على صـــاحبه بالموت أحسن من جعله مقررا لثباته فى حال هزيمة الأبطال • وثانيهما : أن فى جعل قوله : ووجهك وضاح وثغرك باسم ، تتمة لقوله : تمـــر بك الأبطال ، أحسن من جعله تتمة لقوله : وقفت وما فى الموت شك لواقف ، لان الانسان فى حال الهزيمة يلحقه من ضيق النفس وعبوس الوجـــه ما لا يخفى ، فلهذا ألصق كل واحد منهما بما يكون فيـــه أكثر ملاءمة وأحسن انتظاما من أجل المبالغة فى المعانى (٣٧) •

كما أن أبا الطيب أراد أن يقرن بين أن الردى لا نجاة منه لواقف وبين أن الممدوح وقف ونجا منه ، وكذا بين أن الأبطال ريعت وانهزمت وأن سيف الدولة لم يرع ولم يهزم ، وابتسام الثغر وانبلاج الوجه مما يدل على عدم الروع (٣٨) • وعلى هذا فمعانيه فى غاية التناسب •

وقد دافع المتنبى عن صنيعه فى البيتين عندما عابهما سيف الدولة ، اذ قال بعد أن سمعهما : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرىء القيس بيتـــاه :

كأنى لم أركب جـــوادا للـــذة
ولم أتبطن كاعبـــا ذات خلخـــال

---

(٣٧) الطـــــراز ١٤٨/٣ •
(٣٨) منهاج البلغـــاء ١٦١ •

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل
لخيلى كرى كرة بعد اجفال (٣٩)

وبيناك لا يلتئم شطراهما ، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغى لامرىء القيس أن يقول :

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل
لخيلى كرى كرة بعد اجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة
ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

ولك أن تقول :

وقفت وما فى الموت شك لواقف
ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة
كأنك فى جفن الردى وهو نائم

فقال المتنبى : أيد الله مولانا ، ان صح أن الذى استدرك على امرىء القيس هذا كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لان البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لانه هو الذى أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وانما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية قلت : ووجهك وضاح وثغرك باسم ، لأجمع بين الأضداد فى

---

(٣٩) سبأ الخمر : اشتراها ، والزق بكسر الزاى المشددة وعاء الخمر ، والاجفال : الانهزام .

المعنى ، وان لم يتسع اللفظ لجميعها ، فأعجب سيف الدولة بقوله ، ووصله بصلة كبيرة (٤٠) .

وبهذا بين المتنبى وجه المناسبة بين شطرى كل بيت فى قول امرىء القيس وفى قوله ، وأظهر جودة القولين ، والتئام معانيهما على النسق الذى وردا عليه .

وعاب بعضهم بيتى امرىء القيس السابقين ، وذكر أنه لو وضع عجز كل منهما مكان الآخر لكان قد جمع بين الشىء وشكله ، فذكر الجواد والفر والكر فى بيت ، وذكر النساء والخمر فى بيت . ورد ابن رشيق على هذا بقوله : قول امرىء القيس أصوب ، ومعناه أعرب وأغرب ، لان اللذة التى ذكرها انما هى الصيد ، ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء ، فجمع فى البيت معنيين ، ولو نظمه على ما قال المعترض لنقص فائدة عظيمة وفضيلة شريفة تدل على السلطان ، وكذلك البيت الثانى لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشوا لا فائدة فيه ، لان الزق لا يسبأ الا اللذة ، فان جعل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم الصيد ، قلنا : فى ذكر الزق الروى كفاية ، ولكن امرىء القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهة (٤١) .

ومما مثلوا به للضرب الثانى من ائتلاف المعنى مع المعنى قوله تعالى : « ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى ، وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى » (٤٢) ، حيث جاء نظم الآيتين على أحسن وجه تتلاءم فيه المعانى ، مع مراعاة تناسب المبانى ، والتناسق التام بين كافة عناصر النظم .

---

(٤٠) يتيمة الدهر ٢١/١ ، ٢٢ .
(٤١) العمدة ٢٥٨/١ ، ٢٥٩ .
(٤٢) طه آية ١١٨ ، ١١٩ .

وقد توهم متوهم أنه لو قيل : لا تجوع ولا تظمأ ، ولا تضحى ولا تعرى ، لكان ذلك جاريا على ما توجبه البلاغة من التناسب والملاءمة. وهذا قصور فى الفهم وجهل بمواقع الكلام وطرق التعبير .

فالخطاب فى الآية الكريمة جار على عادة العرب فى التعبير ، وفيه تناسب وتلاؤم ، فان العادة أن يقال : جائع عريان ، كما أن التناسب ظاهر بين « تظمأ و تضحى » لان الضاحى هو الذى لا يستره شىء عن الشمس ، والظمأ من شأن من كانت هذه حاله (٤٣) . وبين الشهاب الخفاجى أن التناسب فى نظم الآيتين الكريمتين خفى وله جهات منها : أن الجوع خلو الباطن ، والعرى خلو الظاهر ، فكأنه قيل : لا يخلو باطنك وظاهرك عما يهمهما ، والظمأ يورث حرارة الباطن ، والبروز للشمس يورث حرارة الظاهر ، فكأنه قيل : لا يؤلمك حرارة الباطن والظاهر . ومنها : أن الشبع والكسوة أصلان ، وأن الرى والكن مكملان ، فالامتنان على نظم الآية الكريمة أظهر وأتم (٤٤) .

وبين ابن أبى الاصبع أن مجىء الآيتين على ما توهمه المتوهم يؤدى الى فساد معنى النظم لانه لو قيل : ان لك ألا تجوع فيها ولا تظمأ لوجب أن يقال : وانك لا تعرى فيها ولا تضحى ، والتضحى معناه البروز للشمس بغير سترة ، فيكون معناه التعرى ، وعند ذلك يصير معنى الكلام : وانك لا تعرى فيها ولا تعرى ، وهذا فساد ظاهر (٤٥) .

ويرى ابن المنير أن فى الآية سرا بديعا يسمى : قطع النظير عن النظير ، وذلك أن قطع الظمأ عن الجوع والضحو عن العرى مع ما بينهما من التناسب ، والغرض من ذلك تحقيق تعداد هذه النعم وتصنيفها ، ولو قرن كلا بشكله لتوهم أن المعدودات نعمة واحدة (٤٦) . والجزء الأخير

---

(٤٣) العمدة ٢٥٩/١ .
(٤٤) حاشية الشهاب ٢٣١/٦ .
(٤٥) بديع القرآن ١٣٩ ، ١٤٠ .
(٤٦) الانتصاف — بهامش الكشاف ٥٥٦/٢ .

من كلام ابن المنير يوهم أن نظم الآيتين لا تشاكل فيه ، وهذا مردود عليه بما سقناه آنفا ، كما أن اقتران لا تظمأ بلا تجوع ولا تضحى بلا تعرى لا يوهم أنها نعمة واحدة ، لانها جاءت معطوفة على نمط التعداد ، والعطف يقتضى المغايرة .

ويلحق بمراعاة النظير ما يسمى « ايهام التناسب » وهو الجمع بين معنيين غير متناسبين عبر عنهما بلفظين لهما معنيان متناسبان لكنهما غير مقصودين . كقوله تعالى : « الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان » (٤٧) ، فالمراد من النجم فى الآية على الرأى المشهور ، هو ما لا ساق له من النبات كالبقول والحشائش ، وهو بهذا المعنى لا يتناسب مع الشمس والقمر ، ولكن له معنى آخر يتبادر الى الذهن وهو نجم السماء ، وهو بهذا المعنى يتناسب معهما الا أن هذا المعنى غير مقصود . فالنجم يناسب ما قبله على المعنى المتبادر ، ولا يناسبه على المعنى المراد ، فسمى هذا ايهام التناسب لتخيل الوهم فيه المناسبة باعتبار ما يتبادر منه (٤٨) .

ومن هذا ترى أن بين النجم والشمس والقمر ايهام التناسب ، كما أن بين النجم والشجر مراعاة النظير ، لان النجم هو النبات الذى لا ساق له ، والشجر هو النبات الذى له ساق .

على أن بين الآيتين مناسبة أخرى قوية تصحح الوصل بينهما وهى التضاد ، باعتبار أن الشمس والقمر مخلوقان سماويان ، والنجم والشجر مخلوقان أرضيان ، وفى الآيتين امتنان بما فى السماء من منافع ، يعقبه امتنان بما فى الأرض ، وجعل لفظ « النجم » واسطة الانتقال لصلاحيته لان يراد منه نجوم السماء وما يسمى نجما من نبات الأرض كما مر (٤٩) .

---

(٤٧) الرحمن آية ٦ ، ٧ .
(٤٨) انظر مواهب الفتاح ٣٠٤/٤ .
(٤٩) التحرير والتنوير ٢٣٥/٢٧ .

أ.تناسب وبلاغة الكلام :

والتناسب عنصر أساسى فى بلاغة الكلام ، وعامل قوى فى حسنه وجودته ، فالكلام البليغ ينبغى أن تأتلف ألفاظه ، وتتلاءم معانيه ، وينظم فى نسق بديع متلاحم الأجـــزاء ، متناسب الدلالات • وبدون ذلك لا يستحق الكلام وصف البلاغة ، ولا يكون نظما معتدا به عند البلاغيين •

فليس النظم عندهم ضم الكلمات الى بعضها كيفما جاء واتفق ، لكنه ترتيب الكلم على حسب ترتيب المعانى فى النفس ، فهو نظم يقوم على تناسق الدلالات وتلاقى المعانى على الوجه الذى يقتضيه العقل ، ويعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض ، حتى يكون لوضع كل جزء منه حيث وضع علة تقتضى كونه فيه ، وحتى لو وضع فى مكان غـــيره لم يصـــلح (٥٠) •

لذا رأينا النقاد يؤكدون على تناسب الألفاظ وتلاؤم المعــانى ، وتنسيق الكلام ويوجبون على المبدعين مراعاة ذلك فى نتاجهم الأدبى يقول ابن طباطبا : وينبغى للشاعر أن يتأمل تأليف شعره ، وتنســيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه فيــلائم بينهــا لتنتظم له معانيها ، ويتصل كلامه فيها ، ... ويحترز من الحشـــو فى كل بيت ، فلا يباعد كلمة عن أختها ، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشو يشينها ، ويتفقد كل مصراع هل يشاكل ما قبله ، فربما اتفق للشاعر بيتان يضع مصراع كل واحد منهما فى موضع الآخر ، فلا يتنبه على ذلك الا من دق نظره ولطف فهمه (٥١) • فبين ما يجب على الشاعر من تنسيق لشعره على مستوى القصيدة والبيت ، بحيث تخرج القصيدة نسجا قـــويا متلاحم الأجــــزاء •

(٥٠) انظر دلائل الاعجــاز ٤٩ ، ٥٠ •
(٥١) عيـــار الشـــعر ٢٠٩ •

والشاعر عنده كناظم الجوهرة الذى يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق ولا يشين عقوده بأن يفاوت بين جواهـرها فى نظمها وتنسيقها ، فالشاعر اذا أسس شعره على أن يأتى فيه بالكلام البدوى الفصيح لم يخلط به الحضرى المولد ، واذا اتى بلفظه غريبة أتبعها آخواتها ، وكذلك اذا سهل الفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبة القياد ، وبذلك يكون شعره كالسبيكة المفرغة ، والوشى المنمنم ، والعقد المنظم ، والرياض الزاهرة (٥٢) •

ومن أمارات التكلف والتمحل عند النقاد مجىء الكلام مفككا غير مترابط ، يقول ابن قتيبة : وتتبين التكلف فى الشعر بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره ، ومضموما الى غير لفقـه (٥٣) • وما ذاك الا لأن المتكلف يجهد نفسه فى القول دون طبع مواتٍ فتند عنه الأفكار ، وتتأبى عليه المعانى ، فلا يرى أمامه الا أن يتلقف معنى من هنا وآخر من هناك • فيأتى كلامه مهلهل النسج مفكك الأوصال •

وقد أدرك العرب بفطرتهم الصافية أن الكلام البليغ لا يكون الا متلاحم الأجزاء ، مترابط المعانى • ومن ثم بادر بعض الصحابة الى النطق بختام آية من النظم المعجز قبل أن يسمع ختامها ، تأسيسا على ما فى بدايتها من معان يناسبها ويلاؤمها أن تختم بما نطـق به • فعن زيد بن ثابت قال : أملى على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » الى قوله « خلقا آخر » (٥٤)، فقال معاذ بن جبل : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فضحك رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له معاذ : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : بها ختمت (٥٥) •

---

(٥٢) انظر السـابق ٧ — ٩ •
(٥٣) الشعر والشعراء ١/٩٦ •
(٥٤) المؤمنـون آيـة ١٢ — ١٤ •
(٥٥) معترك الأقران ١/٤٠ •

كما اعترض بعض الأعراب على قارىء سمعه يقرأ : « فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فأعلموا أن الله غفور رحيم » (٥٦) ، فقال الأعرابى — وهو لم يكن يقرأ القرآن — ان هذا ليس بكلام الله ، لان الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل ، لانه اغراء عليه (٥٧) . وما أدرك الأعرابى خطأ القارىء الا بسليقته الخالصة التى هدته الى عدم ائتلاف المعانى وتناسب الكلام فى قراءة القارىء ، ومن ثم لا يمكن أن يكون هذا من كلام الحكيم الخبير التى أعجزت بلاغته أساطين البلاغة .

وعرف قدامى الشعراء والرواة أهمية التناسب فى بلاغة الكلام ، وجعلوها من مقاييس المفاضلة بين الشعر والشعراء ، وشبهوا الشعر الذى لا تأتلف أجزاؤه ببعر الكبش . ويروى الجاحظ ما أنشده أبو البيداء الرياحى :

وشعر كبعر الكبش فرق بينه
لسان دعى فى القريض دخيل

ويفسر ذلك فيقول : وأما قوله « كبعر الكبش » فانما ذهب الى أن بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر . تراها متفقة ملسا ، ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة (٥٨) .

وقال عمر بن لجأ لبعض الشعراء : أنا أشعر منك ، قال وبم ذاك؟ فقال : لانى أقول البيت وأخاه ، ولانك تقول البيت وابن عمه ، ففضل شعره على شعر الآخر لما فى شعره من التناسب وتلاحم الأجزاء ، وما

---

(٥٦) البقرة آية ٢٠٩ . وصحة الآية : « فاعلموا أن الله عزيز حكيم » .
(٥٧) معترك الاقران ١/٤٠ .
(٥٨) البيان والتبيين ١/٦٧ .

فى شعر غيره من التفكك والاضطراب • وقال عبد الله بن سالم لرؤبة ابن العجاج : مت يا أبا الجحاف اذا شئت ، فقال رؤبة : وكيف ذلك ؟ قال : رأيت ابنك عقبة ينشد شعرا له أعجبنى ، قال رؤبة : نعم ، ولكن ليس لشعره قران • يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه (٥٩) ، فلم يستحسن رؤبة شعر ابنه لما فيه من تباعد وعدم تلاؤم •

وفى التراث النقدى كثير من مآخذ النقاد على الشـعراء بسبب فقدان التلاؤم ، وانعدام التناسب والتشاكل • فعابوا قول السموءل :

فنحن كمــاء المزن ما فى نصابنا
كهام ولا فينــا يعــد بخيــل

وقالوا ليس فى قوله : « ما فى نصابنا كهام » من قوله : « فنحن كماء المزن » فى شىء ، اذ ليس بين ماء المزن والنصاب والكهوم مقاربة ، ولو قال : ونحن ليوث الحرب ، أو أولوا الصرامة والنجدة ما فى نصابنا كهام ، لكان الكلام مستويا ، أو نحن كماء المزن صفاء اخلاق وبذل أكف لكان جيـــدا (٦٠) •

وعابوا قول طــرفة :

ولست بحــلال التــلاع مخــافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد (٦١)

وقالوا : المصراع الثانى غير مشاكل الصورة للمصراع الأول ، وان كان المعنى صحيحا ، لانه أراد : ولست بحلال التلاع مخافة السؤال ،

---

(٥٩) الشعر والشعراء ٩٦/١ .
(٦٠) الصناعتين ١٠٨ . والكهام : من كهم الرجل كهــامة اذا ضعف وجبن عن الأقدام الى ليس فينا رجل ضعيف .
(٦١) التلاع : جمع تلعة وهى ما ارتفع من الأرض وما انهبط أيضا .

ولكنى أنزل الأمكنة المرتفعة ، لينتابونى فأرفدهم ، وهذا وجه الكلام ، فلم يعبر عنه تعبيرا صحيحا ، ولكنه خلط وحذف منه حذفا كثيرا فصار كالمتنافر (٦٢) .

وعاب « نصيب » على الكميت قوله :

أم هل ظعائن بالعلياء نافعة
وان تكامل فيها الدل والشنب

وقالوا له : لقد تباعدت فى قولك « الدل والشنب » هلا قلت كما قال ذو الرمة :

لمياء فى شفتيها حوة لعس
وفى اللثات وفى أنيابها شنب (٦٣)

يريد أن الكميت جمع بين الدل والشنب ولا مناسبة بينهما ، فالدل من الدلال والتدلل وهو وصف لهيئة المرأة وحسن حديثها . والشنب رقة وبرد وعذوبة فى الأسنان ، بينما أتى ذو الرمة بأوصاف من واد واحد تتصل بالثغر والشفتين . قال المبرد : والذى عابه نصيب من قوله : تكامل فيها الدل والشنب ، قبيح جدا ، وذلك أن الكلام لم يجر على نظم، ولا وقع الى جانب الكلمة ما يشاكلها ، وأول ما يحتاج اليه القول أن ينظم على نسق ، وأن يوضع على رسم المشاكلة (٦٤) .

وعابوا على أبى نواس قوله :

وقد حلفت يمينا مبرورة لا تكذب
برب زمزم والحو ض والصفا والمحصب

---

(٦٢) السابق ١٠٨ .
(٦٣) لمياء : من اللمى وهو سمرة الشفتين ، والحوة : حمرة ضاربة الى السواد ، واللعس سمرة فى الشفة مستحسنة .
(٦٤) الكامل ٢/١٢٠ ، وانظر الموشح ١٧٦ .

حيث ذكر الحوض مع زمزم والصفا والمحصب (٦٥) ، وهو لا يأتلف معها ، وانما يتناسب مع ما هو من مشاهد القيامة كالميزان والصراط وغيرهما ، وأما زمزم والصفا والمحصب فيذكر معها الركن والحطيم وما جرى مجراهما (٦٦) .

وجعل بعضهم مما يخل بالتناسب أن يأتى المتكلم بأمور متناسبة ولا يوحد بينها فى الهيئة والصيغة ، فيكون بعضها مفردا وبعضها مثنى أو مجموعا ، وماالى ذلك كقول الشاعر :

ألا يا بن الذين فنوا وماتوا
أما والله ما ماتوا لتبقى
ومالك فاعلمن فيها بقاء
اذا استكملت آجالا ورزقا

فجمع الأجل وأفرد الرزق ، وهما متناسبان لا يوجد أحدهما بدون الآخر وكان الأولى افراد الآجل كالرزق (٦٧) . قال ابن الاثير : وقد زاده انكارا أنه جمع الأجل فقال آجالا والانسان ليس له الا أجل واحد ، ولو قال أجلا وأرزاقا لما عيب ، لان الأجل واحد والأرزاق كثيرة لاختلاف ضروبها وأجناسها (٦٨) . وعلى هذا فلو جمع الشاعر الأرزاق كالآجال لكان البيت معيبا أيضا لان الأجل واحد ، ولا يسلم البيت من المآخذ الا بافراد الآجال .

وكقول الأعشى :

تقول بنتى وقد قربت مرتحلا
يا رب جنب أبى الاتلاف والوجعا

---

(٦٥) المحصب : موضع رمى الجمار بمنى .
(٦٦) المثل السائر ٢٨٨ .
(٦٧) شرح عقود الجمان ٨٨/٢ ، ٨٩ .
(٦٨) المثل السائر ٢٨٩ .

فالائتلاف والوجع متناسبان فى المعنى ، ولكن الشاعر لم يوحد بينهما فى الصيغة ، والذى يوجبه نسج الشعر أن يقول : يا رب جنبنى أبى الائتلاف والأوجاع ، أو التلف والوجع (٦٩) .

والصحيح أن الاختلاف فى الصياغة لا يعد عيبا على الاطلاق ، بل يكون عيبا اذا جاء متكلفا من أجل الوزن أو القافية أو السجع ، وخلا من سر بديع أو معنى لطيف يرشح وجوده فى الكلام ، ومن ثم نراه واقعا فى القرآن الكريم الذى هو معيار البلاغة مشيرا الى لطائف تدرك بالتأمل وانعام النظر ، من ذلك قوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » (٧٠) ، فالقلب والسمع والبصر أمور متناسبة ، ووحد السمع دون القلوب والأبصار ، لانه فى الأصل مصدر والمصادر لا تجمع ، وللأمن من اللبس ، والاختصار ، والتفنن فى التعبير ، مع الاشارة الى أن مدركاته نوع واحد ، ومدركاتهما انواع مختلفة (٧١) . وقوله تعالى : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور » (٧٢) ، وحد النور وجمعت الظلمات ، وفى هذا اشارة الى وحدة الحق واستقامة طريقه ، وتعدد فنون الضلال وتشعب طرقه .

ومما سبق ترى أن التناسب أمر ضرورى فى بلاغة الاساليب ، وأن الاسلوب البليغ تتلاءم ألفاظه وتتناسب معانيه ، ويكون منظوما على نسق مؤتلف فى شكله ومضمونه .

---

(٦٩) عيار الشعر ١١٩ ، ١٢٠ .
(٧٠) البقـرة آيـة ٧ .
(٧١) الكشاف وحاشية السيد عليه ١٦٤/١ .
(٧٢) ابراهيم آيـة ١ .

الارصـــاد أو التســـهيم

وهما مصطلحان يطلقـــان على لون بديعى واحد ، تعـــريفه عند الخطيب : أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز اذا عرف الراوى (١) • والارصاد لغة : نصب الرقيب فى الطريق ليدل عليه ، والتسهيم : جعل الثوب ذا خطوط كأنها فيه سهام • والرقيب يدل على الطريق وعلى ما فيه ، والخطوط تدل على ما يليها لكونه متفقا معها ومشابها لهـــا ، ومن هنا تأتى المناســـبة بين المعنى اللغـــوى والمعنى الاصطلاحى •

وقدامة يسمى هذا اللون التوشيح ، وعلى هذه التســـمية مضى العسكرى (٢) ، وبعض المتأخرين يفرقون بينهما فالتوشيح عنـــــدهم مختص بما يدل على القافية فى الشعر أو الســـجع فى النثر ، والتسهيم تارة يدل على عجز البيت ، وتارة يدل على ما دون العجز ، فحده : أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر منه (٣) • وبذلك يكون التسهيم أعم من التوشيح •

والارصاد أو التسهيم قسمان :

الأول : أن تكون دلالة المتقدم على المتأخر دلالة لفظية ، كما فى قوله تعالى : « وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » (٤)• فقوله « ليظلمهم » ارصاد لفظى اذ يفهم منه أن عجـــز الآية من مادة الظلم ، اذ لا معنى لقولنا مثلا : وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم ينفعون أو يمنعون من الهلاك أو نحو ذلك •

---

(١) الايضاح ٢٥/٦ . والعجز : آخر كلمة من الفقـــرة أو البيت ، والروى : الحرف الذى تجىء عليه أواخر الأبيات أو الفقر .
(٢) أنظر نقد الشعر ١٦٧ ، والصناعتين ٣٠٢ .
(٣) انظر بديع القرآن ٩٠ ، ١٠٠ ، وخزانة الأدب ٣٠٣/٢ .
(٤) العنكبـــوت آيـــة ٤٠ .

ومنه قوله تعالى : « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون » (٥) . فقوله « فاختلفوا » ارصاد لفظى لانه يدل بلفظه على أن العجز من مادة الاختلاف .

وقوله تعالى : « قل الله أسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون » (٦) ، فان « مكرا » يدل على أن عجز الآية من مادة المكر .

ومن هذا قول زهير :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش
ثمانين حولا لا أبالك يسأم

فقوله « سئمت » ارصاد يدل بلفظه على أن القافية من مادة السأم، ونحوه قول الآخر :

اذا لم تستطع شيئا فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع

والارصاد فى قوله « اذا لم تستطع » ، وهو يدل بلفظه على أن عجز البيت من مادة الاستطاعة .

والثانى : أن تكون دلالة المتقدم على المتأخر دلالة معنوية ، كقوله تعالى : « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » (٧) ، فان « اصطفى » يدل على أن الفاصلة « العالمين » وهى دلالة ليست لفظية لان اللفظين مختلفان ، ولكنها دلالة معنوية ، فان من لوازم اصطفاء الشىء أن يكون مختارا على جنسه ، وجنس هؤلاء

---

(٥) يونس آية ١٩ .
(٦) يونس آية ٢١ .
(٧) آل عمران آية ٣٣ .

المصطفين هو العالمون (٨) • وقوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون » (٩) ، فان انسلاخ النهار من الليل يعلم منه الاظلام ، لان من انسلخ النهار عن ليله دخل فى الظلمات (١٠) •

ومن هذا قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب :

فأقسم يا عمرو لو نبهاك
اذا نبها منك داء عضالا

فان الحذاق بمعانى الشعر وتأليفه يعلمون أن معنى قولها « فأقسم يا عمرو لو نبهاك » يقتضى أن يكون تمامه « اذا نبها منك داء عضالا » دون غيره من القوافى ، كما لو قلت مكان « داء عضالا » « ليثا غضوبا » أو « أفعى قتولا » أو ما ناسب ذلك ، لان الداء العضال أبلغ من هذه الأشياء جميعها وأشد اذ كل منها يمكن مغالبته و التوقى منه ، والداء العضال لا دواء له (١١) •

الارصاد وبلاغة الكلام :

والارصاد لون بديعى له أثر جليل فى بلاغة الاسلوب ، فهو يؤدى الى تقوية سبكه ، وترابط أجزائه ، وتماسك لبناته ، اذ اللفظة فيه تقتضى ما بعدها ، وينبىء مبتدؤه عن مقطعه ، ويخبر أوله بآخره ، ويشهد صدره بعجزه • والنقاد يرون أن خير الكلام ما دل بعضه على بعض ، وأخذ بعضه برقاب بعض ، وخير الشعر ما تسابق صدوره وأعجازه ، ومعانيه وألفاظه ، فتراه سلسا فى النظام ، جاريا على اللسان ، لا يتنافى ولا يتنافر ، كأنه سبيكة مفرغة ، أو وشى منمنم ، أو عقد منظم من جوهر متشاكل ، ألفاظه مطابقة ، وقوافيه متوافقة ، ومعانيه متعادلة

---

(٨) انظر شرح عقود الجمان ٢/ ٩٠ •
(٩) يس آية ٣٧ •
(١٠) انظر بديع القرآن ٩١ •
(١١) حسن التوسل ٢٦٦ •

كل شىء فيه موضوع فى موضعه ، وواقع موقعه . وخير أبيات الشعر ما اذا سمعت صدره عرفت قافيته ، قال ابن نباتة السعدى :

خذها اذا أنشدت فى القوم من طرب
صدورها عرفت منها قوافيها (١٢)

ومن ثم كان أحسن الارصاد ما كان معه من التشاكل وتآخى الألفاظ ما يسهل استخراج القافية أو الشطر بكماله ، أو كان مطردا منعكسا ، لدلالة أوله على آخره ، ودلالة آخره على أوله ، فمن الأول قول البحترى :

أحلت دمى من غير جرم وحرمت
بلا سبب يوم اللقاء كلامى
فليس الذى حللته بمحلل
وليس الذى حرمته بحرام

فالتسهيم فى البيت الثانى ، وقد بلغ هذا البيت من التشاكل والتناسب حدا كبيرا ، وذلك أن من سمع النصف الأول منه عرف الأخير بكماله . ومن الثانى قول أبى نواس :

فما جازه جود ولا حل دونه
ولكن يصير الجود حيث يصير

لانه متى انتفى كون الجود يتقدم شخصا أو يتأخر عنه فقد ثبت كونه معه وبالعكس (١٣) .

وبجانب ما للارصاد من أثر قوى فى ربط الاسلوب وقوة صياغته نرى فيه لونا من التأكيد ، فحين ينصب المتكلم فى صدر كلامه ما يدل على

---

(١٢) الصناعتين ٣٠٢ ، ومنهاج البلغاء ٢٢٤ ، والمثل السائر ٣٠٦ ، والموازنة ١/٢٩٣ .
(١٣) المصباح ١٩٩ ، ٢٠٠ .

عجزه يؤهل المتلقى بذلك لما سيأتى من كلام ، فاذا ما ورد عليه دخل على ذهنه دخول المأنوس والمألوف ، فاستقر فيه وتمكن .

وبلاغة الارصاد تتوقف على مجيئة سلسا مطبوعا لا تكلف فيه ولا تعمل ، غير مؤد الى التنافر والمعاظلة فى الكلام ، وترى الارصاد البليغ واضحا فيما سقناه من أمثلة ، كما تراه فى نماذج اخرى من جيد التصدير، ومنها قول ابن الدمينـــــة :

وكونى على الواشـــين لداء شغبة
كما أنا بالواشى ألد شـــــغوب
وكونى اذا مالـــوا عليك صليبـــة
كما أنا ان مالـــوا على صليب

فالبيتان مسهمان ، حيث دل أول كل منهما على آخره دلالة واضحة، من غير تكلف ولا تصنع . ومن جيد التسهيم قول الشاعر :

ولو أننى أعطيت من دهـــــرى المنى
وما كل من يعطى المنى بمســـــدد
لقلت لأيام مضـــين : ألا ارجعى
وقلت لأيام أتين : ألا ابعدى (١٤)

فالتسهيم فى البيت الثانى ، وقد جاء سلسا طيعا متوشحا بالمقابلة .
فان جاء الارصاد متكلفا أو ترتب عليه تنافر فى الكلام كان معيبا ، كما فى قول أبى تمـــام :

صـــــارت المكرمات بزلا وكانت
أدخلت بينها بنـــات مخاض (١٥)

---

(١٤) العمـــدة ٢/٣٤ .
(١٥) البازل من الابل ما دخلت فى التاسعة ، وبنات المخاض ما دخلت فى الثانيـــــة .

فقوله « بزلا » ارصاد دل على قوله « بنات مخاض » ، ووصف المكرمات بهذه الصفة قبيح ، فوق ما فى البيت من تكلف الجمع بين البزل وبنات المخاض من أجل التشاكل والتلوين البديعى .

وكما فى قول المتنبى :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشـــا
قلاقـــــل عيس كلهن قلاقــــــل

فقوله « قلاقل عيس » ارصاد دل على عجز البيت ، وقـــد ترتب عليه وجود تنافر الكلمات فى البيت ، فصار معيبا .

المزاوجـــــة

وهى لغة المقارنة والمشابهة ، يقال : ازدوج الكلام وتزاوج : أشبه بعضه بعضا فى السجع أو الوزن ، أو كان لاحـــدى القضيتين تعلق بالأخرى (١) • وفى اصطلاح البلاغيين : أن يزاوج بين معنيين فى الشرط والجزاء • أى يجعل معنيان واقعان فى الشرط والجزاء مزدوجين فى أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر (٢) • والأوضح فى تعريفها أن يقال : هى ترتيب فعل واحد مختلف المتعلق على شرط وجزائه (٣) •

من ذلك قول البحترى :

اذا ما نهى الناهى فلج بى الهـوى
أصاخت الى الواشى فلج بها الهجر (٤)

أى : اذا نهانى الناهى عن حبها فترتب على النهى اشتداد الهوى بى وملازمته لى ، استمعت الى الواشى فترتب على استماعها لزوم الهجر واشتداد القطيعة • فزاوج بين الشرط والجـــزاء فى أن ترتب على كل منهما لجاج فى شىء ، فنهى الناهى الذى هو الشرط ترتب عليه اللجاج فى الهوى ، والاصاخة الى الواشى الذى هو الجزاء ترتب عليه اللجاج فى الهجـــر •

وفى ترتيب لجاج الهوى على نهى الناهى مبالغة فى اظهار حبه لها وتعلقه بها ، اذ كلما عوتب فيه ونهى عنه ازداد منه واشتد فيه كما قال القـــائل :

---

(١) لسان العرب مادة : زوج .
(٢) المختصر ٣١٦/٤ .
(٣) المعجم الوسيط مادة : زاج .
(٤) لج به : اشتد به ولزمه . أصاخت : استمعت ، الواشى : النمام الذى يفسد بين الناس وخصوصا المحبين .

أجـد الملامـة فى هـواك لذيذة

حبـا لذكرك فليامنى اللـوم

وفى ترتيب لزوم الهجران علي وشى الواشى مبالغة فى وصفها بالدلال والتمنع ، فمجرد الوشاية تبعثها على الهجر ، فكيف لو رأت عيبا ؟ وكل مبالغة منهما مستحسنة فى بابها (٥) .

ومن هذا قوله أيضـا :

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها

تذكرت القربى ففاضت دموعهـا (٦)

أى اذا تحاربت الفرسان وتقاتلوا فترتب على هذا فيضان دمائها التى سكبت فى القتال ، تذكرت ما بينهم من القرابة الجامعة لهم فترتب على ذلك فيضان دموعها اشفاقا على من قتل (٧) . فزاوج بين الشرط والجزاء فى أن ترتب على كل منهما فيضان شىء ، فالاحتراب الذى هو الجزاء ترتب عليه فيضان الدموع .

ومن هذا قول الشاعر :

اذا ما بدت فازداد منى جمالها

نظرت لها فازداد منى غرامها

فجمع بين الشرط والجزاء فى لزوم الازدياد ، ورتب على البدو وهو الشرط ازدياد الجمال ، ورتب على النظر وهو الجزاء ازدياد الغرام .

---

(٥) مواهب الفتـاح ٣١٨/٤ .

(٦) احتربت : تحاربت ، والضمير يعود الى فرسان هيجاء فى البيت قبل السـابق .

(٧) أنظر حاشية الدسوقى ٣١٨/٤ .

ومنه قول الشاعر :

رب ساق كأنه غصن بان
طاب فى روضة الملاحة غرسا
واذا ما بدى فأخجل بدرا
لمعت كأسه فأخجل شمسا

فزاوج بين بدوه ولمعان كأسه فى أن رتب عليهما ايقاع الخجل على شىء ، فبدوه يخجل البدر ، ولمعان كأسه يخجل الشمس .

وجمهور البلاغيين يقصرون هذا اللون على المزاوجة بين الشرط والجزاء فى ترتب فعل عليهما اقتداء بالشيخ عبد القاهر (٨) . وذكر السيوطى أن المزاوجة تكون فى الشرط والجزاء أو ما جرى مجراهما ، ومثل الذى جرى مجرى الشرط والجزاء بقوله تعالى(٩): «واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » (١٠)، ففى الآية الكريمة مزاوجة بين اتيان الآيات واتباع الشيطان فى ترتيب شىء واحد عليهما وهو الغواية ، مع مراعاة أن الانسلاخ من الآيات لون من ألوان الغواية .

بلاغة المزاوجة :

والمزاوجة من الألوان البديعية التى تسهم فى ربط الكلام ، واحكام صياغته ، وجعل بعضه آخذا بأعناق بعض ، ويتحقق ذلك فيها عن طريقين :

الأول : قيامها على الشرط والجزاء ، وهما مرتبطان ارتباطا وثيقا ، فهما جملة واحدة لا يتم مفهومها ولا تتحقق فائدتها الا بتمامها .

---

(٨) انظر دلائل الاعجاز ٩٣ .
(٩) الأعراف آية ١٧٥ .
(١٠) معترك الأقران ١/٤١١ ، ٤١٢ .

والثانى : ربط كل من الشرط والجزاء بفعل واحد ، ممـا يزيد من تلاحم الكلام ويقوى من ارتباطه •

والمزاوجة لون دقيق من النظم يحتاج الى تأمل ومراجعة حتى يأتى على صورته المحكمة ، وهى بهذا تعد نمطا عاليا من الكلام ، وفنا متميزا منـــه •

وقد جعلها الشيخ عبد القاهر من النظم الذى يتحد فى الوضع ويدق فيه الصنع ، ومهد للحديث عنها بقوله : واعلم أنه مما هو أصل فى أن يدق النظر ، ويغمض المسلك فى توخى المعانى التى عرفت : أن تتحـد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها فى بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج فى الجملة الى أن تضعها فى النفس وضعا واحدا ، وأن يكون حالك فيها حال البانى يضع بيمنه ههنا فى حال ما يضع بيساره هناك ••• وبين أن هذا يجىء على وجوه شتى ، ومنها المزاوجة بين معنيين فى الشرط والجـــزاء (١١) •

ومن هذا يتبين لنا أهمية المزاوجة فى بلاغة الكلام ، واحكـام صنعته واعلاء شأن نظمه •

---

(١١) دلائل الاعجـاز ٩٣ •

السجع

فن اسلوبى اشتهر فى الأدب العربى ، وشاع على ألسنة الفصحاء قديما وحديثا ، وهو مأخوذ من سجع وفى هذه المادة دلالة على الاستواء والاستقامة والمشابهة • يقال : سجع يسجع سجعا ، أى استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا ، وسجع الحمام : هدل على طريقة واحدة ، وسجع له سجعا : قصد ، وأصل السجع القصد المستوى على نسق واحد (١) •

والسجع فى اصطلاح البلاغيين : تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد (٢) • أى أن تتفق الكلمتان الواقعتان فى نهاية جملتين فى الحرف الأخير منهما ، وبذلك يتم التشابه والتناسب بينهما •

ويطلق السجع أيضا على نفس الكلمة التى تتفق مع الأخرى فى حرفها الأخير ، ويقال لها سجعة ، وجمعها سجعات • وفى السجع مصطلحات ينبغى الوقوف عليها وهى :

١ — القرينة : وهى القطعة من الكلام المزاوجة للأخرى ، وتسمى الفقرة كذلك •

٢ — الفاصلة : وهى الكلمة الأخيرة فى القرينة أو الفقرة •

٣ — التقفية : وهى توافق الفواصل فى الحرف الأخير •

٤ — الروى : وهو الحرف الأخير فى الفاصلة ، وهذه التسمية مأخوذة من روى القصيدة ، وهو الحرف الذى تبنى عليه القصيدة وتنسب اليه •

فقول قس بن ساعدة : من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما

---

(١) لسان العرب مادة : سجع •

(٢) الايضاح ١٠٦/٦ •

هو آت آت • يشتمل على ثلاث جمل ، كل جملة منها تسمى قرينة أو فقرة ، والكلمة الأخيرة فى كل قرينة تسمى فاصلة ، وحرف التاء فى نهاية كل فاصلة هو الروى •

والفواصل فى السجع تكون ساكنة الروى موقوفا عليها بالسكون حتى يظهر التناسق الصوتى فى السجع ، فلو وصل الكلام المسجوع ببعضه وحرك روى الفواصل بحركات الاعراب فاتت الخاصية الصوتية للسجع •

أقسام السجع :

والسجع باعتبار اتفاق الفاصلتين أو اختلافهما فى الوزن والتقفية على ثلاثة أقسام : المطرف ، والمرصع ، والمتوازى •

فالمطرف : ما اتفقت فيه الفاصلتان فى التقفية ، واختلفتا فى الوزن كما فى قوله : « ما لكم لا ترجون لله وقارا ، وقد خلقكم أطوارا » (٣) ، فوقارا وأطوارا فاصلتان متفقتان فى التقفية اذ تنتهيان بحرف/ الراء ، ومختلفتان فى الوزن ، والمعتبر فى الوزن ، الوزن العروضى الذى لا ينظر فيه الى اتحاد الحركة ، ولا لكون الحرف أصليا أو زائدا ، بل ينظر فيه الى مقابلة متحرك بمتحرك وساكن بساكن ، وليس المعتبر الوزن الصرفى الذى يقوم على مراعاة نوع الحركة والأصلى والزائد (٤) •

وقيل لأعرابى ما خير العنب ؟ قال : ما اخضر عوده ، وطال عموده ، وعظم عنقوده • فالفواصل الثلاث تتفق فى التقفية وتختلف فى الوزن • ومن هذا قول الحريرى : ولا ينفع أهل القبور ، سوى العمل المبرور ،

---

(٣) نوح آية ١٣ ، ١٤ •
(٤) حاشية الدسوقى ٤/٤٤٨ •

فطوبى لمن سمع ووعى ، وحقق ما ادعى ، ونهى النفس عن الهوى ، وعلم أن الفائز من ارعوى (٥) .

وسمى هذا اللون مطرفا لان الاتفاق بين الفاصلتين واقع فى طرفيهما وهو الحرف الأخير منهما المعروف بالروى . وقيل غير ذلك (٦) .

والمرصع : ما اتفقت فيه الفاصلتان فى الوزن والتقفية مع اتفاق باقى ألفاظ القرينتين أو اكثرها فى الوزن والتقفية كذلك . كقول الحريرى : فهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ، ويقرع لأسماع بزواجر وعظه . فكل ألفاظ القرينتين تتفق فى الوزن والتقفية . ومثله قول أبى الفضل الهمدانى : ان بعد الكدر صفوا ، وبعد المطر صحوا . وقول أبى الفتح البستى : ليكن اقدامك توكلا ، واحجامك تأملا . وقول الصاحب : لكنه عمد الشوق فأجرى جياده غرا وقرحا (٧) ، واورى زناده قدحا فقدحا . وهذا المثال مما أكثر ألفاظه متفقة فى الوزن والتقفية .

وهذا النوع اذا سلم من التكلف والاستكراه فهو أحسن وجوه السجع (٨) ، لظهور التناسب التام بين جميع ألفاظه مما يجعل له وقعا موسيقيا أخاذا ، وسمى مرصعا تشبيها له بالعقد المرصع وهو ما يجعل فيه احدى اللؤلؤتين فى مقابلة الأخرى مثلها .

والمتوازى : ما اتفقت فيه الفاصلتان وزنا وتقفية كقوله تعالى : « فيها سرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة » (٩) ، فالفاصلتان « مرفوعة

---

(٥) شرح المقامات ١٧٢/٢ .
(٦) انظر مواهب الفتاح ٤٤٧/٤ .
(٧) اغر : جمع أغر وهو الحصان الذى يكون فى وجهه بياض ، والقرح : جمع اقرح ، وهو ما كان فى وجهه بياض دون الغرة .
(٨) انظر الصناعتين ٢٠٢ .
(٩) الغاشية آية ١٣ ، ١٤ .

و موضوعة » متفقتان فى الوزن والتقفية • ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم انى أدرأ بك فى نحورهم ، وأعوذ بك من شرورهم » • ومنه قول الحريري : تبصر العواقب ، يؤمن المعاطب ، وقبح الجفاء ، ينافى الوفاء (١٠) • وسمى هذا النوع متوازيا لتوازى الفاصلتين وتوافقهما وزنا وتقفية (١١) •

وتختلف فقر السجع طولا وقصرا ، فمنها القصيرة كما فى قوله تعالى : « يأيها المدثر ، قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر » (١٢) ، ومنها المتوسطة كما فى قوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر ، وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ، وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر » (١٣) • ومنها الطويلة كما فى قوله تعالى : « اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الأمر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ، واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمر كان مفعولا والى الله ترجع الأمور » (١٤) •

السجع والشعر :

وجمهور البلاغيين يرون أن السجع مختص بالنثر ، وبعضهم يجعله غير مختص به فهو موجود فى الشعر ومنه قول أبى تمام :

تجلى به رشدى ، وأثرت به يدى
وفاض به ثمدى ، وأورى به زندى (١٥)

---

(١٠) شرح المقامات ٢/٩٩ .
(١١) مواهب الفتاح ٤/٤٤٨ .
(١٢) المدثر آية ١ — ٥ .
(١٣) القمر آية ١ — ٣ .
(١٤) الأنفال آية ٤٣ ، ٤٤ .
(١٥) أثرت : صارت ذا ثروة ، والثمد بكسر الثاء الماء القليل .
والورى : خروج النار من الزند ، والجملة كناية عن نيل المراد .

ففى البيت أربع سجعات موقوفة على الدال .

والسجع فى الشعر له أنواع منها :

التشطير : وهو جعل كل شطر من البيت على سجعتين مخالفتين لما فى الشطر الآخر . كما فى قول أبى تمام :

تدبير معتصم ، بالله منتقم
لله مرتغب فى الله مرتقب

وقول مسلم بن الوليد :

موف على مهج ، فى يوم ذى رهج
كأنه أجل ، يسعى الى أمل

وقول البوصيرى فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

كالبدر فى شرف ، والزهر فى ترف
والبحر فى كرم ، والدهر فى همم

٢ — التصريع : وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب ، ويكثر فى مطالع القصائد ، كقول امرىء القيس :

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقول كعب بن زهير :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول

وقول شوقى :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وتحدث ابن الاثير عن التصريع ، وذكر أنه فى الشعر بمنزلة السجع فى النثر ، وفائدته الدلالة ، على قافية القصيدة قبل كمال البيت الأول منها ، وفيه دلالة على سعة القدرة فى أفانين الكلام ، وجعله سبع مراتب ، لا مجال للاطالة بذكرها (١٦) .

٣ ـ التسميط : وهو مثل التشطير الا أن السجعة الأولى من الشطر الثانى توافق السجعتين اللتين فى الشطر الأول كقول صفى الدين الحلى :

فالحق فى أفق ، والشرك فى نفق
والكفر فى فرق ، والدين فى حرم

وقول الخنساء :

حمال ألوية ، هباط أودية
شهاد أندية ، للجيش جرار

السجع فى القرآن الكريم :

ذهب بعض العلماء الى نفى السجع عن القرآن الكريم ، وذكروا أن ما جاء فيه على صورة السجع انما هو فواصل وليس بسجع ، ومن حججهم فى ذلك : أن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ ، وهذا قلب ما توجبه الحكمة فى الدلالة ، فهو عيب ، اما الفواصل فيتبع اللفظ فيها المعنى ، فهى بلاغة وحكمة ، لانها طريق الى افهام المعانى التى يحتاج اليها فى أحسن صورة يدل بها عليها (١٧) .

كما أن السجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر ، لان الكهانة تنفى النبوات ، وليس كذلك الشعر . وقد ذم الرسول صلى الله عليه وسلم السجع عندما جاءه

---

(١٦) المثل السائر ٩٨ ، وانظر التبيان ٤٩٩ .
(١٧) النكت فى اعجاز القرآن ٩٧ ، ٩٨ .

الذين كلموه فى شـأن الجنين وقالوا : كيف ندى من لاشرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد يطل ؟ فقـال : أسـجاعة كسـجاعة الجاهليـة ، وفى رواية أسجعا كسجع الكهـان ؟ وبهـذا كان السجع مذموما (١٨) •

وبعض العلماء يرون أن السجع موجود فى القرآن الكريم ، وأن السجع ليس مذموما على اطلاقه ، بل منه نوع مذموم وهـو المتكلف المرذول الذى يكون المعنى فيه تابعا للفظ ، والقرآن الكريم منـزه عن هذا النوع ، ومنه نوع محمود وهو السجع البليغ الذى تأتى الألفاظ فيه تابعة للمعانى ، وهذا هو الموجود فى القرآن الكريم ، وقد وصل فيه درجـة الاعجـاز (١٩) •

والاستدلال بحديث الجنين على ذم السجع اسـتدلال فاسد لان النبى صلى الله عليه وسلم لو أراد ذم السـجع على الاطـلاق لقال : أسجعا ؟ وانما قال : أسجعا كسجع الكهان ؟ فدل ذلك على أنه أنكـر تشادق هؤلاء القائلين بالسجع ، ومحاولتهم دفع حق وجب عليهم بطريقة الكهان فى الجاهلية ، وكيف يذم النبى السجع وكثير من كلامه مسجوع من غير تكلف ولا تعمد ، وقد بلغ فيه أعلى درجات البلاغة البشرية (٢٠) •

وقد أجمع البلاغيون والنقاد على أن السجع من وجوه البديع التى يتميز بها الكلام اذا جاءت غير متكلفة ، والسجع المحمود من أمارات الفصاحة التى يقصد اليها أعلام البلغاء فى بعض كلامهم ، فكيف نجرد القرآن الكريم منه وننقيه عنه ، مع ادعائنا أنه قد اشتمل على أنواع البلاغة والفصاحة (٢١) •

---

(١٨) انظر اعجاز القرآن ٥٧ — ٦٢ •
(١٩) انظر سر الفصاحة ١٦٥ •
(٢٠) انظر المثل السائر ٧٥ ، ومقدمة تحقيق اعجاز القرآن ٧٥ •
(٢١) مقدمة تحقيق اعجاز القرآن ٧٧ •

ولعل الذى دعا بعض العلماء الى نفى السجع عن القرآن الكريم وتسمية ما جاء على صورته فواصل ، رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض قريب يتعلق بالتسمية ، ولا يؤثر فى جوهر القضية ، اذ الحقيقة أن السجع موجود فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة ، بل ان بعض السور قد جاءت كلها مسجوعة على حرف واحد — تقريبا — كسورة النجم وسورة القمر ، وسورة الرحمن . وسواء سمى هذا بالسجع أو بالفواصل فالحقيقة موجودة ، ولا مشاحة فى الاصطلاح ، والذى ينبغى أن تؤكد عليه ، أن كل ما جاء من السجع فى القرآن الكريم فهو من الطبقة العليا فى الفصاحة والبلاغة (٢٢) .

وما دام الحديث قد تطرق الى الفاصلة فينبغى أن تعلم أن الفاصلة القرآنية لها عدة تعريفات أشهرها : أنها آخر كلمة فى الآية (٢٣) .

والفواصل القرآنية أعم من السجع حيث لا يشترط فيها التماثل فى المقطع لذا فهى تنقسم الى متماثلة ومتقاربة ، فالمتماثلة ما اتحدت حروف مقاطعها كقوله تعالى : « طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، الا تذكرة لمن يخشى ، تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى ، الرحمن على العرش استوى » (٢٤) ، وقوله تعالى : « والعاديات ضبحا ، فالموريات قدحا ، فالمغيرات صبحا ، فأثرن به نقعا ، فوسطن به جمعا » (٢٥) .

والمتقاربة ما تقاربت حروف مقاطعها كقوله تعالى : « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم » (٢٦) ، وقوله تعالى : « وآتيناهما الكتاب

---

(٢٢) انظر سر الفصاحة ١٦٦ ، والبديع من المعانى والالفاظ ١٢٩ .
(٢٣) البرهان ١/٥٣ ، وانظر الفاصلة فى القرآن ٢٣ — ٣٠ .
(٢٤) طه آية ١ — ٥ .
(٢٥) العاديات ١ — ٥ .
(٢٦) الفاتحة آية ٢ ، ٣ .

المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم » (٢٧) •

وتنقسم الفواصل من ناحية الوزن والتقفية الى متوازية ، ومطرفة ، ومتوازنة • فالمتوازية : ما اتفقت فى الوزن والمقطع كقوله تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر » (٢٨) •

والمطرفة : ما اتفقت فى المقطع لا فى الوزن ، كقوله تعالى : « ألم نجعل الأرض مهادا ، والجبال أوتادا » (٢٩) ، وقوله تعالى : « ان المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » (٣٠) •

والمتوازنة : ما اتفقت فى الوزن دون المقطع ، كقوله تعالى : « يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن » (٣١) ، وقوله تعالى : « والليل اذا يغشى ، والنهار اذا تجلى ، وما خلق الذكر والانثى ، ان سعيكم لشتى » (٣٣) •

والفواصل القرآنية متلائمة ومتناسبة مع ما يسبقها من كلام ، وهذا التناسب قد يكون ظاهرا واضحا ، وقد يكون خفيا يحتاج الى تأمل حتى يدرك على وجهه الصحيح ، وقد بينا هذا فى حديثنا عن تشابه الأطراف •

وفواصل القرآن الكريم كلها بلاغة وحكمة ؛ لأنها طريق الى افهام المعانى التى يحتاج اليها فى أحسن صورة يدل بها عليها ، وقد أوجز الرمانى فائدة الفواصل وهى : دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام

---

(٢٧) النبأ آية ٦ ، ٧ •
(٢٨) الضحى آية ٥ ، ٦ •
(٢٩) الصافات ١١٧ ، ١١٨ •
(٣٠) القمر آية ٥٤ ، ٥٥ •
(٣١) المعارج آية ٨ ، ٩ •
(٣٢) الليل آية ١ — ٤ •
(٣٣) انظر البرهان ١/٧٢ — ٧٧ •

بالتشاكل ، وابداؤها فى الآى بالنظائر (٣٤)•والحديث عما فى الفواصل القرآنية من بلاغة عالية ، وأغراض سامية يحتاج الى بحوث مستقلة •

بلاغـــة الســـجع :

السجع من الفنون الاسلوبية الفطرية التى تؤثر فى النفوس تأثير السحر ، وتلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم ، لما يحدثه من النغمـة المؤثرة ، والموسيقى القوية التى تطرب لها الآذان ، وتهش لها النفس ، فتقبل على السماع من غير أن يدخلها ملل ، أو يخالطها فتور ، فيتمكن المعنى فى الأذهان ، ويقر فى الأفكار ، ويعز لدى العقول ، وهذا كله أس البلاغة ومقصد البلغـاء (٣٥) •

والسجع عنصر من عناصر التناسب فى الكلام ، فالاسلوب مقسم الى فقر متساوية ، متشاكلة المقاطع ، متشابهة الأوزان ، متناسـقة النغم ، وهذا مؤد الى ربط الكلام وتلاحمه •

وللسجع الحسن عند البلاغيين مقاييس شكلية وأخرى معنوية •

فأما الشكلية فقد ذكروا أن أحسن السجع ما تساوت قرائنـه فى عدد الكلمات كقوله تعالى : « فى سدر مخضود ، وطلح منضود ، وظل ممدود » (٣٦) ، ثم ما طالت قرينته الثانية كقوله تعالى : « والنجم اذا هوى،ما ضل صاحبكم وما غوى » (٣٧)،ثم ما طالت قرينته الثالثة كقوله تعالى : « خذوه فغلوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه » (٣٨) ، ولا يحسن عندهم أن تلى القرينة قرينة أقصر

---

(٣٤) النكت : ٩٨ ، ٩٩ • وانظر كتابنا : البحث البلاغى فى ظلال القرآن الكريم ٨٢ ، ٨٣ •

(٣٥) انظر الصبغ البديعى ٤٩٧ •

(٣٦) الواقعـة آيـة ٢٨ — ٣٠ •

(٣٧) النجـم آيـة ١ ، ٢ •

(٣٨) الحـاقة آيـة ٣٠ — ٣٢ •

منها كثيرا ، كأن يقال : خاطبنى خليلى وشفانى بكلامه الذى هو كالجوهر النفيس ، فاقتضيت به حسن تنفيس • وذلك لان السجع اذا استوفى أمده من الأولى لطولها ، ثم جاءت الثانية أقصر منها كثيرا يكون كالشىء المبتور ، ويبقى السامع كمن يريد الانتهاء الى غاية فيعثر دونها ، والذوق يشهد بذلك ويقضى بصحته (٣٩) •

وهذه المقاييس الشكلية ينبغى ألا تكون مطلقة فقد وقع السجع فى القرآن الكريم متفاوتا فى طوله وقصره ، وهو بالغ غاية الحسن ، ولا يمكن التقليل من حسن بعضه ، فاسلوب القرآن الكريم فى ذروة البلاغة والحسن ، وهو فى كل موضع يلائم المقام الذى ورد فيه ، وهـذا هو المقياس الصحيح لبلاغة الاساليب •

وأما المقاييس المعنوية : فيجب ألا تكون احدى القرينتين تكرارا للأخرى والا كان تطويلا بمعزل عن البلاغة ، كقول ابن عباد فى مهزومين : طاروا واقين بظهورهم صدورهم ، وبأصلابهم نحورهم • فان الظهور بمعنى الأصلاب ، والصدور بمعنى النحور (٤٠) •

كما ينبغى لا يكون السجع متكلفا من أجل الزخرف اللفظى ، بل يجب أن يكون المعنى هو الذى يطلبه والمقام هو الذى يقتضيه ، ولا يمكن الاستغناء عنه فى موضعه الذى جاء فيه ، ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : يأيها الناس : افشوا السلام ، وأطعموا الطعـــام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام • فالسجع هنا من مقتضيات المقام ، والمعنى هو الذى قاد اليه ، ولذلك لا يمكن تغيير كلمة منه دون أن يتأثر المعنى ويضعف الاسلوب •

ومن هذا قول الأعرابى يشكو لعــامل الماء : حلئت ركابى (٤١) ،

---

(٣٩) انظر شروح التلخيص ٤/٤٤٩ ، ٤٥٠ •
(٤٠) انظر مواهب الفتاح ٤/٤٤٩ •
(٤١) حلئت ركابى : منعت ابلى من الماء والكلأ •

وشققت ثيابى ، وضربت صحابى • فقال له العامل : وتسجع أيضا — ينكر عليه السجع فى الكلام — فقال الأعرابى : فكيف أقول ؟ • يعنى أن هذا الذى قاله هو أصدق تعبير عن حالته ، ولا يعلم أصلح لما أراد التعبير عنه خيرا من هذه الألفاظ التى قالها ، ولم يره بالسجع مخلا بمعنى ، أو محدثا فى الكلام استكراها ، أو خارجا الى تكلف واستعمال ما ليس بمعتاد فى غرضه (٤٢) • ولذلك قال الجاحظ : لانه لو قال : حلئت ابلى أو جمالى أو نوقى أو بعرانى أو صرمتى (٤٣) ، لكان لم يعبر عن حق معناه ، وانما حلئت ركابه ، فكيف يدع الركاب الى غير الركاب ، وكذلك قوله : وشققت ثيابى ، وضربت صحابى (٤٤) •

كذلك ينبغى التخفف من السجع ، فلا يأتى الكلام كله مسجوعا ولا سيما اذا كان طويلا ، لما فى ذلك من أمارات التكلف والتصنع والاستكراه (٤٥) • والحكم فى ذلك هو المعنى ، فينبغى للمتكلم أن يرسل المعانى على سجيتها ويدعها تطلب لأنفسها الألفاظ التى تليق بها مسجوعة أو غير مسجوعة ، فان العارفين بجواهر الكلام لا يعرجون على هذا الفن ونظائره الا بعد الثقة بسلامة المعنى وصحته (٤٦) •

واقرأ ان شئت قول الجاحظ فى أول كتاب « الحيوان » : جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة سببا ، وبين الصدق نسبا ، وحبب اليك التثبت ، وزين فى عينك الانصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ،

---

(٤٢) أسرار البلاغة ٩ ، ١٠ •

(٤٣) الصرمة بالكسر : القطيع من الابل من ٣٠ — ٤٠ أو ٥٠ أو من ١٠ — ٤٠ •

(٤٤) البيان والتبيين ١/٢٨٨ • وفيه : وخرقت ثيابى •

(٤٥) سر الفصاحة ١٦٧ •

(٤٦) أسرار البلاغة ٦ ، ١٠ •

وطرد عنك ذل اليأس ، وعرفك ما فى الباطل من الذلة ، وما فى الجهـل من القـلة (٤٧) .

فانك ترى الجاحظ ترك المعانى على سجيتها ، ولم يغرق اسلوبه بالسجع ولم يتكلف أن يضع كلمة فى غير موضعها ، أو يتعمـد المجىء بكلمة تتفق مع صاحبتها فى مقطعها ، فجاء كلامه المسجوع وغير المسجوع سلسا سهلا مرتديا ثوب الحسن .

قال الشيخ عبد القاهر معلقا على هذا النص : فقد ترك أولا أن يوفق بين الشبهة والحيرة فى الاعراب ، ولم ير أن يقرن الخلاف الى الانصاف ، ويشفع الحق بالصدق ، ولم يعن بأن يطلب لليأس قرينـة تصل جناحه ، وشيئا يكون رديفا له ، لانه رأى التوفيق بين المعانى أحق، والموازنة فيها أحسن (٤٨) .

وبهذه المقاييس التى قدمناها يكون السجع فنا جميلا بليغا ، يكتسى به اللفظ حلية بهية ، ويزداد به المعنى قوة وفخامة ، ويجعل الاسلوب مؤثرا فى النفس ، مستوليا على الأسماع والعقول .

---

(٤٧) الحيـوان ١ — ٣ .
(٤٨) أسرار البلاغة ٧ .

مواضـع التأنق فى الكـلام

ينبغى المتكلم أن يعنى فى كـلامه بثلاثة مواضـع : الابتـداء ، والتخلص ، والانتهاء ، فيتأنق فى صياغتها ، ويختار المعانى الملائمة لها ، والألفاظ الدالة عليها أحسن دلالة ، ويجعلها مناسبة ومتناسبة • وذلك أن حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ، ولطافة الخروج والتخلص تريح السامع وتجعل الكلام متماسكا مقترنا ببعضه ، وخاتمة الكلام أبقى فى السمع والصق بالنفس لقرب العهد بهـا ، فان حسنت حسُن ، وان قبحت قبح ، والأعمال بخواتيمها كما ورد عن الرسـول صلى الله عليه وسلم (١) •

واليك تفصيل الحديث فى هذه المواضع :

١ ــ حسن الابتـــداء :

الابتداء أول ما يقرع السمع ، فان كان عـذب اللفظ ، صحيح المعنى ، جيد السبك ، ملائما للموضوع ومناسبا للمقام ، أقبل السامع على الكلام بانشراح فوعاه وعلم ما فيـــه ، وان كان على خلاف ذلك أعرض عنه ونفـــر منه •

قال ابن رشيق : الشعر قفل أوله مفتاحه ، وينبغى للشاعر أن يجود ابتداء شعره ، فانه أول ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة •• وليجعله حلوا سهلا ، وفخما جزلا •

ومن أحسن الابتداءات عند العرب قول امرىء القيس :

قفانبك من ذكـرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

---

(١) انظر العمـدة ٢١٧/١ ، ٢٤١ •

وذلك لانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع احد (٢) .

وأحسن منه قول النابغة :

كلينى لهم يا أميمة ناصب
وليل أقاسيه بطىء الكواكب

وقد فضله النقاد على بيت امرىء القيس لان شطريه متناسبان وألفاظه متلائمة ، والشطر الثانى فى بيت امرىء القيس كثير الألفاظ ، قليل المعنى ، غريب اللفظ (٣) .

واذا اشتمل الابتداء الحسن على اشارة الى المقصود من تهنئة أو مدح أو هجاء أو عتاب أو غير ذلك سمى : براعة استهلال .

وعلى هذا فينبغى للمتكلم أن يجعل مطلع كلامه متناسبا مع ما بعده ومتلائما معه . ويكون دالا على موضوعه الذى هو آخذ فى التعبير عنه .

ومن براعة الاستهلال مطلع قصيدة أبى تمام فى تهنئة المعتصم بفتح عمورية ، بعد أن خالف رأى المنجمين الذين زعموا أنها لا تفتح فى ذلك الوقت ، وهو قوله :

السيف أصدق أنباء من الكتب
فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى
متونهن جلاء الشك والريب

ومنه فى الرثاء قول أوس بن حجر :

---

(٢) العمدة ١/٢١٨ .
(٣) انظر خزانة الأدب ١/١٩ ، ٢٠ .

أيتها النفس أجملي جزعا
ان الذى تحذرين قد وقعا

قال النقاد : لم يبتدأ أحد من الشعراء بأحسن مما ابتدأ به أوس ابن حجر ، لانه افتتح المرثية بلفظ نطق به على المذهب الذى ذهب اليه منها فى القصيدة ، فأشعرك بمراده فى أول بيت (٤) .

ومن جيد الابتداءات المشتملة على براعة الاستهلال قول حافظ ابراهيم فى تحية عام هجرى :

أطل على الأكوان والخلق تنظر
هلال رآه المسلمون فكبروا

وقول شوقى فى همزيته :

ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وثناء

وقوله فى الأزهر :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا
وانثر على سمع الزمان الجوهرا

الابتداءات المعيبة :

وقد يلحق بعض الشعراء العيب والذم بسبب ابتداءاتهم القبيحة من جراء الغفلة والنسيان أو الغلطة فى الطبع أو الاستغراق فى الصنعة واهمال قوانين البلاغة . ومن أمثلة ذلك :

---

(٤) حلية المحاضرة ٢٠٦/١ .

دخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده :

أتصحو أم فؤادك غير صاح
عشية هم صحبك بالرواح

فقال له عبد الملك : بل فؤادك أنت يا بن الفاعلة . وكأنه استثقل هذه المواجهة مع أنه لا يغيب عنه أن الشاعر يخاطب نفسه .

ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فأنشده قصيدته :

ما بال عينك منها الماء ينسكب
كأنه من كلى مفرية سرب

وكانت عين عبد الملك بها رمش وهى تدمع دائما فظن انه قد عرض به فقال له : بل عينك أنت ، وأمر باخراجه .

وقيل انه لما بنى المعتصم قصره ببغداد ، وجلس فيه فى يوم حفل مع عظماء دولته ورجاله أنشده اسحاق الموصلى :

يا دار غيرك البلى ومحاك
يا ليت شعرى ما الذى أبلاك

فتطير المعتصم بهذا الابتداء وأمر بهدم القصر (٥) .

وكان على هذا الشاعر أن يبتدأ ابتداء مناسبا للمقام كالذى قاله أشجع السلمى :

قصر عليك تحية وسلام خلعت عليك جمالها الأيام

وقد عاب النقاد على المتنبى بعض ابتداءاته ومنها قوله فى مدح كافور :

---

(٥) انظر خزانة الأدب ١/٢٣ .

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
وحسب المنايا أن يكن أمانيا

فالمتنبى وان كان يخاطب نفسه على سبيل التجريد الا أن هذا الابتداء غير ملائم للمدح ولا يتناسب مع مخاطبة الملوك وأولى به أن يكون بداية لقصيدة فى الرثاء • أو الهجاء •

فواتح سور القرآن الكريم :

قد أجمع البلاغيون والنقاد على أن فواتح سور القرآن الكريم بلغت أعلى درجات البلاغة ، وجاءت فاتحة كل سورة فى غاية التلاؤم والتناسب مع ما تتضمنه السورة من أحكام وعظات وقصص وأمثال •

وقد ألف ابن أبى الاصبع كتابا فى فواتح سور القرآن الكريم سماه الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح • بين فيه أسرار الفواتح فى سور القرآن الكريم وذكر أن الله تعالى قد افتتح سور القرآن الكريم بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شىء من السور عنها : الأول : الثناء عليه تعالى ، والثانى : حروف التهجى ، والثالث : النداء ، والرابع : الجمل الخبرية ، والخامس : القسم ، والسادس : الشرط ، والسابع : الأمر ، والثامن : الاستفهام ، والتاسع : الدعاء ، والعاشر : التعليل (٦)• وقد أفاض فى تفصيل ذلك وبين أسرار هذه الفواتح بدقة وعناية •

وابتداءات سور القرآن الكريم توقظ السامعين ، وتنبههم الى ما يأتى فى سوره من تشريعات وعظات •

فابتداء سورة النور : « سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون » (٧) ، يشير الى عظمة هذه السورة وأهمية

---

(٦) ينظر الخواطر السوانح . تحقيق : د• حفنى شرف •
(٧) النور آية ١ •

ما تتضمنه من أحكام وتشريعات وآداب وعظات فيها اصـلاح للاسرة والمجتمع ووقاية وحماية لأعراض المسلمين وشرفهم •

وابتداء سورة التوبة : « براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين » (٨) ، يدل على اعلان المقاطعة للمشركين ، والأمر بقتالهم واسقاط عهودهم ، وهذا ما فصلته السورة وبينته فى آياتها بوضوح •

وهكذا ابتداءات جميع سور القرآن الكريم ، اذ تدبرتها جملتها وتفصيلها ومفرداتها ومركباتها ، ومعجماتها ومعرباتها ، ونظرت فى أعداد حروفها وما يوافق أعدادها من العدد الحسابى وما نسب اليه من المعانى • رأيت من البلاغة والتفنن فى أنواع الاشارة ما تقصر عنه العبارة (٩) •

٢ ـ حسن التخلص :

ويسمى « الخروج » وهو انتقال الشاعر من فن الى آخر بأحسن اسلوب مع التلطف بحيث لا يشعر السامع بالانتقال لشدة الالتئام كأنهما أفرغا فى قالب واحد (١٠) •

والتلطف فى الخروج وحسن التخلص يدل على حذق الشاعر وقوة تصرفه ويحرك نشاط السامعين ويساعد على اصغائهم •

وأحسن التخلص ما وقع فى بيت واحد ومنه قول مسلم بن الوليد يمدح يحيى البرمكى :

---

(٨) التوبة آية ١ •

(٩) بديع القرآن ٦٤ •

(١٠) علوم البلاغة ٣٩١ •

أجدك ما تدرين أن رب ليلة
كأن دجاها من قرونك تنشر (١١)
سهرت بها حتى تجلت بغرة
كغرة يحيى حين يذكر جعفر

فقد تخلص من النسيب بالانتقال من غرة الصبح الى الممدوح بعد أن جعل غرة الصبح كغرته فكان فى الانتقال من الأول الى الثانى مناسبة من جهة أن لكل غرة تشبه الأخرى (١٢) ٠

ويليه فى الحسن ما يأتى فى بيتين كقول المتنبى يمدح المغيث العجلى:

مرت بنا بين تربيها فقلت لها
من أين جانس هذا الشادن العربا
فاستضحكت ثم قالت كالمغيث يرى
ليث الشرى وهو من عجل اذا انتسبا

فقد تخلص من النسيب الى المدح بالاستفهام وجوابه وهما فى بيتين ٠

ومن التخلصات المختارة قول أبى تمام :

يقولون فى قومس قومى وقد أخذت
منا السرى وخطا المهرية القود (١٣)
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا
فقلت كلا ولكن مطلع الجود

---

(١١) اجدك : بكسر الجيم وفتحها وهو منصوب على نزع الخافض أى : ابجدك ٠ والقرون : خصل الشعر ٠

(١٢) بغية الايضاح ١٥٤/٤ ٠

(١٣) قومس : موضع متسع بين خراسان وبلاد الجبل ٠ والمهرية : الابل المنسوبة الى مهرة ، والقود : الطويلة الظهور والاعناق ٠

وقد تخلص الشاعر بالانتقال من مطلع الشمس الى الممدوح بأن جعله مطلع الجـود .

وقد اختلف فى وقوع التخلص فى القرآن الكريم فقيل لا يقع فيه لانه يقع فى الغالب متكلفا والقرآن منزه عن ذلك وقيل : انه قد وقع فيه كما فى قوله تعالى فى أول سورة يوسف : « ألر تلك آيات الكتاب المبين انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك حسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ، اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » فالسورة موضوعة لقصة يوسف ، وقد افتتحت بذكر القرآن الكريم وبعض ما يتصل به ثم تخلص الى قصة يوسف هذا التخلص البديع (١٤) . ومنه قوله تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع ، للكافرين ليس له دافع ، من الله ذى المعارج ، تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » (١٥) ، ذكر أولا عذاب الكافرين و نه لا دافع له من الله ، ووصف الله تعالى بذى المعارج تخلصا الى قوله « تعرج الملائكة والروح اليه » وهذا من ألطف التخلص وأحسنه (١٦) .

وقد يقع التخلص معيبا لم يوفق الشاعر فيه ، فيقبح ويذم ، ومنه قول أبى الطيب :

ها فانظرى أو فظنى بى ترى حرقا
من لم يذق طرفا منها فقد وألا (١٧)

عل الأمير يرى ذلى فيشفع لى
الى التى تركتنى فى الهوى مثلا

(١٤) بغية الايضاح ٤/١٥٥ .

(١٥) المعارج آية ١ — ٤ .

(١٦) الأقصى القريب ٨٤ .

(١٧) الحرق : جمع حرقة ما يجده الانسان من آلام الحب أو الحزن ، وال : نجا .

فقد تمنى ان يكون الأمير قوادا له .

والتخلص فن بديعى ذهب اليه المحدثون من الشعراء وقلما فات واحدا منهم فى انتقاله من غرض الى غرض . أما الشعراء القدماء فلم يذهبوا هذا المذهب فى الخروج من غرض الى غرض ، بل نجد أكثرهم يخرج من وصف الابل وذكر الديار والنسيب الى ما قصد اليه بقوله : دع ذا ، وعد عن ذا ، وما أشبه ذلك وهذا قد سماه البلاغيون الاقتضاب .

فالاقتضاب : هو انتقال الشاعر من فن الى فن آخر من غير تمهيد أو تخلص حسن ، وهو مذهب الشعراء الأوائل ومن يليهم من المخضرمين ومن يتقلدون طريقتهم من المحدثين .

ومن الاقتضاب قول الشاعر :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة
ذمول اذا صام النهار وهجرا(١٨)

ونظيره قول حسان :

فدع هذا ولكن من لطيف
يؤرقنى اذا ذهب العشاء

فانتقل من وصف الديار وما كانت عليه الى ذكر من يهواها بقوله « فدع هذا » وهو من قبيل الاقتضاب .

ومن الاقتضاب قول أبى تمام :

لو رأى الله فى الشيب خيرا
جاورته الأبرار فى الخلد شيبا

---

(١٨) الجسرة : الناقة الطويلة الضخمة ، الذمول : الناقة التى تسير سيرا حثيثا .

كل يوم تبدى صروف الليـــالى
خلقـا من أبى سـعيد غريبـا

فقد انتقل الى المدح اقتضابا من غير تخلص •

ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص وهو فصل الخطاب ، ويكون كقول القائل : بعد حمد الله أما بعد • ومن الفصل الذى هو أحسن من الوصل لفظة هذا ، وهى علاقة وكيدة بين الخروج من كلام الى كلام آخر غيره كقوله تعالى : « هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب » (١٩) •

ومنه قوله تعالى : « هذا وان للطاغين لشر مآب » (٢٠) أى الأمر هذا أو هذا كما ذكر • فانتقلت الآيات من غرض الى غرض عن طريق لفظة « هذا » وذلك من فصـل الخطاب الذى هـو ألطف موقعا من التخلص (٢١) •

وبهذا ترى أن القرآن الكريم لم يترك واديا من أودية البلاغة الا أخذ منه بنصيب وعبر عنه تعبيرا معجزا •

ومنه استعمال « أيضا » وهذا كثير فى كلام المتأخرين وفيه ربط بين الكلام السابق واللاحق •

٣ ـ حسن الانتهـــاء :

وهو أن يختتم المتكلم كلامه ختاما حسنا فى ألفاظه ومعانيه ، ملائما لما قبله ومناسبا للموضوع الذى يقول فيه ، لان ختام الكلام آخـــر ما يعيه السمع • ويرتسم فى النفس فان كان مختارا مستوفيـا شروط

---

(١٩) ص ٤٩ •
(٢٠) ص ٥٥ •
(٢١) المثـل السـائر ٢٨٢ •

الحسن جبر ما سبقه من تقصير ، ورسخ فى الذهن ، وان كان بخلاف ذلك ترك انطباعا سيئا ، وربما أنسى محاسن ما قبله .

ومن الانتهاءات الحسنة قول أبى نواس :

وانى جدير اذ بلغتك بالمنى
وأنت بما أملت منك جدير
فان تولنى منك الجميل فأهله
والا فانى عاذر وشكور

ومنها قول أبى تمام :

فما من ندى الا اليك محله
ولا رفعة الا اليك تسير

واذا تضمن الانتهاء ما يشعر بانتهاء الكلام وتمامه سمى : براعة المقطع ومنه قول أبى نواس :

فبقيت للعلم الذى تهدي له
وتقاعست عن يومك الأيام

ومنه قول الشاعر :

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله
وهذا دعاء للبرية شامل

وقول الآخر :

فلاحطت لك الهيجاء سرجا
ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

خواتم سور القرآن الكريم :

وقد جاءت خواتم السور مثل فواتحها فى الحسن ، فتضمنت المعانى البديعة مع ايذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوف الى ما يذكر بعد ٠

وخواتم السور القرآنيه تدور بين الأدعية والوصايا ، والفرائض، والتحميد والتهليل ، والمواعظ ، والوعد والوعيد ، وغير ذلك مما يناسب جو السورة نفسها من بدايتها الى نهايتها (٢٢) ٠

ومن ختام السور القرآنية قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » وهذا ختام سورة آل عمران ، وقد تضمن الختام وصية بالصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى وهى تتلاءم مع جو السورة حيث عرض فيها حديث النصر والهزيمة فى بدر وأحد وما فى ذلك من دروس وعبر ٠

وقوله تعالى : « هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الألباب » وهذا ختام سورة ابراهيم ٠ وهو مناسب لما فى السورة من تهديد ووعيد للكافرين ، وترهيب بمشاهد يوم القيامة ٠

وقوله تعالى : « وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين » وهذا ختام سورة المؤمنون ٠ وفيه دعاء بالمغفرة والرحمة ، وثناء على الله تعالى بأنه خير الراحمين استجلابا لرحمته تعالى ، وذلك عقيب ذكر ما يلحق الناس من هول يوم القيامة ٠

---

(٢٢) الاتقان ١٠٧/٢ ٠

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل الثاني

فنون التخييل والايهام

يلعب الخيال دورا كبيرا فى الأعمال الأدبية ، ويحظى الشعر منه بنصيب وافر ، وقد جعله « حازم القرطاجنى » قوام لغة الشعر ، ومدار جودتها ، فلا تحبب اللغة الى النفس ما قصدت تحبيبه اليها ولا تكره اليها ما قصدت تكريهه الا بحسن الخيال (١) .

والفنون البديعية التى يبرز فيها التخييل والايهام كثيرة منها : التورية — والمشاكلة — وحسن التعليل — والتجريد — وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه — والتوجيه — وتجاهل العارف — والجناس . وظهور عنصر الايهام فى هذه الفنون لا يعنى أنها موقوفة عليه ، فكثير منها يلعب دورا له شأنه فى ربط الاسلوب وتحقيق التناسب بين أجزائه وعناصره ، كما سيتضح لنا عند الحديث عن بلاغتها ، وانما آثرنا بحثها فى هذا الفصل لظهور ما فيها من ايهام وتخييل .

---

(١) منهاج البلغاء ٧٣ .

التــــــورية

وتسمى الايهام ، والتخييل ، والمغالطة المعنوية وغير ذلك • ورجح الحموى مصطلح التورية لقربه من مطابقة المسمى (١) • وهى مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته وأخفيته وأظهرت غيره ، كأن المتكلم يجعل المعنى المقصود وراءه بحيث لا يظهر •

والتورية فى اصطلاح البلاغيين : أن يطلق لفظ له معنيان : قريب وبعيد ، ويراد به البعيد منهما ، اعتمـــادا على قرينـــة خفية • والمراد بالقريب ما قرب من الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه ، ويسمى « المورى به » أى الذى حصل به الخفاء ، والمراد بالبعيد ما بعد عن الفهم لقلة استعمال اللفظ فيه ، ويسمى « المورى عنه » أى الذى وقع عليه الخفاء• والمعنى القريب فى التورية يستر المعنى البعيد ويخفيه ، حتى كأن المعنى البعيد وراءه وخلفه وهذا وجه المناسبة بين المعنى اللغوى والاصطلاحى للتورية • واشترط خفاء القرينة لان وضوحها يجعل المعنى البعيد ظاهرا غير مستتر ، فلا يكون فى الكلام تورية (٢) •

ومن أمثلة التورية قول أبى بكر رضى الله عنه وهو فى طريق الهجرة وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا ؟ فقال : هاديهدينى • فكلامه له معنى قريب ، هو الدليل الذى يدله على الطريق فى السفر ، وهذا المعنى غير مراد ، وله معنى بعيد ، هو : الهادى الذى يهديه الى الاسلام ، وهذا المعنى هو المراد •

---

(١) انظر حدائق السحر ١٣٥ ، ومفتاح العلوم ٢٠١ ، والمثل السائر ٢٥٨ ، وخزانة الأدب ٣٩/٢ .

(٢) حاشية الدســـوقى ٣٢٣/٤ •

ومنها قـــول المتنبى :

برغم شبيب فارق السيف كفــه
وكانا على العـــلات يصطحبـــان
كأن رقاب الناس قالت لســيفه
رفيقك قيسى وأنت يمـــانى (٣)

ففى لفظ « يمانى » تورية ، ومعناه القريب السيف اليمانى ، ومعناه البعيد الرجل المنسوب الى اليمن ، وهو المعنى المراد . والمتنبى يريد أن يقول : ان شبيبا لما قتل وفارق السيف كفه بعد أن كانا صاحبين ، كأن الناس أوقعت بينهما ، فقالوا للسيف أنت يمانى وصاحبك قيسى ، ونظرا لما بين القيسيين واليمانيين من العداوات ، جانبه السيف ، وفارقه (٤) .

أقســـــام التـــــورية :

قسم البلاغيون التورية الى أربعة أقسام :

١ — التورية المجـــردة :

وهى التى لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به أو المورى عنه أو ذكر فيها ملائم لكل منهما .

ومن أمثلتها قول النبى صلى الله عليه وسلم فى خروجه الى بدر وقد قيل له : ممن أنتم ؟ فقال : من ماء . ففى لفظ ماء تورية ومعناه القريب اسم بطن من بطون العرب ، ومعناه البعيد أنهم مخلوقون من ماء (٥) ، وهذا المعنى هو المراد ولم يذكر قبل التورية ولا بعدها لفظ يلائم المعنى القريب أو البعيد ، فالتورية مجردة .

---

(٣) شبيب هذا هو : شبيب بن جـــرير العقيلى ، خـــرج على كافور وحاصر دمشق وقتل فى حصارها ، وكان أصله من قيس وقيس من عدنان ، واليمن من قحطان وكانت بين القبيلتين حروب وعداوات شـــديدة . شرح ديوان المتنبى ٣٧٣/٤ .
(٤) المثل الســـــائر ٢٥٨ .
(٥) انظر المثل السائر ٢٥٩ .

ومن أمثلتها قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه الذى ذكرناه آنفا .
ومنها قول القاضى عياض فى سنة ازهرت فيها الأشجار مبكرة :

كأن نيسان أهدى من ملابسه
لشهر كانون أنواعا من الحلل
او الغزالة من طول المدى خرفت
فما تفرق بين الجدى والحمل

ففى ألفاظ الغزالة والجدى والحمل تورية ، ومعناها القريب الحيوانات المعروفة ، ومعناها البعيد : الشمس وبرج الجدى وبرج الحمل ، ولم يذكر الشاعر قبل التورية ولا بعدها ما يناسب المعنى القريب أو المعنى البعيد ، ومن ثم فالتورية مجردة . وقد عد الخطيب التورية فى لفظ الغزالة من قبيل المرشحة ، حيث ذكر بعدها ما يلائم المعنى القريب وهو : الجدى والحمل (٦) ، وفى هذا نظر لان شرط الترشيح أن تكون دلالته على المعنى القريب صريحة لا تحتمل الاشتراك، والجدى والحمل مشتركان بين الحيوانين المعروفين والبرجين الفلكيين ، فدلالتهما غير صريحة ، وعلى هذا فليسا من قبيل الترشيح (٧) .

ومن هذا قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر يصف واديا :

وبطحاء من واد يروقك حسنه
ولا سيما ان جاد غيث مبكر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا
به العيش يحيى وهو لا شك جعفر

ففى كل من : الفضل ، والربيع ، ويحيى ، وجعفر تورية ، فهؤلاء الأربعة من كبار رجال البرامكة ، وهذا هو المعنى القريب ، أما المعنى

(٦) الايضاح ٦/٤٠ .
(٧) ينظر خزانة الأدب ٢/٢٤٤ ، وفض الختام ١٦٤ .

البعيد فالفضل يعنى الزيادة ، والربيع فصل من فصول السنة ، ويحيى بمعنى يعيش ، وجعفر هو النهر • ولم تقترن التورية بما يلائم واحدا من المعنيين فهى مجـــردة •

ومثال المجردة التى ذكر فيها ملائم لكل من المورى به والمورى عنه قول الشـــاعر :

ومولـــع بفخـــاخ يمـــدها وشـــباك
قالت لى العـــين مـــاذا يصـــيد قلت كـــراكى

ففى لفظ « كراكى » تورية ، ومعناه القريب : أنه جمـع كركى ، وهو طائر رمادى اللون يأوى الى الماء ، ومعناه البعيد : النـوم ، وقد ذكر ما يلائم المعنى القريب وهو « يصيد » وما يلائم المعنى البعيد وهو « العين » ، ومثل هـذه التورية التى يذكر فيهـا ملائم لكل من المعنيين تورية مجـــردة •

ومنها قول البحتـــرى :

ووراء تســدية الوشـــاح ملـيـة
بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

ففى لفظ « تملح » تورية ، فانه يحتمل أن يكون من الملوحة ، وهو المعنى القريب ، ولازمه « تعذب » ، وأن يكون من الملاحة ، وهو المعنى البعيد ، ولازمه ملية بالحسن ، فاجتمع فى الكلام ملائم للمعنى القريب، وملائم للمعنى البعيد ، فالتورية مجردة •

٢ ـ التـورية المرشـــحة :

وهى التى ذكر معها ما يلائم المعنى القريب ـ المورى به ـ وهذا

الملائم قد يذكر قبل التورية أو بعدها • فمثال ما ذكر فيه الترشيح قبلها قول الشـــاعر :

حملناهم طرا على الدهم بعـــدما
خلعنا عليهم بالطعـــان ملابســـا

فالدهم جمع أدهم ، وفيه تورية ، ومعناه القريب الفرس الأسود ، ومعناه البعيد قيد الحديد وهو المراد • وذكر قبل التورية ما يلائم المعنى القريب وهو « حملناهم » فالتورية مرشـــحة •

ومن هذا قـــول الشـــاعر :

فلما نأت عنـــا العشـــيرة كلهـــا
أنخنا فحالفنا السيوف علا الدهر
فما أسلمتنا عنـــد يوم كريهـــة
ولا نحن أغضينا الجفون على وتر

فالتورية فى لفظ « الجفون » ومعناه القريب جفن العين ، وقد رشح بذكر الاغضاء قبله لانه مما يلائمه ، ومعناه البعيد جفن السيف وهـــو المـــــــراد •

ومن هذا قول ابن عبد الظاهر :

شـــكرا لنســـمة أرضـــكم كـــم بلغت عنى تحيـــــة
لا غـــرو أن حفظت أحـــا ديث الهـــوى فهى الذكيـــة

ففى لفظ « الذكية » تورية ، ومعناه القريب سرعة الفطنة والفهم ، ومعناه البعيد سطوع الرائحة ، وقد ذكر قبل التـــورية ما يلائم المعنى القريب وهو قوله « حفظت أحاديث الهوى » •

ومثال ما ذكر فيه الترشيح بعد لفظ التورية قول الشاعر :

مذهمت من وجدى فى خالها
ولم أصل منه الى اللثم
قالت قفوا واستمعوا ما جرى
خالى قد هام به عمى

ففى لفظ « خالى » تورية ، ومعناه القريب خال النسب ، وقد رشح بذكر العم بعده ، ومعناه البعيد نكتة سوداء فى الخد وهو من علامات الحسن والجمال •

٣ — **التورية المبينة :**

وهى التى ذكر معها ما يلائم المعنى البعيد — المورى عنه — وسميت بذلك لان المورى عنه قد تبين وظهر بذكر لازمة ، ولولاه لكان خفيا (٨) • وهذا الملائم قد يكون قبل لفظ التورية او بعده • فمثال ما جاء فيه الملائم قبل لفظ التورية قول الحموى :

قالوا أما فى جلق نزهة
تنسيك من أنت به مغرى
يا عاذلى دونك من لحظه
سهما ومن عارضه سطرا

ففى السهم والسطر تورية ومعناهما القريب سهم اللحظ وسطر العارض ، ومعناهما البعيد موضعان مشهوران بمتنزهات دمشق وهذا هو المراد ، وقد ذكر قبل التورية ما يلائم هذا المعنى ويبينه وهو النزهة فى جلق أى دمشق •

---

(٨) انظر شرح عقود الجمان ٢/٩٨ •

ومن هذا قول السيوطى فى رثاء « غصون » أم أولاده :

يا من رآنى بالهموم مطـــوقا
وظللت من فقدى غصونا فى شجون
أتلومنى فى عظم نوحى والبــكا
شأن المطــوق أن ينوح على غصون

فالتورية فى لفظ « غصون » فى البيت الثانى ومعناه القريب غصون الأشجار ، ومعناه البعيد مرثية السيوطى ، وقد بين ذلك بذكر ما يلائمه وهو « فقد غصون » وما ناله من هموم وما جرى له من نوح وبكاء .

ومثال ما جاء فيه الملائم بعد لفظ التورية قول الشاعر :

أرى ذنب السرحان فى الأفق ساطعا
فهل ممكن أن الغـــزالة تطلع

والشاهد هنا فى موضعين أحدهما « ذنب السرحان » فانه يحتمل أول ضوء الفجر وهذا معناه البعيد المورى عنه ، وقد ذكر لازمة بعده على جهة التبيين ، وهو « ساطعا » ويحتمل ذنب الذئب ، وهذا معنــاه القريب المورى به وهو غير مراد (٩) . وثانيهما فى لفظ « الغــزالة » ومعناه البعيد الشمس وقد بين بقوله « تطلع » ومعناه القريب الحيوان المعروف ، وهو غير مــراد .

ومن هذا قول ابن سناء الملك :

أما والله لولا خــوف سـخطك
لهــــان على ما ألقــى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبــا
وليس هما سوى قلبى وقرطك

(٩) خزانة الأدب ٢/٢٤٧ .

ففى لفظ « الخافقين » تورية ومعناه القريب المشرق والمغـرب ، ومعناه البعيد قلبه وقرط محبوبة وقد بين ذلك بالنص عليه فى آخـــر البيت .

٤ ـ التـورية المهيـــأة :

وهى التى لا تقع التورية فيها ولا تتهيأ الا بلفظ قبلها أو بعدها ، ولولا أحدهما لفاتت التورية ، أو تكون التورية فى لفظين لولا كل منهما ما وجدت التورية فى الآخر . وعلى هذا فهى ثلاثة أنواع (١٠) :

الأول : ما تهيأت فيه التورية بلفظ قبلها كقول ابن سـناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة :

وسـيرك فينـا سـيرة عمرية
فروحت عن قلب وفرجت عن كـرب
واظهرت فينا من سميك سـنة
فأظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

فالتورية فى «الفرض والندب» ومعناهما القريب الحكمان الشرعيان ومعناهما البعيد : الفرض بمعنى العطاء ، والنـدب الرجل السريع فى قضاء الحوائج ، وهذا هو المراد ، ولولا ذكر « السنة » قبل التـورية ما تهيأت التورية ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهمـا التـورية .

والثانى : ما تهيأت فيه التورية بلفظ بعدها كقـول على كرم الله وجهه فى الأشعث بن قيس : انه كان يحوك الشمال باليمين . فالتورية فى لفظ « الشمال » ومعناه القريب ضد اليمين ، ومعناه البعيـد جمع

---

(١٠) انظر هذه الأنواع فى خزانة الأدب ٢/٢٤٧ ، ونفض الختام ١٧١، وشرح عقود الجمان ٢/٩٨ .

شمله وهو المراد ، ولولا ذكر « اليمين » بعد « الشمال » ما فهم السامع معنى اليد الذى صحت به التورية وتهيأت . ونحوه قول الشاعر :

لولا التطير بالخلاف وأنهم
قالوا مريض لا يعود مريضا
لقضيت نحبى فى جنابك خدمة
لأكون مندوبا قضى مفروضا

فالتورية فى لفظ « مندوبا » ومعناه القريب الحكم الشرعى ، ومعناه البعيد الميت الذى يبكى عليه ، ولولا ذكر المفروض بعد المندوب ما تنبه السام علمعنى المندوب القريب الذى تهيأت به التورية .

والثالث : ما تقع فيه التورية فى لفظين لولا كل منهما ما تهيأت التورية فى الآخر ، ومثال ذلك قول عمر بن أبى ربيعة لما تزوج سهيل الثريا وكان دميما وكانت فى غاية الحسن :

أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت
وسهيل اذا استقل يمانى

فالتورية فى « الثريا » و « سهيل » وذلك لان الثريا يحتمل أن تكون ثريا السماء وهذا معناها القريب ، وأن تكون بنت على بن عبد الله ابن الحارث وهذا معناها البعيد المراد ، وسهيل يحتمل أن يكون نجم السماء وهذا معناه القريب ، وأن يكون سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، وهذا معناه البعيد المراد ، ولولا ذكر كل واحد من اللفظين ما تهيأ الآخر للتورية ، وما تنبه السامع للمعنى القريب الذى جعل كلا من اللفظين يصلح للتورية . والتورية هنا لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبينة ، لان الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما الا بلازم خاص .

والفرق بين اللفظ الذى تتهيأ به التورية واللفظ الذى تترشح به واللفظ الذى تتبين به : أن اللفظ الذى تقع به التورية مهيأة لو لم يذكر فى الكلام ما تهيأت التورية أصلا وما وجدت ، واللفظ المرشح أو المبين يقوى التورية ، فلو لم يذكر لكانت التورية موجودة (١١) •

التورية فى الأساليب وبلاغتها :

اذا فتشنا عن التورية فى القرآن الكريم وجدنا أنها قليلة فيـــه ، بل ان الأمثلة القرآنية التى ذكروها للتورية لم يقطع العلماء بتخريجها عليها ، بل خرجوها على وجوه أخرى غير التورية ، ولعل من أســباب هذا ما فى التورية من خفاء وايهام لا يتلاءم مع ما بنى عليه الذكر الحكيم من وضوح ييسر هدايته لكل طالب وراغب •

ومما ذكروه من أمثلتها القرآنية قوله تعالى : « وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار » (١٢) ، ففى « جرحتم » تورية ومعناه القريب شق بعض البدن ، ومعناه البعيد ما اكتسبتم من الذنوب من جرح الرجل أى اكتسب ، فهو جارح • وقوله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان » (١٣) ، ففى « النجم » تورية ومعناه القريب نجم السماء ، ومعناه البعيد ما لا ساق له من النبات • وقوله تعالى على لسان أولاد يعقوب لأبيهم : « قالوا تالله انك لفى ضـــلالك القـــديم » (١٤) ، ففى الضلال تورية ومعناه القريب ضد الهدى ، ومعناه البعيد حبـــــه ليوسف (١٥) •

---

(١١) خزانة الأدب ٢/٢٤٩ •
(١٢) الأنعـــام آيـــة ٦٠ •
(١٣) الرحمن آيـــة ٦ •
(١٤) يوسف آيـــة ٩٥ •
(١٥) انظر بديع القـــرآن ١٠٢ •

وتندر التورية فى الشعر العربى القديم ، وقد جعلوا منها قـــول عمرو بن كلثـــوم :

مشعشـــة كأن الحص فيهـــا
اذا ما الماء خالطها سخينا (١٦)

فالتورية فى لفظ « سخينا » ومعناه القريب نه صيغة مبالغة من انسخونة ضد البرودة ، ومعناه البعيد أنه من السخاء الذى هو الكرم وهو المعنى المراد (١٧) .

وقول النابغة الذبيانى :

خيل صيام وخيل غير صـــائمة
تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما (١٨)

أراد بالصيام ههنا القيام ، والتورية فى قوله « تعلك اللجمـــا » حيث ورى بها عن صـــيامها (١٩) .

ولعل ندرتها فى الشعر القديم راجعة الى أنها لون يحتاج فى المجىء به الى عمق فى التفكير وطول تدبر فى الكلمات ومعانيها ، والشـــــاعر العربى القديم مطبوع يميل الى التعبير الفطرى الذى لا يكبده مشقة فى التفكير .

ومن هنا رأينا التورية تكثر فى شعر المتأخرين الذين يعمدون الى الصنعة ، ويدورون فى فلك الصبغ البديعى ، ويذهبون مذهب الألغاز والتعمية فى شعرهم معجبين بقدرتهم على ذلك ، ومن هـــؤلاء القاضى

---

(١٦) الحص : الزعفران وهو ذو لون أصفر .
(١٧) انظر خزانة الأدب ٢/٤١ .
(١٨) العجاج : الغبار . واللجم : جمع لجـــام ، حديدة توضـــع فى فم الفـــــرس .
(١٩) انظر البديع فى نقد الشعر ٦٠ .

الفاضل ، وصلاح الدين الصفدى ، وابن نباته ، وابن سناء الملك ، وعز الدين الموصلى ، والسراج الوراق ، وابو الحسن الجزار ، ونصير الدين الحمامى .

وقد أطال صاحب خزانة الأدب فى ذكر أمثلة للتورية وردت على ألسنة هؤلاء الشعراء وغيرهم (٢٠) ، وخصها بالثناء البالغ طبقا لمقاييس الجودة فى عصره ، والحقيقة أن أكثرها مصنوع جاءت فيه التورية متكلفة متعمدة مما حط من شأنها ، وجعلها لا تعدو أن تكون تلاعبا بالألفاظ ومباراة كلامية يفصح بها الشاعر عن قدرته على الالغاز والايهام .

ومثل هذا لا ينقص من قدر التورية كفن بديعى له سحره وجماله اذا ورد فى الكلام سهلا سلسا بعيدا عن شطط التكلف وهوان الابتذال ، مشيرا الى معنى لطيف ، أو موحيا بشىء طريف ، أو رامزا الى ما لا يمكن الافصاح به .

وللتورية مقامات تحسن فيها ، بل ربما تتعين دون سواها من الاساليب ، فالتعبير المستور عن المطالب ، والغزل العفيف ، والمسامرات بين الاخوان ، والسخرية والاستهزاء بذوى الجاه والسلطان ، والثورة على الأعداء والظالمين ، ونحو ذلك حقول خصبة تزدهر فيها اساليب التورية .

ومن لطيف التورية قول صلاح الدين الصفدى :

بسهم أجفانه رمانى فذبت من هجره وبينه
ان مت مالى سواه خصم لانه قاتلى بعينه

فعينه يحتمل أن يكون ذات المحبوب وهو المعنى القريب ، وأن يكون عين المحبوب وهو المعنى البعيد المراد .

---

(٢٠) انظر خزانة الأدب ٢/٤٥ — ٢٤٣ .

وقول نصير الدين الحمامى :

جدوا لنسجع بالمديح على علاكم سرمدا

فالطير أحسن ما تغرد عندما يقع الندى

فالندى معناه القريب القطرات التى تتساقط آخر الليل ، ومعناه البعيد الكرم •

وقول أبى الحسين الجزار :

كيف لا أشكر الجزارة ما عشت حفاظا وأرفض الآدابا

وبها صارت الكلاب ترجينى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

ففى لفظ الكلاب الثانى تورية ومعناه القريب الحيوان المعروف ومعناه البعيد لئام الناس وأصحاب النفوذ الذين لم يلبوا رغبات الشاعر •

والتورية لون بديعى لطيف ، يداعب العقول ، ويروض الأفهام بما فيه من خداع وايهام ، وتفنن فى الكلام واتساع فيه • وهو من أحلى ما استعمل من الكلام وألطفه ، ويدل على تصرف بالغ ، وقوة على تصريف الألفاظ ، واقتدار على المعانى (٢١) •

وللتورية أثر جليل فى تمكين المعانى وتثبيتها ، فهى تحتاج فى ادراكها الى فكر وتأمل ، لذا تبعث المتلقى على الهاب عقله ، وشحذ فكره ، وتحثه على التدبر واطالة النظر فيما يعرض عليه حتى يهتدى الى المعنى المراد ، فاذا ما اهتدى اليه بعد هذا الجهد عرف قدره وأحس بقيمته ، فثبت فى ذهنه وتأكد لديه •

---

(٢١) انظر المثل السائر ٢٥٨ ، والطراز ٦٢/٣ ، ٦٣ •

المشـــــاكلة

وهى لغة المماثلة ، وفى اصطلاح البلاغيين : ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا (١) • نقول : أساء الى فأسـأت اليه ، تقصد أنك عاقبته باساءته وكان الأصل أن تقول : أسـاء الى فعاقبته ، ولكنك عبرت عن العقوبة بلفظ الاساءة على سبيل المشاكلة ، لوقوعه فى صحبة الاساءة الأولى • وتقول للجائع : أسقيك ماء ، فيقول لك : بل اسقنى طعاما ، فعبر بالسقى عن الاطعام مشاكلة لسقى الماء حيث وقع فى صحبته •

ولا يقصد بلفظ الغير نفس اللفظ المذكور فى الكلام دون سواه ، بل تأتى المشاكلة أيضا بلفظ يكون مضادا للمذكور أو مناسبا له • فمن المضاد قول القاضى شريح لرجل شهد عنده : انك لسبط الشـهادة ، فقال : انها لم تجعد عنى • فعبر بالجعودة مشاكلة للسبوطة وبينهما تضاد ، وسيأتى بيان لهذا المثال ، ومن المناسب ، ما ورد أن رجلا قال لوهب : أليس قد ورد أن لا اله الا الله مفتاح الجنة ؟ فقـال وهب : بلى ، ولكن من مفتاح الا له أسنان ، فان جئت بالأسنان فتح لك والا لم يفتح لك • فعبر بالأسـنان مشاكلة للتعبير بالمفتاح ، وهمـا متناسـبان (٢) •

والمشـاكلة على قسـمين :

١ ــ تحقيقه ، وهى ذكـر الشىء بلفظ غيره لوقوعـه فى صحبته تحقيقا • فاللفظ الذى شوكل ونسج على هيئته موجود حقيقة فى الكلام• كقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليـه بمثل ما اعتـدى

---

(١) الايضـاح ٦/٢٦ •
(٢) مواهب الفتاح ٣١٠/٤ ، والمراد بالأسنان الأعمـال المعتبرة فى الاسـلام •

عليكم » (٣) ، فقوله « فاعتدوا » وارد على سبيل المشاكلة ، حيث سمى جزاء الاعتداء اعتداء مشاكلة لقوله « اعتدى » المذكــور فى الكلام • ونظير هذا قوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلهــا » (٤) ، اذ أطلق لفظ السيئة الثانى على الجزاء المقابل للسيئة الأولى على سبيل المشاكلة• وفى التعبير عن المجازاة بالاعتداء وبالسيئة اشارة الى أن الجزاء من جنس العمل ، ودعوة الى الصفح والعفو والزهد فى المجازاة ، لانها وان كانت مباحة الا انها وسمت بأنها عدوان وسيئة • وفى اللفظين بجانب المشاكلة مجاز مرسل علاقته السببية ، حيث ذكر السبب وهو الاعتداء والسيئة ، وأريد المسبب وهو الجزاء والعقوبة •

ومن هذا قوله تعالى : « وان عاقبتم فعاقبــوا بمثل ما عوقبتم به » (٥) ، ففى قوله « عوقبتم » مشـــاكلة ، حيث عبر به لوقوعه فى صحبة « عاقبتم فعاقبوا » والمراد به العدوان أى بمثل ما اعتــدى به عليكم • وفيه أيضا مجاز مرسل علاقته المسببية ، حيث ذكر المسبب وهو العقوبة وأريد السبب وهو العدوان •

وقوله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » (٦) ، فالله تعالى أبطل مكر أهل الكتاب وعاقبهم عليه ، وسمى هــذا فى جانب الله تعالى مكرا لوقوعه فى صحبة مكرهم المذكور وذلك على سبيل المشاكلة ، وفى التعبير به اشارة الى أن الله تعالى قد قابل عملهم بعمل من جنسه أشد وأنكى ، وفى اللفظ مع المشاكلة مجاز مرسل علاقته السببية ، فالمكر سبب فى الايقــاع بهم •

ومن المشاكلة التحقيقية قوله تعالى : « فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من

---

(٣) البقـــرة آيــة ١٩٤ .
(٤) الشـــورى آيــة ٤٠ .
(٥) النحـــل آيــة ١٢٦ .
(٦) آل عمـــران آيــة ٥٤ .

سدر قليل » (٧) ، فتسمية البديل جنتين — وهو بديل سيء — من قبيل المشاكلة ، وفى التعبير عنه بالجنتين تهكم بهم وسخرية منهم (٨) •

ومنها قوله تعالى : « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم » (٩) ، فالمنافقون يذكرون الرسول صلى الله عليه وسلم بالسوء ، وينكرون ذلك أمامه ، ومن حلمه صلى الله عليه وسلم لم يكن يواجههم بما يقولون ، فكانوا يظنون أنه صدقهم ، وأنه يصدق كل ما يسمع ويقال من غير تدبر فقالوا : انما هو أذن سامعة • فأمره الله تعالى أن يرد عليهم ردا بليغا « أذن خير لكم » كأنه قيل : نعم هو أذن ولكن نعم الأذن ، انه أذن فى الخير والحق وفيما ينبغى سماعه وقبوله لا فى غير ذلك (١٠) • فوصف النبى صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى بأنه أذن وارد على سبيل المشاكلة لما قاله المنافقون ، وفيه إفحام والجام لهم •

ومنها قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فقوله « فنجهل » وارد على سبيل المشاكلة لقوله « لا يجهلن » لانه ليس جهلا ولكنه مجازاة ورد للعدوان والجهل •

وروى عن أبى الرقعمق أنه قال : كان لى اخوان أربعة وكنت أنادمهم أيام كافور الاخشيدى ، فجاءنى رسولهم فى يوم بارد وليست لى كسوة تحصننى من البرد ، فقال : اخوانك يقرأون عليك السلام

---

(٧) سبأ آية ١٦ .
(٨) انظر البديع فى ضوء أساليب القرآن ٧٧ .
(٩) التوبة آية ٦١ .
(١٠) تفسير أبى السعود ٤/٧٧ .

ويقولون لك : قد اصطبحنا اليوم وذبحنا شاة سمينة فاشته علينا ما نطبخ لك منها ، قال : فكتبت اليهم :

اخواننا قصدوا الصبوح بسحرة
فأتى رسولهم الى خصوصا
قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه
قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

فذهب الرسول بالرقعة فما شعرت حتى عاد ومعه أربع خلع واربع صرر فى كل صرة عشرة دنانير ، فلبست احدى الخلع وصرت اليهم (١١).

ففى قوله « اطبخوا » مشاكلة تحقيقية ، وكان الأصل أن يقول : « خيطوا لى جبة وقميصا » لكنه قال « اطبخوا » مشاكلة لقولهم « نجد لك طبخه » . واطلاق الطبخ على الخياطة من قبيل الاستعارة بجامع المنفعة فى كل ، وهذا لا يتنافى مع كون اللفظ واردا على سبيل المشاكلة لما قبله .

وعلى منوال هذا البيت قال ابن جابر الأندلسى :

قالوا اتخذ دهنا لقلبك يشفه
قلت ادهنوه بخدها المتورد

فعبر بقوله « ادهنوه » مكان « داووه أو اشفوه » مشاكلة لقولهم « اتخذ دهنا » .

ويعد من المشاكلة التحقيقية ما لم يصرح فيه باللفظ الذى شوكل ولكنه فى حكم المصرح به لظهور الدلالة عليه ، كقول أبى تمام :

من مبلغ أفناء يعرب كلها
أنى بنيت الجار قبل المنزل

---

(١١) معاهد التنصيص ٢/٢٥٢ ، وابو الرقعمق : أحمد بن محمد الأنطاكى من شعراء اليتيمة (ت ٣٩٩ هـ) .

ففى قوله « بنيت الجار » مشاكلة ، لان الجار لا يبنى ، وانما الذى يبنى الدار ، وعبر ببناء الجار مشاكلة لقوله « قبل المنزل » لان تقديره : قبل بناء المنزل ، والمقدر كالمذكور ، لذا فالمشاكلة تحقيقية . ونظير هذا قول الصاحب بن عباد فى شأن قاض شهد عنده رجل برؤية هلال عيد الفطر فلم يقبل شهادته وأنكر ظهور الهلال :

أترى القاضى أعمى أم تراه يتعامى
سرق العيد كأن الـ عيد أموال اليتامى

فقوله « سرق العيد » مشاكلة ، اذ العيد لا يسرق والذى يسرق المال ونحوه ، وقد جعل اخفاءه العيد سرقة على سبيل المشاكلة ، لوقوعه فى صحبة ما يسرق وهو مال اليتامى ، وان كان لم يصرح بلفظ السرقة فى جانب المال فهو مفهوم من الكلام فهما واضحا يغنى عن التصريح به ، والتقدير : سرق العيد كما سرق أموال اليتامى . وفى التعبير بالسرقة مبالغة فى ذم القاضى والتشنيع والتشهير به وبمساوئه التى التى تتنافى مع ما وكل اليه من اقامة العدل ونصب الحق .

والغالب فى الاساليب أن يتأخر اللفظ الذى تقع فيه المشاكلة عن اللفظ الذى يشاكله ، وقد يتقدم لفظ المشاكلة كما فى قول أبى تمام ، والصاحب بن عباد ، وكما فى قول الرسول صلى الله عليه وسلم « خذوا من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا » ففى قوله « لا يمل » مشاكلة لان الملل لا ينسب الى الله تعالى ، ولكن المعنى : لا يقطع عنكم فضله أو ثوابه حتى تملوا عبادته . وانما عبر بالملل على سبيل المشاكلة لقوله « حتى تملوا » الذى جاء بعده فى الكلام . ونجد ذلك فى قوله تعالى : « فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا » (١٢) ، ففى « ننساهم » مشاكلة ، وهو واقع فى صحبة « نسوا » ، والمعنى : نجازيهم ونعاقبهم جزاء نسيانهم يوم القيامة وعدم الاستعداد له .

---

(١٢) الأعراف آية ٥١ .

٢ ـ تقديرية : وهى ذكر الشىء بلفظ غيره لوقـوعه فى صحبته تقديرا • فاللفظ الدال على الغير غير مذكور فى الكلام ، ولكن دلت عليه قرائن الأحوال • ومن هذا قوله تعالى : « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة » (١٣) ، فصبغة الله أى تطهير الله ، وصبغة مصدر مؤكد لمضمون قوله « آمنا بالله » (١٤) ، لان الايمان يطهـر النفوس ، وقد استعمل الصبغ فى التطهير على سبيل المشاكلة لوقوعه فى صحبة صبغة النصارى المفهوم من الحال ، وهى هنا مشاكلة تقديرية ، لان لفظ الصبغ لم يتقدم، ولكن دلت عليه قرينة الحال وهى سبب النزول ، وذلك أن النصـارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ، ويقولون : هو تطهير لهم ، فأمر المسلمون بأن يقولوا لهم : قولوا ـ آمنا بالله ـ وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا ، وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا ، أو يقول المسلمون : صبغنا الله بالايمان صبغته ، ولم نصبغ صبغتكم (١٥) •

واطلاق الصبغ على التطهير من قبيل الاستعارة المبنية على تشبيه التطهير من الكفر بالايمان بصبغ المغموس فى الصبغ الحسى ، بجامع ظهور أثر كل منهما على صاحبه ، وهذا لا ينافى كونه من المشاكلة التى يراعى فيهـا اعتبار الصحبة دون نظر الى كون اللفظ حقيقـة أو مجـازا (١٦) •

ومن المشاكلة التقديرية أن ترى انسانا يغرس شجرا ، فتقـول لآخر اغرس الى الكرام كهذا • وتريد باغرس اصنع المعـروف الى الكرام ، وعبرت عن الصنع بالغرس لمصاحبته للغرس الحاضر ولو لم

---

(١٣) البقـرة آيـة ١٣٨ •
(١٤) البقرة آيـة ١٣٦ ، وصدر الاية « قولوا آمنـا بالله وما انزل الينـا .... » •
(١٥) الكشـاف ٣١٦/١ •
(١٦) مواهب الفتـاح ٣١٣/٤ •

يذكر فى الكلام ، فكأنك قلت : هذا يغرس الأشجار فاغرس أنت المعروف مثله (١٧) .

وحكى أن بعض الولاة كان يغرس سيالا فى جامع بغداد ، فوقف عليه وأنشد :

ان الولاية لا تدوم لواحد
ان كنت تنكره فأين الأول ؟
واغرس من الفعل الجميل غرائسا
فاذا عزلت فانها لا تعزل

فأقام « اغرس » مقام اصنع ، ليشاكل فعل الوالى (١٨) .

المشاكلة والجناس والطباق :

قد تجتمع المشاكلة مع الجناس فى موطن واحد ، كما فى قوله تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » (١٩) ، فاللفظان متحدان فى الحروف مختلفان فى المعنى ، فالسيئة الأولى بمعنى الاعتداء ، والثانية بمعنى الجزاء ورد الاعتداء ، وهذا من قبيل الجناس ، كما أن فى اللفظ الثانى مشاكلة كما قدمنا ، ولا تعارض بينهما ، ففى اللفظين جناس باعتبار اتحادهما فى الشكل واختلافهما فى المعنى ، وفى اللفظ الثانى مشاكلة باعتبار مجيئه على شاكلة ما تقدمه لوقوعه فى صحبته .

كما قد تجتمع المشاكلة مع الطباق ، وذلك اذا كانت المشاكلة قائمة بين لفظين متضادين ، كما فى قول القاضى شريح لرجل شهد

---

(١٧) السابق ٤/٣١٤ .
(١٨) الاشارات والتنبيهات ٢٦٨ ، والسيال : شوك ابيض طويل اذا نزع خرج منه مثل اللبن .
(١٩) الشورى آية ٤٠ .

أمامه ، انك لسبط الشهادة ، فقال الرجل : انها لم تجعد عنى (٢٠) •
فبين السبوطة والجعودة طباق لانهما متضادان (٢١) ، وفى لفظ «تجعد»
مشاكلة باعتباره واقعا فى صحبة السبوطة ، ولا تعارض بين المشاكلة
والطباق من حيث التضاد ، والمشاكلة من حيث مماثلة اللفظ لما تقدمه •

المشاكلة بين الحقيقة والمجـاز :

من المعلوم ان اللفظ المستعمل فيما وضع له فى اصطلاح التخاطب
يكون حقيقة لغوية ، وأن اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له فى اصطلاح
التخاطب لعلاقة وقرينة مانعة من ارادة المعنى الوضعى يكون مجـازا
لغويا • واللفظ الذى وقعت فيه المشاكلة مستعمل حتما فى غير ما وضع
له ، وبذلك لا يكون من قبيل الحقيقة • وبناء على هذا اعتبره قوم من
قبيل المجاز اللغوى ، وخرجوا بعض أمثلة المشاكلة على المجاز المرسل
لعلاقة المجاورة أو السببية كما بينا فى اطلاق السيئة على جزائهـا ،
والاعتداء على جزائه ، والعقوبة على الاعتداء • كما خرجـوا بعض
أمثلتها على الاستعارة كما بينا فى اطلاق الطبخ على الخياطة ، والصبغ
على التطهير •

وجعل بعضهم كل باب المشـاكلة من قبيل الاستعـارة ، وهى
استعارة لقصد المشاكلة ، لا لقصد المبالغة كالاستعارة المذكورة فى علم
البيـان (٢٢) •

وبعض البلاغيين يرى أن المشاكلة من حيث هى مشاكلة ليست من
قبيل الحقيقة ولا المجـاز ، لانها مجـرد ذكر المصاحب بلفظ غـيره

---

(٢٠) السبوطة فى الأصل : استرسال الشعر وامتداده ، والمراد هنا :
استمرار الشهادة وامتداد حفظها وعدم التقصير فيها • والجعـودة فى
الأصل : التواء الشعر ، والمراد بقوله : لم تجعد عنى : انى حافظ لشهادتى
ليست قاصرة عن ادراكى •

(٢١) البديع من المعانى والالفاظ ٢٦ •

(٢٢) الاشارات والتنبيهات ٢٦٨ •

لاصطحابهما ، وهذا ليس معتبرا فى علاقات المجاز (٢٣) • وعلى هذا تكون المشاكلة واسطة بين الحقيقة والمجاز ، كما قالوا فى الكناية انها واسطة بين الحقيقة والمجاز (٢٤) •

وما يجب أن نؤكد عاية أنه لا تعارض بين المشاكلة والمجاز ، فكل منهما ينظر الى اللفظ من ناحية معينة ، المجاز من حيث استعمال اللفظ فى غير ما وضع له ، والمشاكلة من حيث مماثلة اللفظ لما هو واقع فى صحبته (٢٥) •

بلاغة المشاكلة :

والمشاكلة لون بديعى خلاب يثير الانتباه ، وينشط العقول ، ويستدعى التفكير والتدبر ، وذلك لان المعنى المراد يظهر فى لفظ غير لفظة ، فيبدو فى رداء غير مألوف ، ولباس غير معتاد ، مما يثير انتباه المتلقى ، ويستدعى اصغاءه ، ويبعث عقله على التفكير فى اللفظ المعروض عليه ، والمعنى المراد منه ، فاذا علمه بعد ذلك تأكد لديه وثبت عنده •

ومن ناحية أخرى تخدع المشاكلة المتلقى ، ففى النظرة الأولى يتوهم ان المعنى الثانى هو عين الأول ، ولكنه بعد ادامة النظر واعمال الفكر يعلم أنه غيره ، وأن اللفظين وان كانا على شاكلة واحدة ، الا أن معنى كل منهما يختلف عن الآخر ، وهذا أدعى الى استقرار المعانى ورسوخها فى الذهن •

والمشاكلة من الألوان التى تربط الكلام ببعضه ، وتعمل على تلاحم أجزائه ، بما فيها من تماثل لفظى ، وتناسب شكلى لما وقعت فى صحبته من الألفاظ •

---

(٢٣) انظر شروح التلخيص ٤/٣٠٩ ، ٣١٠ •

(٢٤) البديع من المعانى والالفاظ ٢٨ •

(٢٥) انظر نظرات فى البيان ٢٣٨ •

حسن التعليل

وهو أن يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقى (١). فيعلل الشىء بعلة خيالية مناسبة ، تحتاج الى تأمل فى ادراكها لما فيها من لطف ودقة . ومن ذلك قول ابن المعتز :

صدت شرير وأزمعت هجرى
وصغت ضمائرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها
هذا غبار وقائع الدهر

فرد على من صدته وعابته بالكبر والشيب ، بأن ما علاه ليس من آثار الكبر والشيب كما تدعى ، ولكنه غبار وقائع الدهر ، وهذه كما ترى علة خيالية لا أساس لها من الحقيقة ، ولكن فيها لطف وطرافة .

ولحسن التعليل باعتبار الوصف المعلل أربعة أقسام :

الأول : أن يكون الوصف ثابتا ولا تظهر له فى العادة علة غير العلة الخيالية المدعاة . كقول أبى الطيب :

لم تحك نائلك السحاب وانما
حمت به فصبيبها الرحضاء

فنزول المطر من السحاب صفة ثابتة له لا يظهر لها فى العادة علة ، وان كان العلماء قد عللوا نزوله بتلاقى السحاب بطبقة جوية ذات درجة حرارة معينة ، الا أن هذه العلة غير ملحوظة عادة عند الناس . وقد جعل الشاعر علة نزول المطر من السحاب ما حصل له من الحمى بسبب

---

(١) الايضاح ٦/٦٧ .
(٢) حمت : أصابتها الحمى . الرحضاء : عرق الحمى .

عدم محاكاته عطاء الممدوح ، وهذا المطر هو عرق الحمى التي أصابته وهذه علة خيالية لا أساس لها من الحقيقة .

وكقول أبي تمـــام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى
فالسيل حـــرب للمكان العـــالى

فخلو الكريم عن الغنى وصف ثابت لا تظهر له فى العـــادة علة ، وقد تخيل الشاعر له علة غير حقيقية ، بناها على قياس تخييلي ، فالغنى لا يصيب الكريم ولا يستقر لديه ، كما لا يستقر السيل على الأماكن العالية ، بل سرعان ما ينحدر الى الأماكن المنخفضة . وقد أسبغ هذا القياس على الحكم قوة وكساه ثوبا من الحقيقة .

ومنه قوله أيضا :

ان ريب الزمان يحسن أن يهـــ
ـــدى الرزايا الى ذوى الأحساب
فلهذا يجف بعـــد اهتـــزاز
قبل روض الوهاد روض الروابى

فمن عادة الزمان أن ينزل المصـــائب على ذوى المكانة العاليـــة والحسب الكريم ، ويترك ما عداهم من الوضعاء ، وهذه صفة لا تظهر لها علة فى العادة ، وقد عللها الشاعر بقياس خيالى حيث قاســـها على جفاف رياض الأماكن المرتفعة قبل جفاف رياض الأماكن المنخفضة . وعلى الرغم من أن هذا القياس تخييلى إلا أنه أبرز الحكم فى معرض الحقيقة التى لا يمارى فيها أحـــد .

ومنه قول ابن نباتة السعدى فى صفة فرس :

وأدهـم يستمد الليـل منـه
وتطلـع بين عينيـه الثريـا
سرى خلف الصباح يطير مشيا
ويطـوى خلفـه الأفلاك طيـا
فلما خاف وشك الفـوت منـه
تشبث بالقـوائم والمحيـا

فبياض غرة الفرس وقوائمه صفة ثابتة لا يظهر لها فى العادة علة، وقد تخيل الشاعر لهذا الوصف علة غير حقيقية وهى : أن الصبح حينما خشى أن يسبقه الفرس تشبث بقوائمه ووجهه ليعوقه عن السبق، فاصطبغت هذه الأطراف بلونه الأبيض •

الثانى : أن يكون الوصف ثابتا وتظهر له فى العادة علة غير العلة الخيالية التى يدعيها القائل • مثال ذلك قول أبى الطيب :

ما به قتـل أعـاديه ولكن
يتقى اخلاف ما ترجـو الذئاب

فالذى يتعارفه الناس أن الرجل اذا قتل أعاديه فلارادته هلاكهم، ودفع مضارهم عن نفسه، وليسلم من أذاهم ويأمن جانبهم، وقد ادعى المتنبى أن العلة فى قتل هذا الممدوح لأعدائه غير ذلك، انه يقتلهم كى لا يخيب رجاء الذئاب فيه، حيث عهدته مومما عليها فى الرزق بما تناله من قتلى أعدائه، وهى علة متخيلة ذهب اليها الشاعر ليحقق من ورائها لطائف معنوية منها المبالغة فى وصف ممدوحه بالسخاء والجود، وتحقيق الرجاء والقدرة على هزيمة الأعـداء، وأنه ليس ممن يسرف فى القتل غيظا وحنقا ولكن لغرض جليل(٣) •

ومنه قول أبى طالب المأمونى فى بعض الوزراء ببخارى :

(٣) انظر أسرار البلاغة ٢٥٧ .

مغرم بالثناء صب بكسب الـ
مجد يهتز للسماح ارتياحا
لا يذوق الاغفاء الا رجاء
أن يرى طيف مستميح رواحا

فابتغاء النوم وصف ثابت وعلته معروفة وهى طلب الراحة من عناء العمل ونحو ذلك ، وقد علله الشاعر بعلة أخرى من نسج خياله هى : رجاء الممدوح أن يرى طيف العفاة الذين يحضرون اليه لنيل عطاياه . والتقييد بالرواح مشير الى أن العفاة انما يقصدونه فى صدر النهار على عادة الملوك ، فاذا كان الرواح قلوا ، فهو يشتاق اليهم ، فينام ليأنس برؤية طيفهم (٤) .

وأصل هذا المعنى وهو داخل فى هذا الضرب قول مجنون ليلى :

وانى لاستغشى وما بى نعسة
لعل خيالا منك يلقى خياليا

حيث جعل علة النوم رجاء أن يرى طيف محبوبته ، وان كانت العلة هنا لا تبعد عن العادة بعدها فى قول المأمونى ، فانه قد يتصور أن يريد المغرم المتيم اذا بعد عهده بحبيبه أن يراه فى المنام ، فيريد النوم لذلك خاصة (٥) .

ومن لطيف هذا الضرب قول ابن المعتز :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم
من كثرة القتل نالها الوصب

---

(٤) انظر السابق ٢٥٨ .
(٥) الايضاح ٦/٦٠ .

حمرتهـــا من دمـــاء من قتلت
والدم فى النصل شـــاهد عجب (٦)

فحمرة العين وصف ثابت وعلته الحقيقية ما يقع فى العين من قذى أو ما يصيبها من رمد ، ولكن الشاعر ادعى لذلك علة خيـــالية ، هى : أن هذه الحمرة ناشئة من كثرة ما أسالت من دماء العشاق .

ومنه قول الشـــاعر :

أتتنى تؤنبنى بالبكـــــاء فأهلا بهـــا وبتأنيبهـــا
تقول وفى قولهـــا حشـــمة أتبكى بعـــين ترانى بهـــا
فقلت اذا استحسنت غيركم أمرت الدمـــوع بتأديبهـــا

فدمع العين انما ينزل بسبب فراق الأحبة وهجرانهم ونحو ذلك ، ولكن الشاعر علله بعلة خيالية هى أنه يؤدب عينه بالدموع عقابا لها على استحسانها غير المحبـــوب .

الثالث : أن يكون الوصف غير ثابت وأريد اثباته وهـــو ممكن . كقول مسلم بن الوليـــد :

يا واشيا حسنت فينا اسـاءته
نجى حذارك انسانى من الغرق (٧)

فاستحسان اساءة الواشى وصف غير ثابت ، ولم يعهد الناس أن انسانا استقبلها بالرضا والسرور ، ولكن هـــذا ممكن لا يدخل فى حيز المستحيل . وقد علل الشاعر استحسانه اساءة الواشى بعلة مقبولة هى

---

(٦) اشتكت : مرضت . والنصل : السيف ، وأطلق هنا على العين على سبيل الاستعارة لشابهتها له فى القتل .
(٧) حذارك : حذارى اياك . انسانى : انسان عينى وهو ما يرى فى سوادها أو هو سواد العين .

أن حذره من الواشى منعه من البكاء ، فسلم انسان عينه من الغرق فى الدموع ، وهذا شيء يشكر الواشى عليه .

ومنه قول عنتـــرة :

ولقد ذكرتك والرمـــاح نواهل
منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانهــــا
لمعت كبـــارق ثغرك المبتسـم

فمحبة تقبيل الســيوف وصف غير ثابت لكنـــه ممكن ، وقد علل الشاعر محبته هذا الفعل بأن السيوف تلمع كثغر محبــوبته لذا فهــو يود تقبيلهـــــا .

ومن هذا قول الشاعر :

أهــلا وســـهلا بالمشــيب فانه
ســمة العفيف وحلية الزهـــاد

فالترحيب بالمشيب وصف غير ثابت ، ولكنـــه ممكن ، وقـــد علل الشاعر ترحيبه به لما يسبغه على المرء من سمات العفاف وصفات الزهاد .

ومنه قـــول الآخـــر :

جــزى الله الشـــدائد كل خـير
وان جرعتنى غصصى بريقـــى
وما شــــكرى لها الا لانـــى
عرفت بها عدوى من صـــديقى

فدعوته للشدائد بالخير وشكره لها شيء غير معهود فى طبـــاع الناس وان كان غير مستحيل ، وقد علل الشاعر صدور ذلك منه بأنهـــا دلته على أصدقائه وأعدائه فلم يعد يخدع بأدعياء الصداقة .

ومنه قول الآخـــــر :

عداتى لهم فضـل على ومنـة
فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتهـا
وهم نافسـونى فاكتسبت المعاليا

فالاعتراف بفضل الأعداء ، والدعاء لهم شئ غير معهود ، لكنه ممكن الحدوث ، وقد علل الشاعر صدور ذلك منه بأن الأعـداء كانوا سببا فى اجتنابه الزلات واكتسابه المعالى ، اذ كانوا وراءه بالمرصـاد يتتبعون سقطاته ، وينافسونه فى الفضل •

الرابع : أن يكون الوصف غير ثابت وأريد اثباته وهو غير ممكن ومثل له الخطيب بقول الشاعر :

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته
لما رأيت عليها عقد منتطق (٨)

فنية الجـوزاء خدمة الممدوح وصف غـير ثابت ، وغير ممـكن لاستحالته عقلا وعرفا ، ولكن الشاعر ادعى ثبوته بعلة لطيفة هى رؤية الجوزاء منتطقة ، وهذا أمارة استعدادها لخدمة الممدوح •

واعترض على الخطيب بأن المفهوم من البيت على ما هو أصل «أو» من امتناع الجزاء لامتناع الشرط ، أن تكون نية الجوزاء خدمته علة لرؤية عقد النطاق عليه ، ورؤية عقد النطاق عليه — أى الحالة الشبيهة بانتطاق المنتطق — صفة ثابتة قصد تعليلها بنية خدمة الممدوح ، فيكون

---

(٨) الجوزاء : برج فلكى حوله نجوم تسمى نطاق الجوزاء ، وأصل النطاق ما يشد فى الوسط •

من الضرب الأول من حسن التعليل ، وهـو ما كان فى الوصف الثابت الذى لا تظهر له فى العـادة علة (٩) •

وقيل فى الرد على هذا ، ان « لو » فى البيت ليست لامتناع الجواب لامتناع الشرط ، بل للاستدلال بانتفاء الجزاء على انتفاء الشرط كما فى قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا » (١٠) ، فالانتطاق وان كان معلولا مسببا عن النية فى الخارج ، يجعل علة للعلم بوجود النية ، لانه يستدل بوجود المسبب على وجود السبب ، وبانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم (١١) • ولم يسلم هذا الرد من الاعتراض والملاحقة على عادة الشراح والمحشين (١٢) •

ومثل هذا قول أبى الحسن التهامى :

لو لم يكن أقحـوانا ثغر مبسمهـا
ما كان يزداد طيبا ساعة السـحر

فجعل ثغرها أقحوانا ، وهو لا يمكن أن يكون كذلك ، ولكنه التمس لدعواه علة لطيفة هى ازدياد ثغرها طيبا ساعة السحر كزهور الأقحوان •

ومنه قول محمد بن هانىء :

قد طيب الأفواه طيب ثنـائه
من أجل ذا تجد الثغـور عذابا

فطيب الثناء لا يطيب الأفواه ، ولكن الشاعر أثبت ذلك بدليـل عذوبة الثغـور •

---

(٩) المطـول ٤٣٧ ، ٤٣٨ •
(١٠) الأنبيـاء آيـة ٢٢ •
(١١) شروح التلخيص ٤/٣٨٠ ، ٣٨١ •
(١٢) انظر السابق ٤/٣٨٢ ، والمطول ٤٣٨ •

وألحق البلاغيون بحسن التعليل ما كان الأمر المدعى فيه مبنيا على الشك لا على القطع كما فى الصور السابقة ، ومن هذا قول أبى تمام :

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها
الى المزن حتى جادها وهو هامع
كأن السحاب الغرغيين تحتها
حبيبا فما ترقا لهن مدامع (١٣)

فقد علل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنها غيبت تحت تلك الربى حبيبا فهى تبكى عليه باستمرار (١٤) .

ومنه قول أبى الطيب :

رحل العزاء برحلتى فكأننى
أتبعته الأنفاس للتشييع (١٥)

فعلة تصعيد الأنفاس فى العادة هى التحسر والتأسف ، لكن الشاعر عللها بأنها خرجت تشيع الصبر لما رحل فهو رفيقها داخل الصدر، وذلك قضاء لحق الصحبة . ومنه قوله أيضا :

وكأن كل سحابة وكفت بها
تبكى بعينى عروة بن حزام (١٦)

فعلل على سبيل الشك نزول المطر من السحاب بأنه يبكى بعينى عروة بن حزام وهذا كناية عن كثرة ما ينزل منه من الماء .

---

(١٣) المزن : السحاب الأبيض ، والهامع : الممطر بكثرة ة والغر : السحاب ذو المطر الغزير ، وترقا : مخفف ترقأ أى تسكن . والضمير فى تحتها للربى .
(١٤) معاهد التنصيص ٣/٦٩ .
(١٥) العزاء : الصبر . والتشييع : التوديع .
(١٦) وكفت بها : أى قطرت بها . وعروة بن حزام أحد عشاق العرب المشهورين وصاحبته عفراء .

ومنه قول ابن نباتة السعدى فى وصف فرس :

فكأنما لطم الصباح جبينه
فاقتص منه فخاض فى أحشائه

فعلل على سبيل الشك بياض غرة الفرس وقوائمه بأن الصبح اعتدى على الفرس ولطمه فى جبينه فابيضت جبهته ، فأراد الفرس أن يقتص منه لنفسه فهاجم الصبح وخاض بقوائمه فى أحشائه فابيضت كذلك .

وانما كان هذا النوع ملحقا بحسن التعليل ولم يكن منه لان فى حسن التعليل ادعاء لتحقق الأمر واصرارا على هذا الادعاء ، وأداة الشك تتنافى مع هذا الاصرار ، فلما اشتمل هذا اللون على أداة الشك جعلوه ملحقا بحسن التعليل وليس منه .

وينبغى التنبيه الى الاختلاف بين حسن التعليل والتعليل الحقيقى، فحسن التعليل الذى شرحناه لون بديعى يقوم على التخيل والادعاء لا على الحقيقة ، والعلل فيه علل خيالية غير مطابقة للواقع كما رأينا فيما عرضناه من أمثلة . ومن هنا لا توجد لحسن التعليل شواهد فى القرآن الكريم لانه لون مرتبط بالخيال والبعد عن الواقع والحقيقة ، والقرآن الكريم كتاب الحق الذى ينطق بالحق ، ويتحدث بالحقيقة .

أما التعليل الحقيقى ففيه يعلل الشىء بعلته الحقيقية التى لا يشوبها شىء من الخيال ، وقد جاء بكثرة فى القرآن الكريم ، وأفرد له الزركشى بابا بين فيه الحكمة من ذكر الشىء معللا ، وفصل فيه الطرق الدالة على العلة (١٧) . وخلط الحموى بين أمثلة التعليل الحقيقى وحسن التعليل ، وبحث ذلك تحت عنوان التعليل ومثل له

---

(١٧) انظر البرهان ٣/٩١ — ١٠١ .

بقوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » (١٨) • وعلق عليه بقوله : فسبق الكتاب من الله تعالى علة النجاة من العذاب ، كما مثل له بقول البحترى :

ولو لم تكن ساخطا لم أكن
أذم الزمان وأشكو الخطوبا

وعلق عليه بقوله : فوجود سخط الممدوح هو علة فى شكوى الشاعر (١٩) •

وواضح أن التعليل فى الآية تعليل حقيقى ، ولا صلة له بحسن التعليل ، فى بيت البحترى فهو مبنى على التخييل والادعاء ، وكان على الحموى أن يفصل بينهما •

حسن التعليل فى الاساليب وبلاغته :

يرتبط حسن التعليل بقدر من الفكر والتأمل ، وشىء من الصنعة ، ومن هنا ندر وجوده فى الشعر القديم ، وأخذ فى الازدياد والانتشار لدى شعراء العصر العباسى وما تلاه من عصور • فنجد منه نماذج جيدة فى موضوعات مختلفة لدى مسلم بن الوليد ، وأبى تمام ، والبحترى ، وابن المعتز ، وابن الرومى ، والمتنبى ••• وغيرهم • ومن روائعه قول مسلم بن الوليد :

ان يقعدوا فوقى لغير نزاهة
وعلو مرتبة وعز مكان
فالنار يعلوها الدخان وربما
يعلو الغبار عمائم الفرسان

---

(١٨) الأنفال آية ٦٨ •
(١٩) خزانة الأدب ٢/٣٩١ •

فهو لا يعبأ بمن يقفزون فوقه دون استحقاق ، ولا يقيم لهم وزنا ، لان النار يعلوها الدخان ، والغبار يعلو عمائم الفرسان .

وقول أبى تمام :

ولا يروعك ايماض القتير به
فان ذاك ابتسام الرأى والأدب (٢٠)

فبياض الشيب فى الممدوح ينبغى ألا يخيف ، فهو نور العقل والأدب قد انتشر ، وبان من وجهه وظهر .

وقول البحترى :

وبياض البازى أصدق حسنا
ان تأملت من سواد الغراب

فهو لا يرى فى الشيب بأسا ، لان اللون الأبيض مفضل على الأسود ، وبياض البازى أبهى وأحسن فى العيون من سواد الغراب .

وكان عبد الملك بن ادريس الحريرى بين يدى المنصور أبى عامر فى ليلة يبدو فيها القمر تارة ويختفى بالسحاب تارة ، فأنشد على البديهة :

أرى بدر السماء يلوح حينا
ويبدو ثم يلتحف السحابا
وذاك لانه لما تبدى
وأبصر وجهك استحيا وغابا (٢١)

فعلل اختفاء البدر فى السحاب باستحيائه من الممدوح لما أبصر

(٢٠) القتير : الشيب .
(٢١) معاهد التنصيص ٣/٧٤ .

وجهه الذى يفوق البدر فى النضارة والضياء . وقال أبو الحسن النوبختى فى هذا المعـــنى :

لم يطلع البدر الا من تشــوقه
أليك حتى يوافى وجهــك النضرا
ولا تغيب الا عنــد خجلتـــه
لما رآك فولــى عنك واســتترا

فعلل طلوع البدر بتشوقه لرؤية مخاطبه ، واستتاره بخجله من حسنه لما رآه .

وقد أكثر الشعراء المتأخرون فى عصور الضعف الأدبى من هــذا الفن وتباروا فى الاتيان به دون احتراز عن التكلف ، والغـــلو ، ودون مبالاة بكونه سمجا خاليا من الطرافة واللطافة ، فجاء كثير منه معيبا على الرغم مما تضمنه من خيال . من ذلك قول الشاعر :

بكت فقدك الدنيا قديما بدمعها
فكان لها فى سالف الدهر طوفان

فعلل الطوفان الذى أهلك الكافرين من قوم نوح عليه الســلام بكونه دموعا قديمة الدنيا بكت بها مقدما فقد هذا الرجل العظيم وهذا غلو ممقوت ليس فيه ما يؤهله للقبول .

وقـــول الآخــــر :

تجاسر عود اللهو يشبه صــوتها
فمن أجل هذا أصبح العــود يضرب

[illegible] يضرب على أوتاره ليصدر عنه الصوت الجميل الذى يطرب ولكن [illegible] علل ضربه بأنه تجرأ على محاكاة صــوت تلك المغنيـــة ،

فأدب بالضرب على أوتاره ، وهى وان كانت علة خيالية الا أنها خالية من التلطف والخلابة ولا تنفعل بها النفس .

وحسن التعليل لا يكون فنا جميلا الا اذا صدر عن احساس صادق ، وتضمن معنى لطيفا وعلة طريفة ، وفائدة شريفة ، وكان له وقع فى النفس وتأثير فيها .

وقد أكد الشيخ عبد القاهر على هذا فى حديثه عن التخييل والتعليل فى بيت المتنبى :

ما به قتل أعاديه ولكن
يتقى اخلاف ما ترجو الذئاب

فبعد أن بين أن المتنبى تجاوز العلة الحقيقية فى قتل الأعداء وادعى علة متخيلة ذكر أن هذا لا يقبل ولا يكون حتى يكون فى استئناف العلة المدعاة فائدة شريفة فيما يتصل بالممدوح ، أو يكون لها تأثير فى الذم (٢٢) ، وما أشبه ذلك حسب أغراض الكلام ومقاصد القائلين .

ولحسن التعليل المقبول شأن جليل فى صنعة الشعر ، واخراجه من قيود البراهين العقلية والحجج المنطقية الى التحليق فى سماء الخيال، حيث يجد عالما غير محدود ينمو فيه ويزدهر ، والصنعة انما يمتد باعها ، وينشر شعاعها ، ويتسع ميدانها ، وتتفرع أفنانها حيث تعتمد الاتساع والتخييل ، ويدعى الحقيقة فيما أصله التقريب والتمثيل ، وحيث يقصد التلطف والتأويل ، ويذهب بالقول مذهب المبالغة ... فى سائر المقاصد والأغراض ، وهناك يجد الشاعر سبيلا الى أن يبدع ويزيد ، ويبدىء فى اختيار الصور ويعيد ... ويكون كالمغترف من غدير لا ينقطع ، والمستخرج من معدن لا ينتهى (٢٣) .

---

(٢٢) أسرار البلاغة ٢٥٧ .
(٢٣) أسرار البلاغة ٢٣٧ .

التجـــــريد

التجريد اسلوب بديع استعمله فصحاء العرب استعمالا فطريا ، وجرى على ألسنة شعرائهم ، وبرز على وجه الخصـــوص فى مطـــالع قصـــائدهم •

ومن قديم ما ورد منه قول امرىء القيس :

تطـــاول ليـــلك بالاثمــــد ونام الخـــلى ولم ترقـــد

وقول علقمة بن عبدة :

طحا بك قلب فى الحسان طروب
بعيد الشباب عصر حان مشيب

وقـــول الخنســـاء :

قذى بعينك أم بالعين عـــوار
أم ذرفت اذ خلت من أهلها الدار

وغير ذلك مما يضيق المقام عن ذكره •

وورد هذا الاسلوب فى القرآن الكريم بنســبة غير قليلة (١) ، وظل دائرا على ألسنة الشعراء والفصحاء لى يومنا •

والتجريد مأخوذ من « جرد » وهى تدور حـــول القشر والنزع وأخذ شىء عن شىء ونحو ذلك • يقال : جرد الشىء وجرده أى قشره، وجرد الجلد وجرده ، أى نزع عنه الشعر ، والجريد : الذى يجرد عنه الخوص ، ولا يسمى جريدا ما دام عليه الخوص وانما يسمى سعفا ،

---

(١) ينظر الفوائد ١٦٨ • وقد عرضنا لاسلوب التجريد وبلاغتـــه فى بحث موسع ضمن كتابنا : بحوث فى البلاغة والنقد •

وكل شىء قشرته عن شىء فقد جردته عنه ، والجرد : أخذ الشىء عن الشىء عسفا وجرفا (٢) •

والتجريد عند البلاغيين مأخوذ من ذلك ، فهو عندهم : أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى كمالها فيه (٣) •

وبمقتضى تعريف التجريد يكون لهذا الأسلوب ثلاثة أركان (٤) :

المجرد منه : وهو الموصوف المنتزع منه أمر آخر •

المجـــرد : وهو الأمر الذى انتزع من الموصوف •

الصـــفة : وهى التى يراد بيانها والمبالغة فيها •

فاذا قلت : لى من محمد صديق حميم • فالمجرد منه : محمد • والمجرد : صديق حميم ، والصفة : الصداقة •

واذا قلت سألت بخالد البحر • فالمجرد منه : خالد • والمجرد : البحر • والصفة : الكـــرم •

أقســـام التجـــريد :

ذكر الخطيب أن التجريد أقسام ، ولم يحصر عدد هذه الاقسام ، ولم يحدد ضوابطها ، وانما ذكر أمثلة لسبعة أقســـام ، واهتم شراح التلخيص ببيان ضوابطها ، وهى على النحو التالى :

١ — ما يكون بمن التجريدية ، نحو قولهم : لى من فلان صديق حميـــم •

---

(٢) لســـان العرب : مادة جرد •
(٣) الايضـــاح ٦/٥٤ •
(٤) ينظر عروس الأفراح ٤/٣٥٧ والبديع من المعانى والالفاظ ٧٧•

أى بلغ فلان من الصداقة حدا صح معه أن يستخلص منه صديق آخر مثله فى الصداقة (٥) • ومنه قول الشاعر :

ترى منهم الأسد الغضاب اذا سطوا
وتنظر منهم فى اللقاء بدورا

ولم يمثلوا لهذا القسم الا بما دخلت فيه « من » على المنتزع منه • و « من » فى هذه الحالة تكون للابتداء ، لان المنتزع مبدؤه ونشأته من المنتزع منه الذى هو مدخول « من » ، وأما جعلها للبيان فلا تفيد المبالغة ، فان بيان شىء بشىء لا يدل على كمال المبين فى الوصف بخلاف جعله مبتدأ ومنشأ لذى وصف ، فانه يدل على كمال ذلك الشىء باعتبار ذلك الوصف ، فاذا قيل : لى من فلان صديق حميم ، فكأنه قيل : خرج لى من فلان وأتانى منه صديق آخر ، ولا شك أن هذا يفيد المبالغة فى وصف فلان بالصداقة (٦) •

وكلام الزمخشرى يقتضى أنها بيانية ، حيث قال فى قوله تعالى : « هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين » (٧) يحتمل أن تكون « من » بيانية كأنه قيل : هب لنا قرة أعين ثم بين القرة بقوله « من أزواجنا » وهو من قولهم : رأيت منك أسدا ، أى أنت أسد (٨) •

والأحسن أن تكون ابتدائية لما قدمناه ، ولان من البيانية شرطها أن يتقدم عليها المبين (٩) ، وهذا مخالف لما نحن فيه •

وهذا القسم لا يقصد منه تشبيه الشىء بغيره • وزعم بعضهم أنه على حذف المضاف فمعنى قولهم : لقيت من زيد أسدا ، لقيت من

---

(٥) بغية الايضاح ٤/٤٤ ، والمطول ٤٣٢ .
(٦) الفرقان آية ٧٤ .
(٧) مواهب الفتاح ٤/٣٤٩ ، وحاشية الدسوقى ٤/٢٤٩ .
(٨) الكشاف ٣/١٠٢ .
(٩) عروس الأفراح ٤/٣٥٧ .

لقائه أسدا ، والغرض تشبيهه بالأسد • ولا يخفى ضعف هذا التقدير في مثل قولنا : لى من فلان صديق حميم ، لفوات المبالغة فى تقدير : حصل لى من حصوله صديق (١٠) •

٢ — ما يكون بالباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه نحو قولهم : لئن سألت فلانا لتسألن به البحر • فقد بالغ فى اتصافه بالسماحة حتى انتزع منه بحرا فى السماحة (١١) •

والباء هنا يناسبها أن تكون للمصاحبة ، أى لتسألن مع فلان حين سؤالك له بحرا آخر معه ، أى شخصا كريما كالبحر مصاحبا له • ويحتمل أن تكون السببية ، أى لتسألن بسببه البحر • بمعنى انه كان سببا لوجود بحر آخر معه مجردا منه مماثلا له فى كونه يسأل (١٢) •

ويشير كلام الزمخشرى الى أنها سببية ، حيث قال فى قوله تعالى: « فاسأل به خبيرا » (١٣) أى فاسأل بسؤاله خبيرا كقولك : رأيت به أسدا أى برؤيته (١٤) •

وهذا القسم يقصد فيه تشبيه الشىء بغيره (١٥) ، وهذا واضح من كلامهم السابق فى بيان معنى الباء • ومن قول الدسوقى ان كان المراد بالسؤال فى قوله لتسألن به البحر ، سؤال دفع الحاجة فيكون التشبيه بالبحر فى السماحة ، وان كان السؤال لدفع الجهل فيكون التشبيه بالبحر فى كثرة العلم (١٦) •

---

(١٠) المطول ٤٣٢ •
(١١) بغية الايضاح ٤/٤٤ • والمطول ٤٣٢ •
(١٢) مواهب الفتاح ٤/٣٥٠ • وحاشية الدسوقى ٤/٣٥٠ •
(١٣) الفرقان آية ٥٩ •
(١٤) الكشاف ٣/٩٨ •
(١٥) عروس الأفراح ٤/٣٥٠ •
(١٦) حاشية الدسوقى ٤/٣٥٠ •

وقد بين الامام عبد القاهر أن قولهم : لقيت به أسدا ورأيت به ليثا ، من قبيل التشبيه (١٧) .

٣ — ما يكون بدخول الباء التجريدية على المنتزع نحو قول الشاعر :

وشوهاء تعدو بى الى صارخ الوغى
بمستلئم مثل الفنيق المرحل

والشوهاء : الفرس القبيحة المنظر لسعة أشداقها أو لما أصابها من شدائد الحرب ، وتعدو بى : تسرع بى ، وصارخ الوغى : المستغيث فى الحرب ، والمستلئم : لابس اللأمة وهى الدرع ، والباء للمصاحبة ، والفنيق : الفحل المكرم من الابل ، الذى ترك أهله ركوبه تكرمة له ، والمرحل : المرسل عن مكانه غير المربوط .

أى : تعدو بى ومعى من نفسى لكمال استعدادها للحرب لابس درع . وبذلك بالغ فى وصف نفسه بالشجاعة والاستعداد للحرب حتى انتزع منها مستعدا آخر لابسا لأمة (١٨) .

وهذا القسم لا يدل على التشبيه ، والباء فيه للمصاحبة والملابسة ، ولا يناسبها هنا الا هذا المعنى ، لانها لو جعلت للسببية كان التقدير : تعدو بى بسبب مستلئم ، فيكون المستلئم الذى هو المنتزع سببا للمجرد منه وهو الذى يلبس اللأمة حقيقة ، والمقرر أن المجرد منه هو السبب والمنشأ لا العكس ، ولذلك جعلت الباء للمصاحبة (١٩) .

٤ — ما يكون بدخول « فى » على المنتزع منه نحو قوله تعالى :

---

(١٧) أسرار البلاغة ٢٩١ .
(١٨) بغية الايضاح ٤/٤٥ ، والمطول ٤٣٢ .
(١٩) مواهب الفتاح ٤/٣٥١ . وينظر عروس الأفراح ٤/٣٥٠ .

« لهم فيها دار الخلد » (٢٠) ، أى : للكافرين فى جهنم دار الخلد ، وجهنم — أعاذنا الله منها — هى نفسها دار الخلد ، لكن انتزعت منها دار أخرى مثلها ، وجعلت معدة فيها لأجل الكفار ، وفى ذلك تهويل لأمرها (٢١) ، وبيان لكونها محلا لخلودهم •

و « فى » هنا للظرفية ، وقد بولغ فى وصف جهنم بكونها دارا ذات عذاب مخلد حتى صارت بحيث تفيض وتصدر عنها دار أخرى هى مثلها فى اللزوم وقوة العذاب بلا ضعف مع التخليد (٢٢) •

وهذا القسم لا يقصد فيه تشبيه الشىء بغيره (٢٣) ، وقد أشار الامام عبد القاهر الى ذلك فى بيانه للآية السابقة (٢٤) •

٥ — ما يكون بدون توسط حرف من حروف التجريد نحول قول قتادة بن مسلمة الحنفى :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة
تحوى الغنائم أو يموت كريم

وتحوى الغنائم : تجمعها • والجملة صفة غزوة ، وأو بمعنى الا ، والفعل يموت منصوب بأن مضمرة والتقدير : ألا أن يموت كريم • والتجريد فى قوله : أو يموت كريم ، حيث عنى بالكريم نفسه ، فكأنه انتزع من نفسه كريما مبالغة فى وصفها بالكرم ، ولذلك لم يقل أو أموت ، كما هو مفهوم من الكلام اذ المعنى : لأجمعن الغنائم أو أموت• فترك هذا وعبر بطريقة التجريد للمبالغة فى وصف نفسه بالكرم ،

(٢٠) فصلت آية ٢٨ .
(٢١) بغية الايضاح ٤/٤٥ ، والمطول ٤٣٣ .
(٢٢) مواهب الفتاح ٤/٣٥٢ .
(٢٣) عروس الأفراح ٤/٣٥١ .
(٢٤) ينظر أسرار البلاغة ٢٩١ .

لدلالة الانتزاع على انه بلغ فى الكرم انى حيث يفيض ويخرج عنه كريم آخر مثله فى الكـــرم (٢٥) •

وعلى هذا قراءة من قرأ « فاذا انشقت الســـماء فكانت وردة كالدهان » برفع « وردة » بمعنى : فحصلت سماء وردة ، وهما شىء واحد • فيكون ذلك من قبيل التجريد بغير حرف من حروف التجريد •

وقيل تقدير البيت : أو يموت منى كريم ، وتقدير الآية : فكانت منه وردة كالدهان وعلى هذا يكون التجريد فى البيت والآية بواســطة « من » التجريدية ، وللخطيب نظر فى ذلك (٢٦) • وفسر السعد هذا النظر بأن التجريد حاصل والمعنى تام بدون هذا التقدير ، ولا قرينة عليه (٢٧) ، ومن ثم فلا حاجة اليه •

وهذا القسم لا يدل على التشبيه (٢٨) •

٦ — ما يكون بطريق الكناية نحو قول الأعشى :

يا خـير من يركب المطـى ولا
يشــرب كأســا بكف من بخــلا

والشاهد فى قوله : ولا يشرب كأسا بكف من بخلا • فهو كنــاية عن شربه الكأس بكف كريم • والشأن أن الانسان يشرب بكف نفسه ، فانتزع الشاعر من ذلك الممدوح شخصا كريما يشرب من كفه الممدوح مبالغة فى كرمه ، فصار الأصل : ويشرب بكف كريم ، ثم عبر عن ذلك المعنى بالكناية ، بأن أطلق الملزوم وهو نفى الشرب بكف البخيل وأراد اللازم وهو الشرب بكف الكريم (٢٩) •

---

(٢٥) المطول ٤٣٣ ، ومواهب الفتاح ٤/٣٥٢ .
(٢٦) بغية الايضاح ٤/٤٥ ، ٤٦ .
(٢٧) مختصر السعد ٤/٣٥٤ ، والمطول ٤٣٣ .
(٢٨) بغية الايضاح ٤/٤٥ ، وعروس الأفراح ٤/٣٥٢ .
(٢٩) المطول ٤٣٣ ، وحاشية الدسوقى ٤/٣٥٤ .

ونحو هـــذا قول الشـــاعر :

ان تلقنى لا ترى غيرى بناظرة
تنس السلاح وتعرف جبهة الأسد

والشاهد فى قوله : وتعرف جبهة الأســـد • حيث كنى بذلك عن معرفة الأسد نفسه ، فكأنه قال : وتعرف الأسد (٣٠) • وهو يقصـــد بالأسد نفسه ، فانتزع من نفسه أسدا على سبيل التجريد مبـــالغة فى شجاعته ، والتقدير : وتعرف منى الأسد •

وهذا القسم كالذى قبله لا يقصد به التشبيه (٣١) ، والتجريد فيه بغير حرف ، الا أن الذى قبله تجريد بمنطوق ، وهذا تجريد بمفهوم ، لان قوله : بكف من بخلا • ليس فيه تجريد ، بل مفهومه أنه يشربها بكف من لم يبخل ، فكأنه جرد من نفسه غير بخيل ، وأثبت بالمفهوم أنه يشربها بكفـــه (٣٢) •

٧ ـــ ما يكون بمخاطبة الانسان نفسه • كقول الأعشى :

ودع هريرة ان الركب مرتحـــل
وهل تطيق وداعا أيهـــا الرجـــل

وكقول أبى الطيب :

لا خيل عندك تهديهـــا ولا مال
فليسعد النطق ان لم يســـعد الحال

فقد انتزع من نفسه شخصا آخر مثله فى فقد الخيل والمال ووجه اليـــه الخطـــاب (٣٣) •

---

(٣٠) بغية الايضاح ٤/٤٦ •
(٣١) ينظر أسرار البلاغة ٢٩١ •
(٣٢) عروس الأفراح ٤٤/٣٥٥ •
(٣٣) بغية الايضاح ٤/٤٤ ، ٤٧ ، والمطول ٣٤ :

وهذا القسم لا يدل على التشبيه ، وبيان التجريد فيه : أن المتكلم ينتزع من نفسه شخصا آخر مثله فى الصفة التى سيق لها الكلام ثم يخاطبه ، فمخاطبة الانسان نفسه تستلزم التجريد (٣٤) .

وأشار السبكى فى بيانه لهذا القسم الى أمرين :

الأول : أن هذا اللون من التجريد قد يكون بغير المخاطبة .

والثانى : وجه المبالغة فى هذا اللون من التجـريد . حيث قال : فان قيل أين المبالغة فى التجريد بخطاب الانسان لنفسه ؟ قلت : كأنه يجعل نفسه لكمال الادراك كأن فيها نفسا أخرى . ومن أحسنه قوله تعالى : « يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها » (٣٥) ، صيرها لشدة جدالها كأنها تجادل عن غيرها (٣٦) .

وبهذا تنتهى أقسام التجريد السبعة التى مثل لها الخطيب وفصلها شراح تلخيصه ، وأشار السبكى الى أقسام أخرى للتجريد ، فبعد أن انتهى من شرح الأقسام السبعة المذكورة قال : وبقى من أنواع التجريد أن يقصد التشبيه ويكون بمن أو فى نحو : رأيت من فلان أو فيه البحر . أو لا يقصد التشبيه ويكون بالباء أو فى نحو : لى به أو فيه صـديق حميـم (٣٧) .

وبهذا تكون أقسام التجريد عند السبكى عشرة هى :

١ — ما يكون بمن ولا يقصد به التشبيه . نحو : لى من محمد صديق حميـم .

---

(٣٤) المطول ٤٣٤ ، ومواهب الفتاح ٣٥٦/٤ .
(٣٥) النحـل آيـة ١١١ .
(٣٦) عروس الأفراح ٣٥٧/٤ .
(٣٧) عروس الأفراح ٣٥٧/٤ .

٢ — ما يكون بمن ويقصد به التشبيه • نحو : رأيت من خالد البحر •

٣ — ما يكون بالباء الداخلة على المنتزع منه ولا يقصد به التشبيه • نحو لى بمحمد صديق حميم •

٤ — ما يكون بالباء الداخلة على المنتزع منه ويقصد به التشبيه • نحو : لتسألن به البحر •

٥ — ما يكون بالباء الداخلة على المنتزع كقول الشاعر : وشوهاء ••• الخ •

٦ — ما يكون بفى ولا يقصد به التشبيه • نحو : لى فى محمد صديق حميم •

٧ — ما يكون بفى ويقصد به التشبيه • نحو : رأيت فى محمد البحر •

٨ — ما يكون بغير حرف •

٩ — ما يكون عن طريق الكناية •

١٠ — ما يكون بمخاطبة النفس ، وهذه الأقسام الأخيرة لا يقصد بها التشبيه ، وأمثلتها قد تقدمت •

التجريد والالتفات :

أثار شراح التلخيص مسألة اجتماع التجريد والالتفات فى توضيحهم للتجريد فى قول قتادة بن مسلمة :

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوى الغنائم أو يموت كريم

فقوله : أو يموت كريم • شاهد للتجريد بدون حرف ، حيث عنى بالكريم نفسه ، والتقدير : أو أموت • فجرد من نفسه كريما مبالغة فى وصفها بالكرم • وهو فى ذات الوقت يصلح شاهدا للالتفات ، حيث

انتقل من التكلم فى « الأرحلن » الى الغيبة فى « يموت » ، ولو سار الكلام على مقتضى الظاهر لقال أو اموت .

ومن هنا أثيرت المناقشات حول هذه المسألة . وللبلاغيين فيهـا رأيان :

الأول : رأى الجمهور وهو انه لا تعارض بين التجريد والالتفات فيمكن اجتماعهما .

وكلام السكاكى فى الالتفات يفهم منه ذلك ، حيث أشار فى كلامه عن التفاتات امرىء القيس الى ما فيها من تجريد . ففى تعليقه على أبيـات امرىء القيس :

تطـاول ليلك بالاثمـد ونام الخـلى ولم ترقـد
وبات وباتت له ليـلة كليـلة ذى العائر الأرمـد
وذلك من نبـأ جـاءنى وخبرته عن بنى الأسـود

يقول : وليس ابن الحجر الكندى يبعد — وهو المشهود له فى شأن البلاغة ، اذا التفت تلك الالتفات وكان يمكنه ألا يلتفت لبتة ... — أن يكون حين قصد تهويل الخطب واستفظاعه فى النبأ الموجع والخبـر المفجع ... فعل ذلك منها فى التفاته الأول على أن نفسه وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهت وله الثكلى ، فأقامها مقام المصاب الذى لا يتسـلى بعض التسلى الا بتفجع الملوك له ، وتحزنهم عليه ، وأخـذ يخاطبه : بتطاول ليلك ، تسلية . أو نبه على أن نفسه لفظاعة شأن النبـأ ، أو استشعارها معه كمدا وارتماضا ، أبدت قلقا ... وضجرا ... وكان من حقها أن تتثبت وتتصبر ... فحين لم تفعل ذلك شككته فى أنهـا نفسه ، فأقامها مقام مكروب ذى حرق ، قائلا له . تطـاول ليلك ، مسـليا ...

أو نبه فى التفاته الأول على أن نفسه حين لم تتثبت ولم تتصبر ، غاظه ذلك فأقامها مقام المستحق للعتـــاب قائلا له على سبيل التوبيخ والتعيير : تطاول ليلك (٣٨) .

فهذا التحليل ناطق بوجود التجريد بجانب الالتفات ، حيث أقام الشاعر نفسه مقام المصاب أو المكروب أو المستحق للعتاب ، وخاطبـــه بقوله : تطاول ليلك ... وهذا ما جعل السبكى يقـــول : وقد صرح السكاكى بلفظ التجريد فى أثناء كلامه عن الالتفات فى أبيـــات امرىء القيس (٣٩) .

وبجانب ما ذكره السكاكى نرى عـــددا من البلاغيين يمثلون فى التجريد ببيت قتادة بن مسلمة (٤٠) ، مع جواز تخريجه على الالتفات، وهذا يشعر بأنهم لا يرون مانعا من اجتماع التجريد والالتفات .

والى هذا الرأى ذهب السبكى ، وبين أن بينهما عموما وخصوصا من وجه ، فيوجد التجريد دون الالتفات كقولك : رأيت منه أســـدا ، ومثل : تطاول ليلك ... على رأى الجمهور فى الالتفات . ويوجـــد الالتفات دون التجريد نحو قوله تعالى : « والله الذى أرســـل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت » (٤١) ، ففى « سقناه » التفـــات لا تجريد . ويجتمع الالتفات والتجريد نحو قوله تعالى : « انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر » (٤٢) ، ففى « ربك » التفات وتجريد ، ونحو قول الشاعر : طحا بك قلب فى الحسان طروب ... ففى « بك » التفات على رأى السكاكى وتجريد (٤٣) .

---

(٣٨) مفتاح العلوم ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

(٣٩) عروس الأفراح ٤٧٧/١ .

(٤٠) ينظر حسن التوســـل ٢٨٦ ، وبغية الايضـــاح ٤٥/٤ . والتبيـــان ٢٩١ .

(٤١) فاطـــر آيـــة ٩ .

(٤٢) الكـــوثر آيـــة ١ ، ٢ .

(٤٣) عروس الأفراح ٤٧٦/١ .

والى مثل هذا ذهب السعد ، اذ يرى أن التجريد لا ينافى الالتفات، ومن ثم يمكن اجتماعهما ، بل هو واقع بأن يجرد المتكلم نفسه من ذاته ويجعلها مخاطبا لنكتة كالتوبيخ فى : تطاول ليلك بالاثمد . والتشجيع والنصح فى قـــوله :

أقــول لها اذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدى أو تستريحى (٤٤)

ويرى السعد أنه لا تجريد فى قوله تعالى : « انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر » وانما فيه التفات من التكلم الى الغيبة فقط .

لانه لا معنى للانتزاع فيه بأن يقال : انتزع تعالى من ذاته ربا مبالغة فى ربوبيته للنبى صلى الله عليه وسلم ، لانه يلزم الأمر بالصلاة للرب المنتزع (٤٥) . وبذلك خالف رأى السبكى فى الآية .

والثانى : رأى السيد الشريف ، وهو عدم اجتماعهما وفى ذلك يقول : المقصود من الالتفات المشهور عند الجمهور ارادة معنى واحد فى صور متفاوتة استجلابا لنشاط السامع اه ، واستدرارا لاصغائه اليه، والمقصود من التجريد المبالغة فى كون الشىء موصوفا بصفة وبلوغه النهاية فيها بأن ينتزع منه شىء آخر موصوف بتلك الصـــفة ، فمبنى الالتفات على ملاحظة اتحاد المعنى ، ومبنى التجريد على اعتبار التغاير ادعاء ، فكيف يتصور اجتماعهما ! نعم ربما أمكن حمل الكلام على كل واحد منهما بدلا عن الآخر ، وأما أنهما مقصودان معا فكلا ، مثلا اذا عبر المتكلم عن نفسه بطريق الخطاب أو الغيبة : فان لم يكن هنـــاك وصف يقصد المبالغة فى اتصافه به لم يكن ذلك تجريدا أصلا ، وان كان هناك وصف يحتمل المقام المبالغة فيه : فان انتزع من نفســه شخصا

---

(٤٤) المطـــــــول ٤٣٣ .
(٤٥) المطول ٤٣٣ . وحاشية الدسوقى ٣٥٣/٤ .

آخر موصوفا به فهو تجريد وليس من الالتفات فى شىء ، وان لم ينتزع بل قصد مجرد الافتتان فى التعبير عن نفسه كان التفاتا (٤٦) .

وبذلك يرى السيد أن التجريد والالتفات متنافيان ، لان الالتفات مبنى على ملاحظة اتحاد المعنى ، والتجريد مبنى على اعتبار التغاير ادعاء ، فلا يتصور اجتماعهما معا فى آن واحد . لكن يمكن حمل الكلام على كل واحد منهما بدلا من الآخر .

ورد السيد على القول بدلالة كلام السكاكى على اجتماعهما فقال : فان قيل كلام المفتاح حيث قال فى بيان الالتفات : فأقامها مقام المصاب، يدل على أنه تجريد أيضا فيجتمعان . قلنا : معنى كلامه : أنه أقام نفسه مقام المصاب ، لا أنه جرد منها مصابا آخر ليكون تجريدا ، فما ذكره فائدة اطلاق لفظ المخاطب على المتكلم ، وبيان النكتة الخاصة بالالتفات فى هذا الموضع . وان شئت زيادة توضيح فاعلم أن قوله : تطاول ليلك .. ان حمل على الالتفات ، كان فيه ايهام الخطاب وملاحظة أن المراد به نفس المتكلم ، ولم يكن هناك مبالغة فى اتصافه بالمحزونية بطريق انتزاع محزون آخر منه ، وان حمل على التجريد كان فيه دعوى الخطاب واظهار أن المراد به مغاير المتكلم منتزع منه ، وكان فيه مبالغة فى اتصافه بالمحزونية بطريق الانتزاع (٤٧) .

فالسيد يرى أن كلام السكاكى لا يدل على أن فى قول امرىء القيس تجريدا ، بل هو بيان لفائدة الالتفات . وهذا غير دقيق لان السكاكى أشار بوضوح الى أن الشاعر انتزع من نفسه شخصا آخر ، وبين ذلك ثلاث مرات ، كما هو واضح من كلامه الذى سقناه آنفا .

وقد دافع عبد الحكيم وغيره عن وجهة نظر السعد فى أنه لا تنافى

---

(٤٦) حاشية السيد الشريف على المطول ٤٣٣ .
(٤٧) حاشية السيد على المطول ٤٣٣ .

بين التجريد والالتفات فيمكن اجتماعهما ، وبينوا أن اجتماعهما واقع فى صورة يكون الاسلوب المنتقل اليه دالا على صفة كما فى قول قتادة : أو يموت كريم . فهو التفات من حيث انه انتقل من التكلم للغيبة ، وتجريد من حيث التعبير بصيغة الصفة لاجل المبالغة فى الكرم (٤٨) .

وردوا على السيد الشريف فى حكمه بالتنافى بينهما : اذ أن قوله : أن الالتفات يقتضى الاتحاد والتجريد يقتضى التغاير ولو ادعاء فبينهما تناف ، مردود عليه باختلاف جهة وجود كل منهما فى التعبير ، وبذلك لا يكون بينهما تناف ، لان التنافى انما يلزم لو كان اعتبار المتنافيين من جهة واحدة بحسب اقتضاء المقام ، وهنا ليس كذلك ، لان الالتفات من حيث انه انتقل من التكلم للغيبة لاجل تجديد الاسلوب ، والتجريد من حيث التعبير بصيغة الصفة لاجل المبالغة فيها . فاجتماعهما فى مادة واحدة لا ضرر فيه ، لان كل واحد منهما باعتبار خاص به (٤٩) .

كما أن المراد بالاتحاد فى الالتفات الاتحاد فى نفس الأمر ، لا الاتحاد فيه وفى الاعتبار . والتعدد فى التجريد تعدد بحسب الاعتبار لا فى نفس الأمر أيضا حتى ينافى الالتفات ، فالحاصل أنه تجريد نظرا للتغاير الادعائى ، والتفات نظرا للاتحاد الواقعى (٥٠) .

واللفظ فى بيت قتادة يحتمل كليهما بالانفراد ، ويحتمل الجمع بينهما ، وهو أكمل فعليه يحمل (٥١) .

وبذلك يترجح رأى الجمهور الذى يقضى بامكان اجتماع التجريد والالتفات لعدم التنافى بينهما ، والنكات البلاغية لا تتزاحم ، ويمكن اجتماعها نظرا لاعتباراتها المختلفة .

---

(٤٨) حاشية عبد الحكيم على المطول ٥٠٤ ، وحاشية الدسوقى ٣٥٣/٤ .

(٤٩) المرجعان السابقان .

(٥٠) تجريد [illegible] ٣٩[illegible] ، ٣٩٥ .

(٥١) تقرير الانبانى ٣٩٥/٤ .

بلاغة التجـريد وأغراضـه :

التجريد اسلوب بديع يكسو العبارة حسنا وجمالا ، ويبرز المعنى قويا بالغا غايته ، وينبه الأسماع ويؤثر فى النفوس • ومن هذه الجهات الثلاث تأتى بلاغة التجـريد •

فأما أنه ينبه الأسماع ويؤثر فى النفوس فبما فيه من ايهام وخداع أن هناك مخاطبا يوجه اليه الكلام ، أو حقيقة غير المتحدث عنها لها من الصفات أكثر مما لها • وهذا يستدعى التنبيه والتيقظ ، وينشط الفكر للوقوف على حقيقة الأمر ، كما أن المخاطب يسمع من خلال التجـريد خلاف ما يترقب ويواجه بغير ما يتوقع فينشط ويصـغى الى الكلام ، حيث يترقب أن يتحدث المتكلم عن نفسه فاذا هو يخاطب غيره •

كما أن هذا الاسلوب يحدث افتنانا فى الكلام وتنوينا فى التعبير وفى هذا تجديد لنشاط السامع ، فان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب يكون أحسن تطرية لنشاط السامع ، وأكثر ايقاظا للاصغاء من اجرائه على اسلوب واحد (٥٢) •

وأما أنه يبرز المعنى قويا بالغا غايته ، فلانه يقوم على أن ينتزع من أمر ذى صفة امر آخر مثله فى تلك الصفة مبالغة فى كمال الصفة فيه حتى انه لينجرد منه مثله فيها • والمقرر فى العقول أن الأصـل والمنشأ لما هو مثله يكون فى غاية القوة حتى صار يفيض بمثـالاته ، فاذا أخذ موصوف بصفة من موصوف آخر بها فهم أنك بالغت فى وصفه حتى صيرته فى منزلة هى أن من كانت فيه تلك الصفة صار متصفا بتفريع أمثاله عنه ، فهى فيه كأنها تفيض بمثالاتها لقوتها ، كما تفيض الأشعة عن شعاع الشمس ، وكما يفيض الماء عن ماء البحر (٥٣) •

---

(٥٢) الكشاف ١/٦٤ • وكلام الزمخشرى وان كان فى الالتفـات الا انه ينطبق أيضا على التجريد ، حيث يشتركان معـا فى ذلك عنـدما يقعـان فى أثنـاء الكلام •

(٥٣) عروس الأفراح ٣٤٨/٤ • وحاشية الدسوقى ٣٤٨/٤،٣٤٩ •

فعندما تقول : لك فى محمد البحر ، فقد جعلت محمدا بالغـا فى الكرم والعطاء مبلغا عظيما ، حتى انه صار أصلا ومنشأ لهذه الصفة يفيض منها على غيره ويمد منها سواه ، ومن ثم انتزعت منه البحر الذى هو مضرب الأمثال فى العطاء والجود .

كما أن فيه مبالغة بنقل الشىء من حقيقة الى حقيقة أخـرى ، فاذا قلت : لئن لقيت زيدا ليلقينك منه الأسد ، فقد جعلته يرى منـه الأسد ، على القطع ، فيخرج الأمر عن حد التوهم فى مثل : كأن زيدا الأسـد ، الى حد اليقين هنـا (٥٤) . واذا قلت : لى فى دارى بيت السرور ، فقد بالغت حتى جعلت بيت السرور حقيقة أخرى موجودة فى دارك هى محل سرورك ومقر فرحـك ، مع أن بيت السرور هو دارك نفسـها .

ثم ان هذا الاسلوب يحتاج فى ادراكه والوقوف على مراد المتكلم الى مزيد من الفكر والروية ، وذلك باعث على تمكينه فى النفس ، وتثبيته فى الفهم ، للحصول على المراد بعد جهد وكد .

كما أن أكثر صوره تبرز المعانى مصـورة بما فيها من دلالة على التشبيه ، فتكون أكثر وضوحا ، وأسرع ادراكا ، تقول : وجـدت فى الاسلام وطنا ، ولقيت بالمسامين اخوانا ، ورأيت من العـلم نورا ، فتخرج المعانى فى صورة محسة ، قوية الظهور بالغة التأثير .

وفى مخاطبة النفس عن طريق الغير تعميم فى الخطاب ، واشراك للغير فى فعل المطلوب ، وحث لكل سامع على الادلاء بدلوه فقـول أبى نـواس :

دع الأطلال تسفيها الجنـوب   وتبلى عهد جدتها الخطوب
وخل لراكب الوجناء أرضـا   تخب به النجيبة والنجيب

(٥٤) دلائل الاعجـاز ٤٢٥ .

فيه دعوة لكل شاعر أن يدع الوقوف على الأطلال وبـكاء الديار على عادة الشعراء العرب فى مطالع قصائدهم ، وفى هذا افصاح عن شدة ثورته على هذه العادة ، ورغبته فى هدمها والقضاء عليها .

وقـول شـوقى :

قم فى فم الدنيا وحى الأزهـرا
وانثر على سمع ازمان الجوهرا
واجعل مكان الدر ان فصـلته
فى مدحه خـرز السـماء النيرا

فيه دعوة لكل سامع أن يفعل ذلك ، وان كان الشـاعر يخاطب نفسه على سبيل التجريد . وفى هذا مزيد اهتمام بشأن الأزهر واعلاء مكانته ورفع لوائه ، والتعريف بأمجاده ومآثره .

وقول حافظ ابراهيم فى الشكوى :

ماذا أصبت من الأسفار والنصب
وطيك العمر بين الوخد والخبب ؟

فيه تعميم للتحسر والندم على فوات العمر وضياعه دون فائدة ، وذلك عن طريق الاستفهام من كل مخاطب عما أصابه من أسـفاره ونصـبه .

وأما أنه يحسن العبارة فلما فيه من دقة فى الصياغة تجعل له وقعا مؤثرا فى النفس ، فقولنا : لى منك صديق حميم ، ووجدت فيك أخا لم تلده أمى ، يفضل قولنا : أنت صديقى الحميم ، ووجدتك أخا لم تلده أمى ، لما فيه من احكام فى الصياغة ، وجمـال فى المبنى وغزارة فى المعنى ، وبعد عن الاساليب المعتادة المتعارفة بين عامة الناس .

وقد بين ابن الأثير أن التجريد فائدتين : التوســع فى الكلام ، والتمكن من اجراء الأوصاف المقصــودة على النفس (٥٥) • وهاتان الفائدتان قاصرتان فى بيان أغراض هذا الاســلوب لبديع الذى تتأتى بلاغته من جهات عديدة كما أوضحنا •

وكان الطيبى أكثر دقة فى بيــان أغراض التجريد ، وان كان لم يبين الا الأغراض التى تتأتى من مخاطبة الانسان نفسه ، فذكر منها : التوبيخ ، والنصح ، والتحريض ، والتعريض ، والتمكن من اجــراء الأوصــاف على النفس (٥٦) •

ونقول ان للتجريد فائدتين أساسيتين لا ينفك عنهما اسلوب وارد على نهجــه همــــا :

١ — التوسع فى الكلام والافتنان فيه •

٢ — المبالغة فى وصف المنتزع منه بما يقصد من صفات •

وتأتى بجانب هاتين الفائدتين أغراض متنوعة تدل عليها سياقات الكلام وقرائن الأحوال • ومنها ما ذكره الطيبى وغيره من البلاغيين • وممن اهتموا بذكر بعض أغراض التجريد السيوطى فى شرح عقــود الجمان • حيث ذكر أن التجريد على قسمين :

الأول : أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة فى كمالها نحو لى من فلان صديق حميم ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » •

والثانى : أن تجرد نفسك فتخاطبها كأنها غيرك وذلك لنكت منها :

---

(٥٥) المثل السائر ٢/١٦٠ •
(٥٦) التبيــــان ٢٨٧ — ٢٩٠ •

قصد النصح لها كقــوله :

اقول لها وقد جشــأت وجاشت
مكانك تحمـــدى أو تستريحى

لما أراد أن يوطن نفسه على احتمال المكروه جردها مخاطبا لهـا نصـــحا ٠

ومنها قصد التوبيخ كقول امرىء القيس :

تطـــاول ليلك بالاثمـــد ونام الخـلى ولم ترقـــد

خاطب نفسه على جهة التجريد موبخا لها ، فان نفسه نفس ملك فكان من حقها الصبر وعدم الجزع ٠

ومنها التعريض بآخر كقــوله :

أتبكى على ليـلى وأنت تركتها
وكنت عليهـا بالملا أنت أقــدر

ومنها قصد التحريض كقول أبى الطيب :

لا خيل عندك تهـديها ولا مال
فليسعد النطق ان لم تسـعد الحال

جرد نفسه وخاطبها على جهة التحريض على مدح الممدوح ٠

وادعى السيوطى أن هذه النكت من زياداته ، وأيده المرشدى فى ذلك (٥٧) ، وهذا غير صحيح فقد سبق أن ذكرها الطيبى كمـا أشرنا آنفـــا ٠

---

(٥٧) شرح عقود الجمان ٢/١٣٢ ، ١٤٤ ٠

تأكيد المدح بما يشبه الذم

وهو من الفنون البديعية التى بحثها ابن المعتز ، وتحدث بعض البلاغيين عنه تحت عنوان الاستثناء (١) • وهو من الاساليب الخادعة، حيث يوهم صدر الكلام أن عجزه من قبيل الذم فاذا به من قبيل المدح• فحين تقول : لا عيب فى محمد الا أنه أمين • فبداية كلامك توهم أنك لا ترى فيه عيبا الا عيبا ستذكره بعد الاستثناء، فاذا قلت : انه أمين ، زال الوهم، وتبين المتلقى أنك ماض فى مدحك له على نهج بديع من الكلام •

وتسمية هذا اللون بتأكيد المدح بما يشبه الذم باعتبار الأعم الأغاب لانه يقع فى غير المدح والذم كما سترى فى بعض الأمثلة التى سنعرضها ، ومن هنا يحسن أن يسمى : تأكيد الشىء بما يشبه نقيضه (٢) •

وهذا الفن على ثلاثة أضرب :

الأول : أن يستثنى من صفة ذم منفية عن الشىء صفة مدح بتقدير دخولها فيها • كقول النابغة الذبيانى :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب

فنفى العيب عنهم ، ثم استثنى من ذلك صفة مدح على تقدير دخولها فى العيب ، وهى صفة الشجاعة ، التى يدل عليها ما بسيوفهم من آثار ضرب الخصوم ومقارعتهم فى الحروب ، ولما كان دخول

---

(١) انظر البديع ٦٢ ، والصناعتين ٣٢٤ ، والعمدة ٢/٤٨ •
(٢) انظر المطول ٤٣٩ •

الشجاعة فى العيب محالا كان ثبوت العيب فيهم محالا ، وبهذا تأكد مدحهم ، وخلوصهم من كل صفات العيب .

ومثله قول الشـــاعر :

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم
تعاب بنسـيان الأحبـة والوطن

فنفى عنهم العيب ، واستثنى منه صفة الكرم وهى صفة مدح ، بعد أن أوهم السامع أن المستثنى منه صـفة ذم ، كأنه قال لا عيب فى هؤلاء القوم الا هذا العيب وهو أنهم كرماء . ولما كان دخول الكرم فى العيب محالا كان ثبوت العيب لهؤلاء الخاطبين محالا كذلك .

وقد نسج كثير من الشعراء على هذا المنوال ، فقال ابن الرومى :

ليس به عيب ســـوى أنه
لا تقـع العين على شـبهه

فجعل انفراده بالحسن دون أن يكون له قرين فى ذلك عيبـا مستثنى من عموم العيوب التى نفاها ، ولما كان هذا الوصف ليس بعيب على الحقيقة فقد ثبت إتصافه بالحسن على نهج مؤكد .

وقال أبو هفـان :

ولا عيب فينا غير أن سماحنـا
أضر بنا ، والبأس من كل جانب
فأفنى الردى أرواحنا غير ظالم
وأفنى الندى أموالنا غير عائب

فاستثنى من العيب المنفى السماح والبأس ، فأوهم السامع أنهما من قبيل العيب ، ولكن دخولهما فى العيب محال ، فوجـود العيب فى هؤلاء القوم محال كذلك .

وقال ابن نباتة المصرى :

ليس فيه عيب سوى أن احسا
ن يديـه يستعبـد الأحـرار

فالصفة المستثناه ليست بعيب ، وهذا تأكيد لمدحه عن طريق يوهم الذم ، وبه يثبت نفى العيب عنه نفيا قاطعا .

ومن هذا الضرب قوله تعالى : « لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما ، الا قيلا سلاما سلاما » (٣) ، فقد نفى عنهم سماع اللغـو والتأثيم ، واستثنى من ذلك سماع السلام وهذا من قبيل تأكيد المدح بما يشـبه الذم ، لان فى كل من المنفى والمثبت مدح وتكريم لجماعة السابقين .

ونظيره قوله تعالى : « لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما » (٤) ، فسماع اللغو منفى منهم ، وسماع السلام ثابت لهم ، وكلاهما مدح وتكريم لأهل الجنة .

والذى ذكرناه فى الآيتين السابقتين هو الظاهر المتبادر وان أمكن تخريجهما على وجه آخـر (٥) .

ومنه قوله تعالى : « لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى » (٦) فالآية بشارة لاهل الجنة بخلودهم فيها ، حيث نفى عنهم ذوق الموت ، واستثناء الموتة الأولى من قبيل تأكيد الشىء بما يشبه ضده ، زيادة تحقيق انتفاء ذوق الموت عن أهل الجنة ، فكأنه قيل : لا يذوقون الموت البتة ، يعنى ان كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها فانهم يذوقونهـا ، لكنها ليست كذلك لمضى وقتها فى الدنيـا (٧) .

---

(٣) الواقعة آية ٢٥ ، ٢٦ .
(٤) مـريم آيـة ٦٢ .
(٥) انظر الايضاح ٧٦/٦ ، والمطول وحاشية السيد علية ٤٤١ .
(٦) الدخـان آيـة ٥٦ .
(٧) انظر التبيان ٣٩٢ ، والتحرير والتنوير ٣١٩/٢٥ .

وسر التأكيد فى هذا الضرب أمران :

١ — أنه كدعوى الشىء ببينة وبرهان ، حيث يستدل فيه على نفى العيب عن الممدوح بتعليق وجوده على المحال ، لان المتكلم علق ثبوت العيب الذى هو نقيض المدعى على كون استثنى عيبا ، وكونه عيبا محال ، والمعلق بالمحال محال ، فيكون ثبوت العيب محالا وبذلك يلزم ثبوت نقيضه وهو عدم العيب (٨) .

٢ — أن الأصل فى مطلق الاستثناء ان يكون متصلا ، بأن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه ، فاذا نطق المتكلم بأداة الاستثناء توهم السامع قبل ذكر ما بعدها أن ما يأتى بعدها مخرج مما قبلها فيكون شىء من الذم ثابتا ، فاذا جاء بعد الأداة صفة مدح وتحول الاستثناء من الاتصال الى الانقطاع جاء التأكيد ، لما فى الاستثناء من زيادة المدح على المدح ، والاشعار بأنه لم يجد صفة ذم يستثنيها ، فاضطر الى استثناء صفة مدح وتحويل الاستثناء الى الانقطاع (٩) .

يضاف الى ذلك ما فى الاسلوب من الخلابة والطرافة ، واشتماله على عنصر المفاجأة والمباغتة الذى يثير الانتباه ، ويوقظ الحس .

والثانى : أن يثبت لشىء صفة مدح ، وتعقب بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى له . كقول النبى صلى الله عليه وسلم : أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش (١٠) . فوصف نفسه بصفة من صفات المدح وهى الأفصحية ، ثم آتى بأداة الاستثناء ، وهذا يشعر بأنه أراد اثبات صفة أخرى مغايرة لما قبلها ، فلما أثبت أنه من قريش ، وقريش أفصح

---

(٨) أنظر حاشية الدسوقى ٣٨٨/٤ .

(٩) انظر مختصر السعد ومواهب الفتاح ٣٨٨/٤ ، ٣٨٩ .

(١٠) بيد هنا بمعنى غير الاستثنائية . وتأتى حرف تعليل بمعنى من أجل .

العرب كان ذلك تأكيدا للمدح ، حيث اصبح مدحا على مدح ، ومزيلا لما توهمه السامع ٠

ومن هذا قول النابغة الجعدي :

فتى كملت أخلاقه غير أنه
جواد فما يبقى من المال باقيا

فقد أثبت له كمال الاخلاق ، ثم استثنى فأوهم أنه سيثبت صفة مغايرة لما تقدم ، ولكنه اثبت صفة مدح أخرى وهي الجود ، فتأكد المدح بمدح آخر جاء على خلاف ما يتوقع السامع ٠

ومنه قول الشاعر :

يسعى به البرق الا أنه فرس
في صورة الموت الا أنه رجل

فالاستثناء في الشطرين يوهم أن المستثنى شيء معيب ، لكنه جاء على خلاف المتوهم ، فتأكد به المدح ٠

والضرب الأول أفضل من هذا الضرب قوة وتأكيدا ، لانه يفيد التأكيد من جهتين كما اسلفنا ، وهذا الضرب لا يفيده الا من جهة واحدة هي : أن ذكر أداة الاستثناء قبل ذكر المستثنى يوهم اخراج ما بعدها مما قبلها ، فاذا جاء على خلاف ذلك أفاد التأكيد ٠ ولا يفيد التأكيد من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة وبرهان كما في الضرب الأول ، وذلك لان مبنى الضرب الأول على اعتبار أن الأصل في الاستثناء الاتصال ، بخلاف هذا الضرب فان مبناه على اعتبار أن الأصل في الاستثناء الانقطاع ، فتقدير الاتصال هنا غير ممكن ، لعدم عموم الصفة الواقعة قبل الأداة ، فلا يتصور شمولها لما بعدها بخلاف الضرب الأول ، فان تقدير دخول ما بعد الأداة فيما قبلها ممكن لكونه من الصفات

العامة ، نحو : ولا عيب ... (١١) .

والثالث : أن يؤتى بمستثنى فيه معنى المدح معمولا لفعل فيه معنى الذم ويكون الاستثناء حينئذ مفرغا . ومنه قوله تعالى : « قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل من قبل » (١٢) ، فان الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ والانكار على ما عابوا به المؤمنين من الايمان يوهم بأن يأتى بعده ما يوجب أن ينقم على فاعله مما يذم به ، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنا المدح بما يشبه الذم (١٣) .

ومنه قوله تعالى : « وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا » (١٤) ، أى ما تعيب منا الا أصل المناقب والمفاخر كلها ، وهو الايمان بآيات الله عز وجل (١٥) . وهذا ليس بعيب ، فلا عيب فينا يستوجب النقمة .

ومن هذا قوله تعالى : « وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » (١٦) ، وقوله تعالى : « وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » (١٧) ، وقوله تعالى : « الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » (١٨) ، أى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى أن يكون موجب التمكين والاقرار لا موجب الاخراج والتسيير (١٩) .

---

(١١) البديع فى ضوء اساليب القرآن ٨٥ . وانظر مواهب الفتاح ٣٩٢/٤ .
(١٢) المائدة آية ٥٩ .
(١٣) بديع القرآن ٥٠ .
(١٤) الأعراف آية ١٢٦ .
(١٥) الكشاف ١٠٤/٢ .
(١٦) البروج آية ٨ .
(١٧) التوبة آية ٧٤ .
(١٨) الحج آية ٤٠ .
(١٩) الكشاف ١٦/٣ .

والتأكيد فى هذا الضرب من الوجهين المذكورين فى الضرب الأول ، وذلك أنه كدعوى الشىء ببينة ودليل ، لان الشىء فيه معلق على محال فيكون محالا ، ولان فيه اشعارا بطلب ذم وعيب فلم يجده فاستثنى المـــدح (٢٠) .

والاستدراك يجرى مجرى الاستثناء فى باب تأكيد المدح بما يشبه الذم ، لانهما من واد واحد ، اذ كل منهما لاخراج ما هو بصدد الدخول فى شىء وهما أو حقيقة (٢١) ، فانك اذا قلت : زيد شجاع لكنه قليل الحيلة ، فقد أخرجت صفة يتوهم أنها داخلة فى الشجاعة ، مثلما نقول: جاء الطلاب الا زيدا ، فتخرج زيدا من مجىء الطلاب .

وعلى هذا فاذا جئت بصفة مدح أو نحوها ثم جئت بعدها بأداة استدراك توهم السامع أن ما بعد أداة الاستدراك مخرج من الصـــفة الأولى وليس من قبيلها ، فاذا جاء على نمطها وشاكلتها تأكد المدح بمدح آخر . مثال ذلك أن تقول : صديقى بحر فى العلم لكنه جبل فى الحلم ، فقد أوهمت بالاستدراك أنك ستذكر عيبا فى صديقك ، لكنك ذكرت مدحا آخر ، فأكدت مدحك الأول بمدح ثان .

ومن هذا قول بديع الزمان الهمذانى :

هو البدر الا أنه البحر زاخـــر
سوى أنه الضرغام ، لكنـــه الوبل

فالاستدراك بلكن يجرى مجرى الاستثناء بالا وســـوى ، وعلى هذا فالاستثناءان والاستدراك فى هذا البيت من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم ، وهو من الضرب لثانى ، لان الشاعر أثبت صفة مدح ثم عقبها بأداة استثناء جاء بعدها صفة مدح أخرى ، لذا جعلوا التأكيـــد

---

(٢٠) مواهب الفتاح ٤/٣٩٤ .
(٢١) انظـــر الســــابق .

فيه من الوجه الذى ذكروه فى الضرب الثانى ، وهو أنه مشعر بطلب استدراك ذم ، فلم يجده فاضطر الى استدراك مدح ، فكان كلامه مدحا على مدح •

ومثله قول ابن قلاقس :

هو الثغر الا أنه الفجر طالعا
على أنه الكافور لكنه البدر

ومثله قول السرى الرفاء :

أما ترى الثلج قد خاطت أناماه
ثوبا يزر على الدنيا بأزرار
نار ولكنها ليست بمبدية
نورا ، وماء ولكن ليس بالجارى

تأكيد الذم بما يشبه المدح

وهذا اللون عكس سابقه ، وماض على منواله فى التقسيم والفائدة ، فهو على أقسام ثلاثة :

الأول : أن يستثنى من صفة مدح منفية عن الشىء صفة ذم ثابتة له بتقدير دخولها فى صفة المدح المنفية • كقولك : فلان لا خير فيه الا أنه يسىء الى من أحسن اليه ، فنفيت عنه الخيرية ، ثم استثنيت صفة ذم أخرى وهى اساءته الى من أحسن اليه ، ولما كانت الاساءة للمحسن لا تدخل فى باب الخير بحال من الأحوال كان وجود الخير فيه محالا • والتأكيد فيه حاصل من وجهين : وذلك لانه كدعوى الشىء ببينة ، حيث يعلق وجود الشىء على محال • ولان الاستثناء يشعر بأن المتكلم طلب

صفة مدح مغايرة للذم السابق ، فلما لم يجدها استثنى ذما ، فجاء الكلام ذما على ذم على وجه أبلغ (٢٢) .

ومن هـذا قول الشاعر :

فان من لامنى لا خير فيه سوى
وصفى له بأخس الناس كلهم

فنفى الخير عمن لامه ، وأتى بالاستثناء موهما أن فيه صفة خير، ولكنه أتى بصفة سوء وذم تؤكد عدم خيريته ، فأكد ذمه بذم آخر .

ومثاله قول الآخر :

وظن السوء لا يأتى بنفع
سوى اشعال نار البغض فينا

فنفى عن ظن السوء أى نفع ، الا صفة يتوهم السامع فى بادىء الأمر أن فيها نفعا ، وهى اشعال نار البغض ، ولما كان وجود النفع فى هذه الصفة محالا كان وجود النفع فى ظن السوء محالا ، وبهـذا تأكد ذمه .

ومن هـذا قول الشاعر :

خلا من الفضل غير أنى
أراه فى الحمق لا يجارى

فذمه أولا بخلوه من الفضل ، وأكد ذمه بالحمق على نهج لطيف كما أوضحنا فى الأمثلة السابقة .

والثانى : أن يثبت للشىء صفة ذم ، وتعقب بأداة استثناء تليها

---

(٢٢) انظر مواهب الفتاح ، وحاشية الدسوقى ٣٩٦/٤ .

صفة ذم أخرى • كقولك : اللص خائن الا أنه جاهل • فوصفته أولا بالخيانة ، وأتيت بأداة الاستثناء فأشعرت السامع أنك ستثبت له صفة مدح بعدها ، ولكنك أثبت له صفة ذم ، فأكدت ذمك الأول له بذم آخر على نمط بليغ •

ومنه قول القـــائل :

هو الكلب الا أن فيـــه ملالة
وسوء مراعاة وما ذاك فى الكلب

فذمه أولا بأنه الكلب لؤما وخسة ، ثم ذمه بعد أداة الاستثناء بما ليس فى الكلب من صفات الذم ، فأنزله دركا سحيقا • والتأكيد فى هذا الضرب من وجه واحد وهو أن الاستثناء مشعر بمجىء صفة مدح فتأتى صفة ذم ، وبذلك يتأكد الذم بذم آخر على وجه دقيق • ومنـــه قول الآخـــــر :

لئيم الطبـــاع ســـوى أنه
جبـــان يهـــون عليـــه الهـوان

فذمه باللؤم ثم استثنى فأوهم أن فيه صفة مدح ولكن وصـــفه بالجبن فأكد بذلك ذمه الأول •

والثالث : أن يؤتى بمستثنى فيه معنى الذم معمولا لفعل فيه معنى المدح ، ويكون الاستثناء حينئذ مفرغا • كقولك : لا يستحسن منه الا جهله ، ولا يحمد منه الا لؤمه • ولا يشكر منه الا انكاره المعـــروف • فالاستثناء فى كل هذا مفرغ ، والعامل صفة مدح منفية ، والمستثنى صفة ذم وبها يتأكد ذمه على نهج بليغ • والتأكيد فى هذا الضرب يأتى من وجهين كالضرب الأول •

والاستدراك فى هذا الباب كالاستثناء كما مر بك فى الباب السابق ، ومنه قول الشـــاعر :

يا رسولا أعداؤه أراذل النا
س جميعا لكنهم فى الجحيم

فأثبت لهم صفة ذم ثم استدرك بصفة ذم أخرى ، وهو من الضرب الثانى •

وزاد بعضهم ضربا رابعا هو : أن يؤتى بصفة ذم مثبتة ثم بصفة بعدها توهم رفع صفة الذم ، ثم يعلق بها ما يبين أنها ذم ، فتكون ذما بعد ذم كقولك : رأيت عنق زيد عاطلا فحليته بالصفع • فأثبت صفة ذم وهى كونه عاطلا ، ثم اثبت تحليته فأوهمت رفع الذم ، فلما قلت : بالصفع تبين أن هذه التحلية ذم آخر أكد الأول • ومنه قول الشاعر :

يا زاعما أنك لى ناصح
انى بهذا غير مغرور
لما بدا قبح الذى قلته
حسنت ذاك القول بالزور

والشاهد فى البيت الثانى ، حيث ذمه أولا بقبح قوله ، ثم أثبت تحسينه ، فأوهم زوال الذم ، ثم بين أن هذا التحسين نابع من قول الزور ، فبين أنه ذم آخر تأكد به الذم الأول • وهذا الضرب أبلغ فى الذم لما فيه من التهكم والاستهزاء (٢٣) •

بلاغة تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه :

علمت من خلال حديثنا عن ضروب هذين اللونين ما فيهما من تأكيد وتقوية فى اثبات المراد مدحا أو ذما أو غيرهما • وتبينت السر فى افادتهما التأكيد ، فبعض ضروبهما يفيد التأكيد من ناحيتين : أنه اثبات الشىء ببينة وبرهان ، بتعليق وجوده على المحال ، وأن النطق بأداة الاستثناء

(٢٣) شرح عقود الجمان ٢/١٢٦ ، ١٢٧ •

يوهم أن ما بعدها مخرج مما قبلها ، ولكنه هنا يأتى من جنســه ، لذا يكون مؤكدا ومقررا له ، فان كان مدحا تأكد المدح ، وان كان ذما تأكد الذم ، وبعض ضروبهما يفيد التأكيد من ناحية الاستثناء ، وعلى كل ففى الاسلوبين تأكيد وتقوية .

وفى هذين اللونين البديعيين طرف من الخداع والخلابة،ومشتملان على عنصر المفاجأة والمباغتة ، فتأتى النتيجة فيهما غير متوقعة ، وعلى خلاف ما تفيده المقدمات ، وهــذا يثير الفكر ، ويوقظ العقل ، ويشوق النفس ، ويدفع الى التأمل والتدبر ، والاندماج فى خبايا الاســلوب لكشف الحقيقة .

واللونان يساعدان على ربط الكلام ، ويعملان على تقوية أواصر العلاقة بين مفرداته من خلال الاستثناء الذى يجعل ما قبله شــديد الصلة بما بعده ، اذ بهما تكتمل الفائدة ، ويتحدد المراد .

واذا كان عنوان هذين اللونين يوحى بقصرهما على معانى المدح والذم الا أن التحقيق يبين عدم اقتصارهما على ذلك ، فيأتيان فى كافة المعانى ، وقد نبه العلامة التفتازانى على هذا الأمر الدقيق ، فذكر أن هذه التسمية جارية على الأعم الأغلب ، والا فقد يكون ذلك فى غير المدح والذم ، ويكون من محسنات الكلام كقوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف » (٢٤) ، يعنى ان أمكن لكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه ، فلا يحل لكم غيره ، وذلك غير ممكن ، والغرض المبالغة فى تحريمه (٢٥) .

وبناء على هذا اختار التفتازانى أن يسمى تأكيد الشىء بما يشبه

---

(٢٤) النســاء آيــة ٢٢ .
(٢٥) المطــول ٤٣٩ .

نقيضه ، وهى تسمية جديرة بالقبول ، لانها تجمع اللونين تحت عنوان واحد ، تنضوى تحته معانى المدح والذم وغيرها .

ومن حديث البلاغيين عن هذين اللونين نراهم جعلوا الاستثناء عنصرا أساسيا فيهما ، الا أنه لا مانع من مجيئهما بغير أداة استثناء ، وقد مثل بعضهم لتأكيد الذم بما يشبه المدح بقول ابن أبى الاصبع (٢٦):

خير ما فيهم ولا خير فيهم
انهم غير مؤثمى المغتاب

فنفى عنهم الخير وأثبت لهم صفة بادعاء أنها خير ، وهى أنهم لا ينكرون على من عاب أحدا فى مجالسهم ولا يمنعونه عن ذلك ، وهى صفة لا خير فيها كذلك وبها تأكد ذمهم .

ويمكن أن يأتى هذا فى تأكيد المدح بما يشبه الذم كأن تقول : شر ما فيه ولا شر فيه كرمه الزائد . أو تقول : أعيب فيه ولا عيب فيه صفحه عن المسىء . وبهذا تتسع دائرة التعبير فى هذا الفن الخلاب .

* * *

(٢٦) انظر الطراز ، وشرح عقود الجمان ٢/١٢٦ .

الجنـــــــاس

ويسمى المجانسة ، والتجنيس ، والتجانس • وهو مصدر جانس الدال على المشابهة والمشاكلة • وأقرب تعريف له عند البلاغيين : هـــو التشابه فى اللفظ مع الاختلاف فى المعنى • والجناس من الألوان التى عرفها البحث البلاغى فى خطواته الأولى ، فذكره الخليل بن أحمد ، وألف الأصمعى كتاب الأجناس (١) ، وتحدث عنه ابن المعتز ضمن أبواب البديع الخمسة التى ذكرها وعرفه بقوله : أن تجىء الكلمـــة تجانس أخرى فى بيت شعر وكلام ، ومجانستها لهــــا أن تشبهها فى تأليف حروفها ، وضرب له أمثلة كثيرة (٢) • وتواصل حديث البلاغيين عنه حتى قل أن يخلو كتاب قديم من الحديث عنه •

وللجناس أقسام مختلفة اليك بيانها :

ينقسم الجناس بداية الى قسمين : تام ، وغير تام •

أولا ــ الجناس التـــــام :

وهو ما اتفق فيه اللفظان فى نوع الحروف ، وعددها ، وهيئتها ، وترتيبها • ومنه قوله تعالى : « ويوم تقوم الساعة يقسم المجــرمون ما لبثوا غير ساعة » (٣) ، فقد اتفق لفظا « ساعة » فى الآية الكريمة فى نوع الحروف ، وعددها ، وهيئتها ، وترتيبها ، واختلفـــا فى المعنى • فالساعة الأولى بمعنى « القيامة » ، والثانية : الساعة الزمنية •

والجناس التام على ثلاثة أنواع : المماثل ، والمستوفى ، والمركب •

---

(١) البــــديع ٢٥ •
(٢) البــــديع ٢٥ ــ ٣٥ •
(٣) الــــروم آيـــة ٥٥ •

فالماثل : أن يتفق اللفظان فى نوع الكلمة بأن يكونا أسـمين ، أو فعلين ، أو حرفين ، فمثال الجناس بين اسمين الآية الكريمة السابقة، ومنه قوله تعالى : « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار »(٤) • فالأبصـار الأولى : الأنظار ، والأبصار الثانية : العقول •

ومنه قول الشـاعر :

حـدق الآجـال آجـال   والهـوى للمـرء قتـال

فالآجال الأولى جمع اجل بكسر فسكون وهو القطيع من البقـر الوحشى والثانية جمع أجل بفتح الهمزة والجيم وهو منتهى العمر •

والمراد أن عيون النساء الشبيهة بعيون البقر الوحشى جالبات للمـوت •

ومنه قول أبى تمـام :

اذا الخيل جابت قسطل الحرب صدعوا
صدور العوالى فى صـدور الكتائب (٥)

والجناس بين لفظى : صدور ، وصدور ، فالأول بمعنى : أعالى ، والثانى بمعنى : نحور • والمعنى : اذا الخيل دخلت غبار الحرب أمال المحاربون أعالى الرماح فى نحور الكتائب المعادية •

ومثال الجناس بين فعلين قولك : الجندى يضرب فى البيداء فلا يضل ، ويضرب فى الهيجـاء فلا يكل • فيضرب الأولى بمعنى يقطع ويسير ، والثانية بمعنى يحمل على الأعداء • ومنه قولك : لما قال لديهم قال لهم • فالأول من القيلولة ، والثانى من القول •

---

(٤) النـور آيـة ٤٣ ، ٤٤ .
(٥) قسطل الحرب : غبارها ، صدعوا : أمالوا . صدور العوالى : أعالى الرماح . صدور الكتائب : نحورها .

ومنه قول الشاعر :

يا اخوتى منذ بانت النجب
وجب الفؤاد وكان لا يجب
فارقتكم وبقيت بعدكم
ما هكذا كان الذى يجب

والجناس بين يجب ويجب ، فالأولى بمعنى يضرب ويخفق ، والثانية بمعنى يلزم •

ومنه قول الشاعر فى ذم من يتعاطى قون الشعر وليس بشاعر :

والمعدمون من الابداع قد كثروا
وهم قليلون ان عدوا وان حصروا
قوم لو انهم ارتاضوا لما قرضوا
أو أنهم شعروا بالنقص ما شعروا

والجناس بين شعروا وشعروا ، فالأولى بمعنى : أحسوا ، والثانية بمعنى لم يقولوا الشعر •

والجناس بين حرفين مختلف فى وروده ، فبعضهم يرى أنه لا يمكن تصوره لان الحروف معلومة الصيغ مضبوطة ، فلا يتفق ورود كلمتين من الحروف قد تساوت حروفهما وصيغتاهما مع الاختلاف فى المعنى (٦)•

وبعضهم يرى امكان وجوده بين معانى الحرف الواحد ، حيث ان الحرف الواحد يأتى بمعان متعددة ومنه قولهم : قد يجود الكريم وقد يعثر الجواد ، فان قد الأولى للتكثير ، والثانية للتقليل ، ومنه قولهم تذرع بالصبر تظفر به ، فالباء الأولى للتعدية ، والثانية للسببية •

---

(٦) جنان الجناس ٢١ •

وعلى كل فهذه الصورة من الجناس لا ضرورة لها ، فأمثلتها نادرة ومتكلفة غالبا .

والمستوفى : أن يختلف اللفظان فى نوع الكلمة بأن يكون أحدهما اسما والآخر فعلا أو أحدهما حرفا والآخر اسما أو فعلا .

فمثال الاسم مع الفعل قول أبى تمام :

ما مات من كرم الزمان فانه
يحيا لدى يحيى بن عبد الله

فيحيا : فعل مضارع ، ويحيى : اسم الممدوح .

ومثله قول الآخر :

وسميته يحيى ليحيا فلم يكن
الى رد أمر الله فيه سبيل

ومنه قول الغزى :

لو زارنا طيف ذات الخال أحيانا
ونحن فى حفر الأجداث أحيانا

ومنه قول الآخر :

دهرنا أمسى ضنينا باللقا حتى ضنينا
يا ليالى الوصل عودى واجمعينا اجمعينا

ومثال الفعل مع الحرف قولك : علا محمد صلى الله عليه وسلم على جميع الأنام . فعلا : فعل ماض بمعنى ارتفع ، وعلى : حرف جر .

ومنه قول الشاعر :

ولو أن وصلا عللوه بقربه
لما أن من حمل الصبابة والجوى

فان الأولى : حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر . وأن الثانية : فعل ماض من الأنين . ومثال الاسم مع الحرف قوله صلى الله عليه وسلم : انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله تعالى الا أجرت بها حتى ما تجعل فى فـــى امرأتك .. ففى الأولى حرف جر ، والثانية اســـم بمعنى الفـــــم .

وهذا النوع والذى قبله من الأنواع النادرة فى الاساليب الادبية.

والمركب : أن يكون كلا اللفظين أو أحدهما مركبا ويسمى جناس التركيب . وهو على قســمين :

١ ــ أن يكون أحد االفظين مركبــا .

٢ ــ أن يكون اللفظـــان مركبــين .

القسم الأول : ما كان أحد اللفظين مركبا وهو على ثلاثة أنواع مرفو ، ومتشـــابه ، ومفـــروق .

فالمرفو : ما كان اللفظ المركب فيه مركبا من كلمة وجزء كلمة . كما فى قول الحريرى :

ولا تله عن تذكـــار ذنبك وابكه
بدمع يحاكى الوبل حال مصـــابه
ومثل لعينـــك الحمـــام ووقعــه
وروعـــة ملقـــاة ومطعم صـــابه

والجناس بين : مصابه فى نهاية ابيتين ، والأول لفظ مفرد ، من صاب المطر اذا انصب ، والثانى لفظ مركب من الميـــم فى نهاية لفظ « مطعم » وصاب وهو شجر مر شديد المرارة .

والمتشابه : ما كان اللفظ المركب فيه مركبا من كلمتين مع تشابه اللفظين فى الخط ، كما فى قول الشاعر :

اذا ملك لم يكن ذاهبـــة
فدعـــه فدولتـــه ذاهبـــة

فاللفظ الأول مركب من كلمتين هما : ذا بمعنى صاحب و « هبه » بمعنى عطاء ، واللفظ الثانى مفرد وهو اسم فاعل من ذهب وهمـــا متشابهان فى الخط •

والمفروق : ما كان اللفظ المركب فيه مركبا من كلمتين مع اختلاف اللفظين فى الخط كما فى قول الشـــاعر :

كلكم قد أخــذ الجـــا م ولا جـــام لنـــا
ما الذى ضر مديــر الــ جـام لو جاملنــــا

فلفظ « جام لنا » فى البيت الأول مركب من كلمتين : « جام » بمعنى كأس ، و « لنا » جار ومجرور ولفظ « جاملنا » فى البيت الثانى مفرد وهو فعل ماض من المجاملة واللفظان مختلفان فى الخط • ومدير الجام هو الســـاقى .

ومنه قول الشـــاعر :

لا تعرض على الرواة قصـــيدة
ما لم تكن بالغت فى تهذيبهـــا
فاذا عرضت الشعر غير مهذب
عدوه منك وساوسا تهذى بهـــا

فلفظ « تهذيبها » فى البيت الأول مفرد ، وهو مصدر هذب والضمير مضاف اليه بمثابة جزء منه • ولفظ « تهذى بها » فى البيت الثـــانى مركب من كلمتين « تهذى » فعل مضارع من الهذيان و « بها » جـــار ومجرور وقد اختلف اللفظان فى الخط •

والقسم الثانى من المركب : هو ما كان اللفظان مركبين من كلمتين أو كلمة وبعض كلمة أخرى ويسمى هذا النوع : الملفق .

والجناس الملفق على ضربين :

١ — ملفق موافق وهو ما توافق طرفاه فى الخط مع كونهما مركبين كقـــول الشـــاعر :

وليت الحكم خمسـا بعد خمس
لعمـرى والصبـا فى العنفوان
فلم تضع الأعادى قدر شانى
ولا قالـوا فلان قد رشـانى

فقوله : « قدر شانى » الأول مركب من القدر والشأن ، والثانى مركب من « قد » والفعل الماضى « رشى » من الرشوة وهما متفقان فى الخط .

٢ — ملفق مفارق : وهو ما اختلف طرفاه فى الخط مع كونهمـا مركبين كقـــول الشـــاعر :

خبروها بأنه ما تصـــدى لسلوعنها ولو مات صـــدا

فقوله : « ما تصدى » مركب من « ما » النافية والفعل الماضى « تصدى » بمعنى تعرض ، و « مات صدا » مركب من « مات » وهو فعل ماض و « صدا » وهو اسم ، وهما مختلفان فى الخط .

وبهذا ينتهى حديثنا عن الجناس التام وأقسامه .

ثانيا — الجناس غير التام .

هو ما اختلف فيه اللفظان فى نوع الحروف ، أو عددها ، أو هيئتها، أو ترتيبها . وعلى هذا فله أربعة أحوال :

١ ـ الاختلاف فى نوع الحروف :

اذا اختلف الاغظان فى نوع الحروف كان الجناس على نوعين : مضارع ولاحق .

فالمضارع : ما كان فيه الحرفان المختلفان متقاربين فى المخرج سواء أكانا فى أول اللفظ أو فى وسطه أو فى آخره .

فالأول كقول الحريرى : بينى وبين كنى ليل دامس ، وطريق طامس (٧) ، فالدال فى دامس والطاء فى طامس متقاربتان فى المخرج لانهما خارجتان من اللسان .

والثانى كقوله تعالى : « وهم ينهون عنه وينأون عنه » (٨) ، فالهاء فى ينهون ، والهمزة فى ينأون من الحروف الحلقية .

والثالث كقول النبى صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير » فاللام فى الخيل والراء فى الخير يخرجان من اللسان .

ومنه قول الشاعر :

وأطعن للقرن يوم الوغى
وأطعم فى الزمن الماحل

فجانس بين أطعن وأطعم ، وهما صيغتا تفضيل على أفعل ، والنون والميم متقاربان فى المخرج (٩) .

---

(٧) الكن بكسر الكاف : المنزل ، ودامس : مظلم ، وطامس : دارس، شرح المقامات ٢/٨٧ .
(٨) الأنعام آية ٢٦ .
(٩) البديع من المعانى والألفاظ ١١٩ .

واللاحق : ما كان فيه الحرفان المختلفان متباعدين فى المخـرج سواء أكانا فى أول اللفظ أو فى وسطه أو فى آخره •

فالأول كقوله تعالى « ويل لكل همزة لمزة » (١٠) ، فالهاء واللام متباعدتان فى المخرج فالأولى حلقية والثانية لسانية •

ومنه قـول الشـاعر :

هل للفتى من بنات الدهر من واق
أم هل له من حمـام الموت من راق

فالواو فى « واق » والراء فى « راق » متباعدتان فى المخرج •

والثانى كقوله تعالى : « وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد » (١١) ، فبين الهاء فى « شهيد » والدال فى « شديد » تباعد فى المخرج • والثالث كقوله تعالى : « واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به » (١٢) ، فبين الراء فى « أمر » والنون فى » أمن « تبـاعد فى المخـرج •

ومنه قول البحترى :

هل لما فـات من تلاق تلاف
أم لشـاك من الصبابة شاف

فبين القاف فى « تلاق » والفاء من « تلاف » تباعد فى المخرج •

٢ ــ الاختلاف فى عدد الحروف :

اذا اختلف اللفظـان فى عـدد الحـروف سـمى « الجنـاس الناقص » لنقصان أحد اللفظين عن الآخر ويكون ذلك على وجهين :

(١٠) الهمـزة آيـة ١ .
(١١) العـاديات آية ٧ ، ٨ .
(١٢) النسـاء آيـة ٨٣ .

أحدهما : أن يختلفا بزيادة حرف واحد ، وهذا الحرف قد يكون فى أول الكلمة كقوله تعالى : « والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق » (١٣) ، فبين الساق والمساق جناس ناقص بزيادة الميم فى أول كلمة « المســـــاق » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « الايمان يمان » فالاختلاف بينهما بزيادة الهمزة فى أول الكلمة الأولى .

وقد سمى بعضهم هذا النوع : « المردوف » لان حرف الزيادة مردوف بمـــا وقع فيه التجانس (١٤) ، وأصحاب البديعيات يســـمونه « المطـــرف » (١٥) .

وقد يكون الحرف الزائد فى وسط الكلمة كقوله صلى الله عليـــه وسلم : « الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة » ، وقوله صلى الله عليه وســـلم : « ما أنزل الله داء الا أنزل له دواء » ، وكقولهم : جدى جهدى ، ويسمى هذا النوع « المكتنف » لان حـــرف الزيادة فيه مكتنف أى متوسط بين ما اكتنفاه (١٦) .

وقد يكون الحرف الزائد فى آخر الكلمة وسماه الخطيب «المطرف» ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « من أوى ضالة فهو ضال » .

ومنه قـــول أبى تمـــام :

يمدون من أيد عواص عواصـــم
تصول بأسياف قواض قواضب (١٧)

---

(١٣) القيـــــامة آية ٢٩ ، ٣٠ .
(١٤) شرح عقود الجمان ٢/١٦٤ .
(١٥) خزانة الأدب ١/٨٤١ .
(١٦) شرح عقود الجمان ٢/١٧١ .
(١٧) عواص : جمع عاصية من عصاه اذا ضربه بالعصـــا ، أى : ضاربات بالعصا والمراد بها هنا السيف ، وعواصم من عصمه حفظه وحماه

وقـــول البحتـــــــــرى :

لئن صدفت عنـــا فربت أنفس
صواد الى تلك النفوس الصوادف

وقول كعب بن زهيـــــر :

ولقد علمت وأنت خيـــر عليمـــة
ألا يقـــربنى الهـــوى لهـوان

وثانيهما : أن يختلفا بزيادة أكثر من حرف .

وهذه الزيادة قد تكون فى أول الكلمة ويسمى « المتوج » ومنـــه قوله صلى الله عليه سلم : « فى الحبة السوداء الشـــفاء من كل داء » وقوله صلى الله عليه وسلم : « ضع بصرك موضع سجودك » .

ومنه قـــول البســـتى :

أبا العبـــــاس لا تحسب بأنى
بشىء من حلى الأشعار عـــارى
فلى طبـــع كسلســـال معـــين
زلال من ذرى الأحجار جـــارى

والجناس بين « أحجار ، وجار » .

وقد تكون الزيادة فى وسط الكلمة ويسمى « الزائد » ومنه قولهم بناء المساجد مجد خالد .

= أى : حاميات للأولياء ، وقواض : قواتل ، وقواضب : قاطعة ، جمع قاضبة من قضبه اذا قطعه . والمعنى : يمدون أيديا ضـــاربات للأعداء ، حاميات للأولياء ، صائلات بسيوف قاتلة قاطعة .

وقد تكون الزيادة فى آخر الكلمة وهو كثير فى الاساليب الأدبية ويسمى « المذيل » ومنه قول الخنساء :

ان البـــكاء هو الشـــفا ء من الجـوى بين الجوانح

وقول حسان بن ثابت :

وكنا متى يغـــز النبى قبيـــلة
نصل جانبيه بالقنا والقنـــابل (١٨)

ومنه قـــول الشـــاعر :

فيالك من حزم وعزم طواهمـــا
جديد الردى تحت الصفا والصفائح

ومنه قـــول النابغـــة :

لها نار جن بعـــد انس تحولوا
وزال بهم صرف النوى والنوائب

ووجه الحسن فى « المذيل » وما سماه الخطيب « المطرف » أن السامع يتوهم قبل سماع آخر الكلمة التى فيها الزيادة أنها هى الكلمة التى مضت وقد جاء بها المتكلم للتأكيد ولكنه بعد أن ترد عليه ويتمكن آخرها فى نفسه ويعيه سمعه ينصرف عنه هذا التوهم ويعرف أنه قد حصل على فائدة جديدة ومعنى لم يرد عليه فيتمكن فى نفسه فضـــل تمكن : ومن ثم كان هذان اللونان من أهم صور الجناس .

---

(١٨) القنابل جمع قنبلة بفتح القاف وهى الطائفة من الخيـــل ومن الناس ، والمعنى : عندما يغزو النبى جماعة نلتف حوله بخيلنا وسلاحنا ذائدين مدافعين . شرح ديوان حسان ٣٦٨ .

٣ — الاختلاف فى هيئة الحروف :

اذا اختلفت اللفظان فى هيئة الحروف كان الجناس على نوعين محرف ومصحف .

فالمحرف : ما اختلف فيه اللفظان فى الحركات والسكنات ، كقوله تعالى : « ولقد أرسلنا فيهم منذرين ، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين » (١٩) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ان الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف » ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « ما حسن الله خلق رجل ولا خلقه فتطعمه النار » .

ومنه قولهم : البدعة شرك الشرك .

ومنه قول أبى تمام :

عن الحمام فان كسرت عيافة
من حائهن فانهن حمام (٢٠)

ومنه قول أبى العلاء :

والحسن يظهر فى شيئين رونقه
بيت من الشعر أو بيت من الشعر

واختلاف الحروف بالتخفيف والتشديد يدخل فى هذا القسم وذلك كقولهم : الجاهل اما مفرط أو مفرط .

ولا اعتبار باختلاف الحرف الأخير فى حركات الاعراب بسبب العوامل وانما المعتبر حركة ما قبل الحرف الأخير من حروف .

---

(١٩) الصافات آية ٧٢ ، ٧٣ .

(٢٠) عيافة : من قولهم : عفت الطير أعيفها عيافة : زجرتها ، وكانوا يتفاءلون أو يتشاءمون على حسب الأماكن والاتجاهات التى تطير اليها .

والمصحف : ما اختلف فيه اللفظان فى نقط الحـروف ، وبعضهم يسميه جناس الخط ، ومنه قوله تعالى : « والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين » والجناس بين : يسقين ويشفين •

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » ، والجناس المصحف هنا بين : يسروا وبشروا •

ومنه قول على كرم الله وجهه : قصر ثوبك فانه أتقى وأنقى وأبقى•

ومنه قـول الشـاعر :

من بحـر جـودك أغترف وبفيض علمـك اعتـرف

ومنه قول البحتـرى :

ولم يكن المغتـر بالله اذ سرى
ليعجز والمعتـز بالله طالبـه

ويرجع بعض الباحثين جناس التصحيف الى جناس المضـارعة وذلك لان اختلاف الحروف فى النقط ناتج من اختلافها فى النوع (٢١) •

ولنا فى هذا نظر نوضحه فنقول : إن الجناس المصحف يرجع الى المضارع اذا تقاربت الحروف المختلفة فى المخرج ويرجع الى اللاحق اذا تباعدت فى المخـرج •

ومع هذا فبينهما فرق يتضح فيما يلى :

أن المضارع واللاحق يتحققان باختلاف نوع الحرفين فقط دون نظر الى مسألة النقط •

---

(٢١) ينظر البديع من المعانى والألفاظ ١١٣ •

ومن ثم يوجد المضارع أو اللاحق والحرفان المختلفان منقوطان كقول الحريرى : لا أعطى زمامى لمن يحفز ذمامى فالاختلاف فى الزاى والذال وهما منقوطان .

ويوجدان والحرفان غير منقوطين كقوله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة » . فالاختلاف فى اللام والراء وهما غير منقوطين .

ويوجدان والحرفان مختلفان كقوله تعالى : « ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون » (٢٢) ، فالجناس بين تفرحون وتمرحون وهما مختلفان فى الفاء والميم وأولهما منقوط وثانيهما غير منقوط .

أما الجناس المصحف فيتحقق بالاختلاف فى النقط مع لزوم التشابه فى الرسم بحيث اذا زال النقط اتحدت صورة الحرفين .

ومن ثم فلا يأتى المصحف الا فى الحروف التى يتشابه رسمها وتختلف من حيث النقط فقط كالدال والذال والزاى والراء ، والسين والشين ، والصاد والضاد ، والعين والغين وهكذا .

وعلى هذا فالجناس المصحف أخص من المضارع واللاحق .

٤ — الاختلاف فى ترتيب الحروف :

اذا اختلف اللفظان فى ترتيب الحروف سمى : جناس القلب ، وهو على نوعين :

الأول : قلب الكل وهو ما اختلف فيه ترتيب كل الحروف كقولهم حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه ومنه قول الشاعر :

---

(٢٢) غافر آية ٧٥ .

حسامك فيـه للأحبـاب فتـح
ورمحك فيـه للأعـداء حتف

ومنه قـول الشـاعر :

ساق يرينى قلبـه قسـوة وكل سـاق قلبـه قاس

فالجناس بين ساق وقاس ، وهذا قلب للكل .

وفى لفظ « قلبه » تورية ومعناه القريب : قلب الانسان وهو غير مراد ومعناه البعيد قلب حروف كلمة ساق وبذلك تصبح قاس وهـذا هـو المـراد .

والثانى : قلب بعض الحروف وهو ما اختلف فيـه ترتيب بعض الحروف ، كما فى قوله تعـالى : « فرقت بين بنى اسرائيل » (٢٣) ، والجناس فى : بين بنى وهما مختلفان فى ترتيب بعض الحروف .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اسـتر عوراتنا وآمن روعاتنـا » .

ومنه قـول المتنبى :

منعمـة ممنعـة رداح يكلف لفظها الطير الوقوعا

ومنه قول عبد الله بن رواحة يمدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

تحمـله الناقة الأدماء معتجـرا
بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

---

(٢٣) طـه آيـة ٩٤ .

أنواع أخرى من الجنـــاس :

١ ــ الجناس المزدوج :

وهو ما توالى فيه المتجانسان ويسمى المكرر والمردد . كقـوله تعالى : « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » (٢٤) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : « المؤمنون هينون لينون » .

ومنه قول البحتـرى :

من كل ساجى الطرف أغيد أجيد
ومهفهف الكشحين أحـوى أحور

ومنه قولهم : من جد وجد ، ومن لج ولج .

٢ ــ الجناس المجنح :

وجعله الخطيب نوعا من جناس القلب وسماه المقلوب المجنح : وهو أن يقع أحد المتجانسين جنـاس القلب فى أول البيت والآخر فى آخـــره .

ومنـه قـول الشـاعر :

لاح أنـــوار الهـــدى من كفــه فى كل حـــال

والجناس بين « لاح و حال » .

ومنه قــول الشــاعر :

رضت بـفــؤادى غــادة ما كنت أحسبهـا تضـر
ردت رســولى خائبـــا فمدامعـى أبـــدا تــدر

(٢٤) النمـــل آيـــة ٢٢ .

والجناس فى البيت الأول بين : « رضت و تضر » وفى البيت الثانى بين « ردت و تدر » •

واعترض البهاء السبكى على تخصيص الخطيب هذا النوع بجناس القلب وتسميته له : المقلوب المجنح • وقال : ان تسميته مقلوبا لكونه جناس قلب وتسميته مجنحا لكون كلمتى الجناس فيه واقعتين فى جناحى البيت فلا بدع أن يسمى الجناس التام وغيره من الأقسام السابقة : تاما مجنحا وكذلك جميع الأقسام (٢٥) •

وهو اعتراض له وجاهته • ومن ثم ينبغى أن يكون الجناس المجنح لونا قائما بذاته يوجد فى أى نوع من أنواع الجناس ولا يختص بالمقلوب ومن التام المجنح قول الشاعر :

قالت جهدت أما انا من راحة
فالحر يشوى والخلائق قالت

٣ — جناس الاشتقاق :

وهو ما يجتمع فيه اللفظان فى أصل الاشتقاق كقوله تعالى : « فأقم وجهك للدين القيم » (٢٦) وقوله تعالى « فروح وريحان » (٢٧) وقوله صلى الله عليه وسلم « الظلم ظلمات يوم القيامة » •

ومنه قول الشافعى رضى الله عنه وقد سئل عن النبيذ : أجمع أهل الحرمين على تحريمه •

ومنه قول البحترى :

يعشى عن المجد الغبى ولن ترى
فى سؤدد أربا لغير أريب

---

(٢٥) شروح التلخيص ٤٢٩/٤ •
(٢٦) الروم آية ٤٣ •
(٢٧) الواقعة آية ٨٩ •

وقول محمد بن وهيب :

قسمت صرف الدهر بأسا ونائلا
فمالك موتــور وسـيفك واتـــر

وقول البهـــاء زهيـــر :

بعـــزمه مأمـــور مطيع وآمـــر
مطـــاع فلا يلفى لحزمهم مثــل

٤ ـ جناس المشـــابهة :

ويسمى جناس الاطلاق ، وايهام الاشتقاق ، وهو ما يجتمع فيه اللفظان فى المشابهة فقط دون الاشتقاق • كقوله تعالى : « اثاقلتم الى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخـــرة » (٢٨) ، وقوله تعالى : « وجنى الجنتين دان » (٢٩) ، وقوله تعالى : « قال انى لعملكم من القالين » (٣٠) •

ومنه قول البحتـــرى :

واذا ما ريــاح جـــودك هبت
صار قول العـــذول فيها هبـــاء

وللجناس صور أخرى تفنن فيها أصـــحاب البديعيات (٣١) ، وأغلبها متكلف مصنوع ولا خير فى التعرض لها • فكفانا هذا القدر من صور الجناس وأنـــواعه •

---

(٢٨) التـــوبة آيـــة ٣٨ •
(٢٩) الرحمـــن آيـــة ٥٤ •
(٣٠) الشـــعراء آيـــة ١٦٨ •
(٣١) ينظر شرح عقود الجمان ١٧٢/٢ •

بلاغة الجناس :

لا يكون الجناس مقبولا عند البلاغيين الا اذا جاء مطبوعا غير متكلف ولا مصنوع وكان المعنى يقتضيه والمقام يستدعيه وله أثر جليل فى الاسلوب لا يتحقق بدونه ، فاذا خرج عن هذا الحد كان مجرد تلاعب بالألفاظ وأصبح ممجوجا مكروها • وقد يؤدى الى تعقيد الكلام واخراجه عن نطاق الفصاحة •

وقد فصل الامام عبد القاهر القول فى بلاغة الجناس وبيان سر الحسن فى هذا الفن البديعى وذلك فى مقدمة كتابه « أسرار البلاغة » ومن الخير أن نعرض عليك ما ذكره فى هذا الموضوع ، لننتهل من ورده العذب ونقف من خلال حديثه على سر بلاغة التجنيس •

يقول عبد القاهر (٣٢) : أما التجنيس فانك لا تستحسن تجانس اللفظتين الا اذا كان موقع معنييهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ، أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام فى قوله :

ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت
فيه الظنون أمذهب أم مذهب (٣٣)

واستحسنت تجنيس القائل : حتى نجا من خوفه وما نجا (٣٤) ، وقول المحدث :

---

(٣٢) ينظر هذا النص كاملا فى اسرار البلاغة ٤ — ١٢ .

(٣٣) مذهبه : طريقته ، أى غلبت عليه السماحة ، كما يقال : ذهب فلان بالمجد أى حازه . والتوت فيه الظنون : اختلفت ولم تحقق شيئا واحدا ، ومذهب الأولى بفتح الميم : الطريقة ، ومذهب الثانية بضم الميم أى أجنون ، أو الوهم . شرح ديوان أبى تمام ١/١٣٠ .

(٣٤) نجا الأول من النجو وهو ما يخرج من البطن من الغائط ، والثانى من النجاة .

ناظـــــراه فيما جنى ناظـــــراه
أو دعانى أمت بمـــا أودعانى

الأمر يرجع الى اللفظ ؟ أم لانك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول وقويت فى الثانى ؟ ورأيتك لم يزدك بمذهب ومذهب على أن أسمعـــك حروفا مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها الا مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها فبهذه السريرة صار التجنيس وخصوصا المستوفى منه المتفق فى الصورة من حلى الشعر ، ومذكورا فى البـــــديع •

فقد تبين لك أن ما يعطى التجنيس من الفضيلة أمـــر لم يتم الا بنصرة المعنى اذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه مستحسن ولما وجد فيه الا معيب مستهجن ، ولذلك ذم الاستكثار منه والولوع به ، وذلك أن المعانى لا تدين فى كل موضع لما يجذبها التجنيس اليه ، اذ الألفاظ خدم المعانى والمصرفة فى حكمها ، وكانت المعانى هى المالكة سياستها المستحقة طاعتها ، فمن نصر اللفظ على المعنى كان كمن أزال الشىء عن جهته ، وأحاله عن طبيعته ، وذلك مظنه من الاستكراه ، وفيه فتح أبواب العيب والتعرض للشين •

وعلى الجملة فانك لا تجد تجنيسا مقبولا ولا سجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجـــــده لا تبتغى به بدلا ، ولا تجد عنه حولا ، ومن ههنا كان أحـــلى تجنيس تسمعه وأعلاه وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم الى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملاءمتـــه — وان كان مطلوبا — بهذه المنزلة وفى هذه الصورة •

وان تجد أيمن طائرا ، وأحسن أولا وآخـــرا ، وأهـــدى الى

الاحسان ، وأجلب للاستحسان ، من أن ترسل المعانى على سجيتها ، وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ . فانها اذا تركت وما تريد لم تكتس الا ما يليق بها ، ولم تلبس من المعارض الا ما يزينها ، فأما أن تضع فى نفسك أنه لا بد من أن تجنس أو تسجع بلفظين مخصوصين فهو الذى أنت منه بعرض الاستكراه ، وعلى خطر من الخطأ والوقوع فى الذم ، فان ساعدك الجد ... فذاك ، والا أطلقت ألسنة العيب ، وأفضى بك طلب الاحسان من حيث لم يحسن الطلب الى أفحش الاساءة وأكبر الذنب ...

واعلم أن النكتة التى ذكرتها فى التجنيس ، وجعلتها العلة فى استيجابه الفضيلة وهى حسن الافادة ، مع أن الصورة صورة التكرير والاعادة وان كانت لا تظهر الظهور التام الذى لا يمكن دفعه الا فى المستوفى المتفق الصورة منه كقوله :

ما مات من كرم الزمان فانه
يحيا لدى يحيى بن عبد الله

أو المرفو الجارى هذا المجرى كقوله : أو دعانى أمت بما أودعانى، فقد يتصور فى غير ذلك من أقسامه أيضاً فمما يظهر ذاك فيه ما كان نحو قول أبى تمام :

يمدون من أيد عواص عواصم
تصول بأسياف قواض قواضب

وقول البحترى :

لئن صدفت عنا فربت أنفس
صواد الى تلك النفوس الصوادف

وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كالميم من عواصم والباء من قواضب أنها هى التى مضت ، وقد أرادت أن تجيئك ثانية ،

وتعود اليك مؤكدة ، حتى اذا تمكن فى نفسك تمامهـا ، ووعى سمعك آخرها انصرفت عن ظنك الأول ، وزلت عن الذى سبق من التخيل ، وفى ذلك ما ذكرت لك من طلوع الفائدة بعد أن يطانعك اليأس منها ، وحصول الربح بعد أن تغالط فيه ، حتى ترى أنه رأس المال . فأما ما يقع التجانس فيه على العكس من هذا وذلك أن تختلف الكلمـات من أولهـا كقـول البحتـرى :

بسيوف ايماضهـا أوجـال للأعادى ووقعهـا آجـال

وكذا قول المتأخـر :

وكم سبقت منـه الى عـوارف
ثنائى من تلك العـوارف وارف
وكم غـرر من بـره ولطـائف
لشكرى على تلك اللطائف طائف

وذلك أن زيادة عوارف على وارف بحرف اختلاف من مبدأ الكلمة فى الجملة فانه لا يبعد كل البعد عن اعتراض طرف من هـذا التخيل فيه ، وان كان لا يقوى تلك القوة ، كأنك ترى أن اللفظة أعيدت عليك مبدلا من بعض حروفها غيره ، أو محذوفا منها .

وبهذا بين الشيخ عبد القاهر مقياس حسن الجناس ، وفائدته . فالجناس لا يكون حسنا مقبولا الا اذا جاء مطبوعا غير متكلف ، وكان المعنى هو الذى طلبه وقاد اليه .

وفائدة الجناس عنده تتمثل فى حسن الافادة مع أن الصـورة صورة التكرير والاعادة ، فهو فن خادع موهم ، تشعر من خلاله أن المتكلم قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ، ويوهمك كأنه لم يزدك شيئا وقد أحسن الزيادة ووفاها . وهذه الفائدة تظهر فى بعض أنواعه قوية جلية ، ولا تخلو أنواعه الأخرى من وجودها .

وللجناس أثر جلى فى تشويق النفس ، وتنشيط الفكر ، للوقوف على المراد من اللفظين المتشابهين ، وهذا أدعى الى تثبيته وتأكيده فى الذهن بعد معرفته . وجاء فى جوهر الكنز عن فائدة الجناس : ان تشابه ألفاظ التجنيس تحدث بالسمع ميلا اليه ، فان النفس تتشوق الى سماع اللفظة الواحدة اذا كانت بمعنيين ، وتتشوق الى استخراج المعنيين المشتمل عليهما ذلك اللفظ ، فصار التجنيس وقع فى النفوس وفائدة (٣٥) .

والجناس من أسباب تلاحم الاسلوب وترابطه . لما بين طرفيه من المماثلة الشكلية ، وله وقع موسيقى ملحوظ ، يجعل الاسلوب مميزا وذا أثر قوى فى النفس .

* * *

(٣٥) جوهر الكنز ٩١ .

الفصـــل الثالث

فنـــون الاجمـــال والتفصـــيل

يدور البحث فى هذا الفصل حول بعض الفنـــون البديعية التى تقوم على الاجمال والتفصيل ، والابهـــام ، والايضـــاح ، والجمـــع والتفريق ، وما أشبه ذلك •

وفى هذه الفنون يتم عرض المعنى فى صورتين مختلفتين ، مجملة ومفصلة ، أو مجموعة ومفرقة ، مما يفخـــم المعنى ويؤكده ، ويثـــير الانتباه نحوه ويشوق اليه •

والفنون التى سنتناولها بالبحث هى : اللف والنشر ، والجمع ، والتفريق ، والتقسيم ، والجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم •

وهى فنون أصيلة داخلة فى صميم البلاغة ، ومنها ما له نظير بحثه البلاغيون فى باب الاطناب حيث جعلوا من أنواعه الايضاح بعـــد الابهـــام ، والتوشيع ، ولا يبعدان كثيرا عما نحن بصدد الحديث عنه فى هـــذا الفصـــل •

اللف والنشـــر

اللف لغة الضم والجمع ، والنشر عكسه وهو البسط والتفريق •
واللف والنشر عند لبلاغيين : ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الاجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يرده اليه (١) •

وقولهم من غير تعيين أى من غير أن يعين لشىء مما ذكر أولا ما هو له مما ذكر ثانيا ، وهذا قيد فى التعريف يخرج ما كان معينا ، فهو من باب التقسيم ، وليس من هذا الباب • وترك التعيين يكون من أجل الوثوق بأن السامع يرد الى كل ما هو له بناء على القرينة • وهى تكون لفظية كقولك : رأيت زيدا وهندا ضاحكا وعابســة ، فتأنيث عابســة قرينة لفظية على أنها راجعة الى هند • وتكون معنوية كقولك : لقيت الصاحب والعدو فأكرمت وأهنت ، فالقرينة هنـا معنـوية ، وهى أن المستحق للاكرام الصاحب ، وللاهانة العدو •

واللف والنشر على قسمين — مفصل ومجمل :

١ — المفصل : وهو ما ذكر فيه المتعدد على سبيل التفصيل وهو ضربان :

الأول : المرتب : وهو ما جاء النشر فيه على ترتيب اللف ، ومنه قوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (٢) ، فذكر فى الآية الليل والنهار مفصلان، ثم ذكر فائدة كل منهما على الترتيب من غير تعيين ، فالسكون يرجع الى الليل لان فيه الراحة والنوم ، وابتغاء الفضل يرجع الى النهار لان فيه السعى والكدح • والضمير فى « فيه » وان كان يعود الى الليل الا أنه

---

(١) الايضـــاح ٦/٤٢ .
(٢) القصص آيــة ٧٣ .

بحسب ظاهر اللفظ يحتمل أن يكون لليل والنهار ، وهذا الاحتمال كاف فى عدم التعيين ، فلا تكون الآية من قبيل التقسيم •

قال الزمخشرى : زاوج بين الليل والنهار لأغراض ثلاثة : لتسكنوا فى أحدها وهو الليل ، ولتبتغوا من فضل الله فى الآخر وهو النهار ، ولارادة شكركم ، وقد سلكت بهذه الآية طريقة اللف فى تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء ، ايذانا بأن لا شىء أجلب لغضب الله من الاشراك به ، كما لا شىء أدخل فى مرضاته من توحيده (٣) •

ومنه قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » (٤) ، فاللوم راجع الى البخل ، ومحسورا راجع الى الاسراف ، لان معناه منقطعا لا شىء عندك (٥) •

ومنه قول ابن الرومى :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم
فى الحادثات اذا دجون نجوم
فيها معالم لهدى ومصابح
تجلو الدجى والأخريات رجوم

فعدد ثلاثة أشياء مفصلة هى : الآراء والوجوه والسيوف ، ثم ذكر ما يرجع الى كل واحد منها على الترتيب ، فمعالم للهدى للآراء ، ومصابيح تجلو الدجى للوجوه ، والرجوم للسيوف • وبجانب هذا تجد فى البيت الأول فنا بديعيا آخر هو الجمع ، حيث جمع بين الأشياء الثلاثة المذكورة فى حكم واحد هو أنها نجوم فى ظلام الحادثات • وللبهاء السبكى فى التمثيل بقول ابن الرومى نظر من وجوه لا يحتمل المقام ذكرها (٦) •

---

(٣) الكشاف ١٨٩/٣ •
(٤) الاسراء آية ٢٩ •
(٥) معترك الأقران ٤١٠/١ •
(٦) انظر عروس الأفراح ٣٣٠/٤ ، ٣٣١ •

ومنه قول أبي الطيب :

ان كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا
في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

والمراد بقوله « لقوا » ملاقاة الاقران في الخطـــابة والمكالمة ، لاملاقاتهم في القتال ، لانه ذكر الحرب بعده (٧) .

ومنه قول ابن حيوس :

فعل المدام ولونهـا ومذاقهـــا
في مقلتيــه ووجنتيــه وريقـــه

فذكر أن الخمر ولونها ومذاقها قد أثرت في مقلتيه ووجنتيه وريقه، فذكر متعددا على سبيل اللف ثم ذكر ما لكل واحد على سبيل النشر المرتب .

والثاني : غير المرتب : وهو ما جاء النشر فيــه على غير ترتيب اللف ، سواء أكان معكوس الترتيب أم مختلطا ، فمن المعكوس قـــول ابن حيوس :

كيف أســـلو وأنت حقف وغصـــن
وغـــزال ، لحظا وقدا وردفـــا (٨)

فلف بين الحقف والغصن والغزال ، ثم ذكر ما لكل واحد منهـــا على عكس الترتيب السابق فاللحظ للغزال ، والقد الغصن ، والردف للحقف .

ومنه قـــول الفـــرزدق :

---

(٧) شرح ديوان المتنبي ٣٥٨/٤ .
(٨) الحقف بكسر الحاء مجتمع الرمل إذا عظم واستدار .

لقد خنت قوما لو لجأت اليهم
طريد دم أو حاملا ثقل مغرم
لألفيت فيهم معطيا أو مطاعنا
وراءك شزرا بالوشيج المقوم (٩)

والشاعر يهجو هبيرة بن ضمضم لقتله القعقاع بن عوف ويقول له : لقد ارتكبت جرما كبيرا بهذه الخيانة ، فلقد خنت قوما لو لجأت اليهم لوجدت فيهم نعم الملجأ والملاذ ، ولألفيتهم يقدمون لك المال ويضحون بأنفسهم دفاعا عنك • وقد ذكر شيئين : طريد دم ، وحاملا ثقل مغرم ، ثم ذكر ما لكل منهما على عكس الترتيب السابق ، فمعطيا يرجع الى قوله : حاملا ثقل مغرم • ومطاعنا يرجع الى طريد دم •

ومنه قول الشاعر :

يا لهف قلبى غداة البين قد رحلوا
بظبية ضربت من دونها الكلل
قوامها ومحياها ومبسمها
كأس الرحيق وبدر التم والأسل (١٠)

فذكر متعددا مفصلا ثم ذكر ما لكل واحد على عكس الترتيب الأول ، فكأس الرحيق يرجع الى مبسمها ، وبدر التمام يرجع الى محياها ، والأسل يرجع الى قوامها •

ومن المختلط أن تقول : هو شمس وأسد وبحر شجاعة وبهاء وجودا ، فلففت بين الشمس والأسد والبحر ، وذكرت ما لها على سبيل

---

(٩) طريد دم : كناية عن كونه قاتلا . وحاملا ثقل مغرم : اى يحمل ما لا طاقة له به فى صلح او دية . وشزرا : مصدر شزر اى طعن عن يمينه وشماله . والوشيج : شجر الرماح ، والمقوم : المثقف .

(١٠) الكلل : جمع كلة وهى الستر الرقيق ، والأسل : جمع أسلة وهى الرمح •

الاختلاط ، فلم تتبع ترتيبا مطردا أو معكوسا ، فالشجاعة للأسد والبهاء للشمس ، والجود البحـــر •

٢ ــ المجمل : وهو أن يذكر المتعدد على سبيل الاجمال كقـــوله تعالى : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى » (١١) ، فان الضمير فى « قالوا » لاهل الكتاب من اليهود والنصارى ، والتقدير وقالت اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى والمعنى على النشر : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان هودا ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة الا من كان نصارى ، فلف بين القولين بقوله « وقالوا » ثقة بأن السامع يرد الى كل فريق قوله ، وأمنــا من الالباس ، لما علم من التعادى بين الفريقين ، وتضليل كل واحد منهما لصاحبه (١٢) •

ومن اللف والنشر نوع لم يشر اليه الخطيب ، وذكره الزمخشرى ، ويأتى فيه النشر فاصلا بين أجزاء اللف كما فى قوله تعالى : « ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله » (١٣) ، فاللف فى قـــوله منامكم وابتغاؤكم من فضله ، والنشر فى قوله بالليل والنهار ، وهـــو فاصل بين أجزاء اللف • وقد أشار الزمخشرى الى ذلك فقال : هذا من باب اللف وترتيبه : ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليـــل والنهار ، الا أنه فصل بين القرينين الأولين بالقرينين الآخرين لانهمــا زمانان والزمـــان والواقع فيه كشىء واحـــد مع اعـــانة اللف على الاتحـــاد (١٤) •

ومنه نوع آخر لطيف المسلك أشار اليه الزمخشرى أيضا فى قوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر

---

(١١) البقـــرة آيـــة ١١١ •
(١٢) الكشـــاف ٣٠٤/١ •
(١٣) الـــروم آيـــة ٢٣ •
(١٤) الكشاف ٢١٨/٣ ، وانظر التبيان ٤٠٠ •

فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون » (١٥) ، فقال : الفعل المعال محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره — ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون — شرع ذلك ، يعنى جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر ، وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ، ومن الترخيص فى اباحة الفطر ، فقوله « لتكملوا » علة الأمـر بمراعاة العدة « ولتكبروا » علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ، « ولعلكم تشكرون » علة الترخيص والتيسير ، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدى الى تبينه الا النقاب المحدث من علمـــاء البيـــان (١٦) ٠

وقد تحدث سعد الدين عن هذا النوع وضبطه فقال : وهنا نوع آخر من اللف لطيف المسلك وهو أن يذكر متعدد على التفصيل ، ثم يذكر ما لكل ويؤتى بعده بذكر المتعدد ملفوظا أو مقدرا فيقع النشر بين لفين أحدهما مفصل والآخر مجمل ، وهذا معنى لطيف مسلكه ، ونقل كلام الزمخشرى السابق ، وأورد عليه اشكالا ملخصه : أن الزمخشرى ذكر فى اللف أمر الشاهد بصوم الشهر ، ولم يجعل له مقابلا فى العلل ، وأنه ذكر فى العلل ولتكبروا ، واعتبرها علة لما علم من كيفية القضاء ، وهذا لم يذكر فى المعللات ، وأجاب عن هذا الاشكال : بأن ذكر أمر الشاهد بالصوم لم يذكر الا ليبتى عليه غيره فليس ما يدعو الى ذكر علة له ، وأن ما علم من كيفية القضاء مفهوم من الأمر بمراعاة العدة وبهـذا يكون تطبيق العـــلل على المعلولات فى كلام الزمخشرى وافيـــا صحيحا (١٧) ٠

ومنه قسم أشار اليه السعد فى المختصر فقال : ومن غريب اللف

(١٥) البقـــرة آيـــة ١٨٥ ٠
(١٦) الكشـــاف ١/٣٣٧ ٠
(١٧) انظر المطول ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، والبلاغة القرآنية ٤٨٩ ٠

والنشر أن يذكر متعددان أو أكثر ثم يذكر فى نشر واحد ما يكون لكل من آحاد كل من المتعددين ، كما تقول : الراحة والتعب ، والعدل والظلم ، قد سد من أبوابها ما كان مفتوحا ، وفتح من طرقها ما كان مسدودا ، فقوله الراحة والتعب لف أول ، والعدل والظلم لف ثان ، وجاء بعدهما نشر واحد مكون من شقين : سد من أبوابها ما كان مفتوحا ، وهو راجع الى الطرف الأول من اللفين : الراحة والعدل ، وفتح من طرقها ما كان مسدودا ، وهو راجع الى الطرف الثانى من اللفين : التعب والظلم ، فمعنى الكلام أنه سد من أبواب الراحة والعدل ما كان مفتوحا ، وفتح من أبواب التعب والظلم ما كان مسدودا .

وقيل ان الضمير فى أبوابها وطرقها راجع الى كل من الأربعة المذكورة ، ويكون النشر لكل واحد من الأربعة ، ولا تنافى فى الحكم لان المراد أن لها أبوابا ، سد واحد وفتح آخر (١٨) .

بلاغة اللف والنشر :

لا يكون اللف والنشر بليغا حتى يكون خاليا من التكلف والحشو وعقادة التركيب ، وجامعا بين سهولة اللفظ والمعانى البديعة المخترعة (١٩) ، وقد تكلف كثير من الشعراء المتأخرين توشية الشعر باللف والنشر ، وتسابقوا فى كثرة أفراد المتعدد فى اللف وما يقابلها فى النشر ، فلحقه التعقيد ، وركبه التنافر والثقل ، ولم يشفع فى فصاحته وبلاغته تزيينه باللف والنشر المجلوب لذلك .

من هذا قول صفى الدين الحلى وقد لف بين ثمانية أشياء ونشر ما يماثلها :

---

(١٨) انظر المختصر ، ومواهب الفتاح ، وحاشية الدسوقى ٤/٣٣٤ .
(١٩) انظر معاهد التنصيص ٢/٢٧٨ .

وظبى بقفر فوق طرف مفـــوق
بقوس رمى فى النقع وحشـــا بأسهم
كبـــدر بأفق فـــوق برق بكفـــه
هلال رمى فى الليل جنا بأنجم

وقول الآخر وقد لف بين عشرة أشياء :

شعر جبين محيـــا معطف كفل
صدغ فم وجنـــات ناظر ثغـــر
ليل صباح هلال بانة وفقـــا
آس أقاح شـــقيق نرجس در

وقول ابن جابر وقد لف بين اثنى عشر شيئا :

فـــروع ســـنا قد كلام فم لمى
حلى عنق ثغر شذا مقلة خـــد
دجى قمر غصن جنى خاتم طلا
نجوم رشـــا در صـــبا نرجس ورد

فهذا وما شابهه خارج عن نطاق البلاغة ، وما نزل به الى الحضيض سوى تكلف اللف والنشر والتمحل لجمع أطراف كثيرة وذكر ما يخص كل واحـــــد منهـــــا •

واللف والنشر البايغ يثير الفكر وينشط العقل ويشـــوق النفس نتيجة ذكر المتعدد غير تام الفائدة ، فتتشوق النفس لتمامها ، وينشط العقل لتصورها ، فاذا جاء النشر ظهرت الفائدة مجموعة غير معينة فتحتاج الى فكر وتأمل لارجاع كل صفة الى ما هى له ، اعتمادا على القرائن ، وهذا يجعل المتلقى مصغيا الى الأسلوب ، متفاعلا معـــه باحثا عن أسراره وأغواره حتى يقف على المراد فيثبت ويتأكد لديه •

وفى اللف والنشر لون من الايضاح بعدم الابهام والتفصيل بعد الاجمال حيث يذكر المتعدد مبهما ، ثم توضح صفات أفراده ، وفى هذا تفخيم له وتعظيم لشأنه ، لان ابهامه يدع النفس تذهب فى تصور تفصيله كل مذهب ، فاذا فسر كان هذا أحلى موقعا فى النفس .

واللف والنشر يربط بين أجزاء الكلام ، ويزيد من تلاحم عناصره ، نظرا لانه مكون من طرفين كل منهما محتاج الى الآخر لتكتمل الفائدة ويتضح المراد ، وهذا من أقوى الصلات بين أجزاء الكلام .

* * *

الجمـــــــع

وهو أن يجمع بين شيئين أو أشياء فى حكم واحد (١) • كقــوله تعالى : « المال والبنون زينة الحياة الدنيا » (٢) ، فجمع فيه بين المال والبنين فى حكم واحد هو أنهما زينة الحياة الدنيا • وأدخل لفظ « بين » فى التعريف ولم يقل أن يجمع متعدد اشارة الى أن المتعدد هنا يجب أن يكون مصرحا به فى الذكر فقولنا : الأولاد زينة الحياة الدنيا ، ليس من قبيل الجمع وان كان لفظ الأولاد متعددا (٣) •

ومن الجمع قوله تعالى : « انما أموالكم وأولادكم فتنة » (٥) ، وقوله تعالى « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان » (٦) ، وفى هذه الآية جمع بين أربعة أشياء فى كونها رجسا من عمل الشيطان ، وهذا يشير الى اتحادها فى هذا الوصف الشنيع ، وأدعى الى التنفير منها جملة حتى لا يفصل بينها فى الابتعاد عنها •

ومنه قول أبى العتاهيــة :

ان الشباب والفراغ والجــــدة
مفســـدة للمـــرء أى مفســـدة

فجمع بين الأشياء الثلاثة فى كونها مفسدة عظيمة •

ومنه قول صفى الدين الحلى فى مدح الرسول صلى الله عليــه وســلم :

---

(١) الايضـــــاح ٦/٤٥ •
(٢) الكهف آيـة ٤٧ •
(٣) حاشية الدسوقى ٤/٣٣٥ •
(٤) الرحمـــن آيـــة [illegible]
(٥) التغـــابن آيـــة ١٥ •
(٦) المـــــائدة آيـــة ٩٠ •

آراؤه وعطـــاياه ونعمتـــه
وعفـــوه رحمـــة للناس كلهـــم

فجمع بين أربعة أشياء فى كونها رحمة للناس •

ومن لطيف الجمع قول المتنبى :

الخيل والليـل والبيـداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فجمع فى الشطر الأول بين ثلاثة أشياء فى كونها تعرفه ، وعطف عليها أربعة أشياء فى الشطر الثانى ، واستغنى بخبر الأولى عن خبـــر الثانية لوضوح دلالته عليه •

ولا يشترط فى الحكم الذى جمع فيه بين الأشياء أن يقع خبرا عن المتعدد ، فقد يكون خبرا كما تقدم فى الأمثلة ، وقد يكون غير ذلك كما فى قـــول محمد بن وهيب :

ثلاثة تشـــرق الدنيـــا ببهجتها
شمس الضحى وأبو اسحاق والقمـــر

فالحكم متقدم على الأشياء الثلاثة التى تشترك فيه • وتجد لهذا نظائر كثيرة فى الشعر والنثر •

وللسبكى وجهة نظر فى جعل هذا من الجمع ، فهو يرى أن بداعة الجمع يشترط فيها الاخبار عن المتعدد بمفرد يصدق على الجميع لكونه مصدرا أو نحوه كزينة فى الآية الكريمة الأولى ، ومفسدة فى قـــول أبى العتاهية (٧) •

وجعل الطيبى من الجمع باب أحكام ذات العلتين ، كقوله تعالى :

---

(٧) عروس الأفراح ٤/٣٢٥ •

« جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه » (٨)، فيذرؤكم أى يكثركم من الذرء وهو البث والتكثير ، والضمير فى « يذرؤكم » يرجع الى المخاطبين وفيه تغليب من وجهين :

أنه غلب فيه جانب العقلاء على غير العقلاء ، وغلب فيه جانب المخاطبين على الغائبين ، والضمير فى « فيه » عائد الى معنى العلتين وهما الجعلان المذكوران المؤولان بالتدبير المسبب عنه ذرء الحيوان (٩)، فجمع الجعلين فى حكم واحد هو الذرء .

بلاغة الجمع :

والجمع لون بديع يحقق الايجاز فى الاسلوب ، حيث يجمع فيه بين الشيئين أو الأشياء فى خبر واحد . ولو جعل لكل منها خبر على حدة لطال الكلام وخرج عن حد الاعتدال .

وفى الجمع اثارة للفكر وتشويق للنفس ، فان ذكر الأشياء المتعددة تلو بعضها دون بيان حكم لها يجعل النفس تتشوق للحكم وتنتظر مجيئه ، ويبعث العقل على التفكير فيه وتصور كنهه ، فاذا ورد بعد ذلك دخل على النفس وهى فى شوق اليه فتمكن فضل تمكن .

وكلما كثرت الأشياء التى يراد جمعها فى حكم واحد كلما زاد ذلك من تشويق المتلقى واثارة فكره ، وضاعف من لهفته على معرفة الحكم، وهذا يدفعه الى الانفعال بالموضوع والتفاعل مع الاسلوب ، والوقوف على المراد .

ولقد جاءت صور من الجمع فى القرآن الكريم كثرت فيها الأشياء

---

(٨) الشورى آية ٤٢ .

(٩) التفسير الكبير ٣٧٧/٧ ، والتبيان ٤٠٢ ، وانظر الكشاف ٤٦٢/٣ .

المجموعة على نمط فريد مما يجعل المستمع شديد الاصغاء ، مشدود الفكر ، متصل الانفعال حتى يستمع الى الحكم المقصود فيثبت فى ذهنه، من ذلك قوله تعالى : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » (١٠) .

وقوله تعالى : « ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١١) .

فقد جمع فى الآيتين بين أشياء كثيرة توالت وتتابعت فربطت المتلقى بها وجذبته الى الاصغاء فلا يستطيع الانفصال عنها الا بعد وصوله الى الحكم الذى طالما اشتاق اليه ، وتعلقت نفسه به ، ليجنى منه الفائدة والثمرة .

وذكر العصام فى وجه تحسين الجمع أنه يبرز الشىء فى هيآت مختلفة فى تركيب واحد ، تارة فى هيئة الكثرة ، وأخرى فى هيئة الواحدة (١٢) . وفى هذا تلوين للاسلوب وتأكيد للمعنى .

وفى الجمع بجانب كل هذا ربط الاسلوب وتقوية العلاقة بين مفرداته نظرا لان الأشياء المجموعة متعلقة بالحكم الذى جمعت فيه ، وملتحمة به بحيث لا يمكن الفصل بينهما .

---

(١٠) الأحزاب آية ٣٥ .
(١١) البقرة آية ١٦٤ .
(١٢) الأطول ٢/١٩٩ .

التفـــــريق

هو ايقاع تباين بين أمرين من نوع واحد فى المدح أو غيره (١) .
أى التفريق بين شيئين فى صفة يشتركان فيها ، كما فى قول رشيد الدين الوطواط :

ما نوال الغمـــام وقت ربيـــع
كنـــوال الأمـــير يوم ســــخاء
فنـــوال الأمـــــير بدرة عـــين
ونوال الغمام قطــــرة ماء (٢)

فالغمام والأمير يشتركان فى صفة العطاء ، ولكن الشـــاعر فرق بينهما فيها ، فعطاء الأمير يكون مالا كثيرا ، وعطاء الغمام يكون قطرة ماء ، وشتان بين العطاءين . وبالغ فى زيادة الفرق بينهما بقوله « وقت ربيع » وقوله « يوم سخاء » فالغمام وقت الربيع يكون ممتلأ بالماء ، ومع هذا فعطاؤه قليل ، والأمير يوم السخاء يكون خاوى الوفاض لكثرة السائلين وكمال بذله وجوده فى هذا اليوم ، ومع هذا فعطاؤه كثير (٣) .

وفرق الوأواء الدمشقى بين عطاء الممدوح وعطاء الغمام ولكن من زاوية أخرى فقال :

من قاس جدواك بالغمـــام فما
أنصف فى الحـــكم بين شـــكلين
أنت اذا جـــدت ضـــاحك أبدا
وهو اذا جـــاد دامع العـــين

(١) الايضـــــاح ٦/٤٦ .
(٢) النوال : العطاء ، والبدرة : كيس فيه ألف دينار او عشرة آلاف درهم ، والعين : المال .
(٣) انظر حاشية الدسوقى ٤/٣٣٦ .

فلم يفرق بينهما من جهة نوع العطاء ومقداره كما فعل الوطواط ، ولكنه فرق بينهما من جهة حالهما وهيئتهما عند العطاء ، فالممدوح مسرور بالعطاء لذا يعطى وهو ضاحك ، والغمام غير راض عن العطاء اذا يعطى وهو باك دامع العين ، فجعل المطر دموع عين الغمام وهو تخييل طريف .

والتفريق بين الممدوح والغيث بالضحك والبكاء شائع فى الشعر عند المتأخرين ، ومن ذلك قول أبى الفتح البستى :

يا سيد الأمراء يا من جوده
أوفى على الغيث المطير اذا همى
الغيث يعطى باكيا متجهما
وتراك تعطى ناضرا متبسما

وقول الآخر :

من قاس جدواك يوما
بالسحب أخطأ مدحك
السحب تعطى وتبكى
وأنت تعطى وتضحك

وسلك بديع الزمان مسلكا بديعا فى التفريق ، حيث فرق بين الممدوح وعدة أشياء عن طريق التشبيه المشروط فقال :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا
لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت
والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

ففرق بين الممدوح وبين الغيث والدهر والشمس والليث والبحر عن طريق التشبيه المشروط ، حيث يجعل هذه الأشياء تكاد تحاكيه لو

توفر فى كل منها شرط مخصوص ، وهذا الشرط يستحيل تحققه ، اذا فهذه الأشياء لا يمكن أن تتساوى مع الممدوح •

والتفريق ليس مقصورا على المدح ، فيأتى فى كل المعانى والأغراض ، ومن جيده فى الغزل قول بدر الدين بن النحوية :

حسبت جماله بدرا منيرا
وأين البدر من ذاك الجمال ؟

ففرق بين جماله وبين البدر عن طريق الاستفهام المفيد للاستبعاد

ومنه قول الشاعر :

قاسوك بالغصن فى التثنى
قياس جهل بلا انتصاف
هذاك غصن الخلاف يدعى
وأنت غصن بلا خلاف (٤)

ففرق بين الغصن وبين محبوبه ، فالغصن فى كونه غصنا خلاف ، موريا بالصفصاف عن المخالفة ، أما محبوبه فهو غصن بلا مخالفة فى ذلك •

قال السبكى ويمكن أن يكون من التفريق قوله تعالى : « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج » (٥) ، فالبحران يشتركان فى وجود الماء فيهما ، لكنهما يفترقان فى أن ماء أحدهما عذب فرات سائغ للشاربين ، وماء الآخر ملح أجاج يعافه الواردون • ودخول هذا فى التفريق راجع الى التصريح بعدم التساوى بين البحرين ، فهما وان اشتركا فى صفة الا أنهما يفترقان من ناحية أخرى تتعلق بهذه

---

(٤) الخلاف : شجر الصفصاف .
(٥) فاطر آية ١٢ ، وانظر عروس الأفراح ٣٣٦/٤ .

الصفة . ولعل تعبير السبكى بامكان دخوله فى التفريق راجع الى أن المثال قريب من اللف والنشر حيث ذكر المتعدد مجملا ثم ذكر ما لكل واحد من أفراده من غير تعيين .

بلاغـــة التفـــــريق :

فى التفريق لون من تفصيل المجمل وذلك بتمييز أفراده ، وازالة وهم الاتحاد بينها ، مما يؤدى الى بيان خصائص المتحدث عنه ، واظهار تباينه عما يشبهه فى الغرض المراد مدحا أو رثاء أو غزلا أو هجاء وغير ذلك من الأغراض .

وفى التفريق يدعى المتكلم دعوى يشير فيها الى اختصاص أحد الأفراد المشتركة فى صفة بسمة خاصة فيهـا ، ويقيم الدليل على ذلك بتوضيح الفرق ، كما رأينا فى قول رشيد الدين ، والوأواء الدمشقى ، وغيرهما ، ففيه اثبات شئ بدليله ، وادعاء دعوى ببرهانها .

والتفريق مؤد الى تناسب الكلام وترابطه نظرا لاتصاله ببعضه ، ودورانه حول موضوع واحد .

التقسيم

وهو فى اللغة مصدر قسمت الشيء إذا جزأته ، ويطلق عند البلاغيين على ثلاثة أنواع كل نوع منها له ضابط على حدة :

الأول : ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين . وبهذا القيد يخرج اللف والنشر ، حيث يذكر فيه ما لكل واحد من المتعدد من غير تعيين . مثال ذلك قوله تعالى : « كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوها بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » (١) . فالمتعدد ثمود وعاد ، وأضيف الى كل منهما ما له على سبيل التعيين .

ومنه قوله تعالى : « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون، وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون » (٢) ، ومثل السيوطى بذلك للف والنشر المعكوس (٣) ، وواضح أنه ليس من اللف والنشر نظرا لتعين ما لكل واحد من المتعدد .

ومنه قول الشاعر :

غيثان : أما الذى من فيض أنمله
فدائم ، والذى للمزن لم يدم

فذكر المتعدد ثم بين ما لكل واحد على التعيين .

ومثل الخطيب له بقول أبى تمام :

فما هو الا الوحى أو حد مرهف
تميل ظباه أخدعى كل مائل

---

(١) الحاقة آية ٤ — ٦ .
(٢) آل عمران آية ١٠٦ ، ١٠٧ .
(٣) شرح عقود الجمان ٢/١٠٥ .

فهذا دواء الداء من كل عـــالم
وهذا دواء الداء من كل جاهل (٤)

فالمتعدد الوحى وحد السيف ، والمضاف اليهما فى البيت الثـــانى فالشطر الأول منه راجع الى الوحى والشطر الثانى منه راجع الى حد السيف • وقيل : ان هذا المثال من قبيل اللف والنشر لعدم تعيين ما لكل واحد من المتعدد حيث قال :

فهذا دواء الداء من كل عـــالم
وهذا دواء الداء من كل جـــاهل

دون تعيين ، والسامع هو الذى يرد كل واحد الى ما هو له اعتمادا على القرائن •

ورد على هذا بأن التعيين متحقق وموجود ، لان اسم الاشـــارة يشار به الى معين ، ولكن لما كان فى البيت اسمى اشارة كان التعيين مع وجوده محتملا وجهين ، بخلاف اللف والنشر ، فان نفس التعيين منتف فيه (٥) • كما قيل ان التعيين محدد ولا احتمال فيه لوجهين ، بناء على ما قرره النحاة من أنه اذا ذكرت أسماء اشارة متعددة بعد مشـــار اليه متعدد فالأصل فيه أن يضاف الأول من أسماء الاشارة للأول من المشار اليه ، والثانى للثانى وهكذا (٦) •

كما مثل الخطيب بقول المتلمس :

ولا يقيم على ضيم يـــراد به
الا الأذلآن عـــير الحى والوتد

---

(٤) الظبى : جمع ظبة وهى حـــد السيف . والاخدعان : عرقان فى صـفحتى العنـــق .
(٥) حاشية عبد الحكيم ٥٠٠ .
(٦) شرح عقود الجمان ١٠٧/٢ .

هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له أحد (٧)

فالمتعدد : عير الحى والوتد ، وأضـاف الى الأول الربـط على الخسف ، والى الثانى الشج ، على سبيل التعيين ، حيث أشار بهذا الى الأول وبذا الى الثانى ، وقيل انه لا تعيين هنا لان هذا وذا متساويان فى الاشارة الى القريب ، فكل منهما يحتمل أن يكون اشارة الى العير والوتد وعلى هذا يكون البيت من قبيل اللف والنشر ، ولم يسلم السعد بالتسلوى بين هذا وذا ، لان فى حرف لتنبيه ايماء الى أن القرب فيه أقل بحيث يحتاج الى تنبيه ما بخلاف المجرد عنها ، فهذا للقريب يعنى العير ، وذا للأقرب يعنى الوتد ، وأمثال هذه الاعتبارات لا ينبغى أن تهمل فى عبارات البلغاء ، بل ليست البلاغة الا رعاية أمثال ذلك (٨) .

والثانى : ذكر أحوال الشىء مضافا الى كل حال ما يليق بها . من ذلك قوله تعالى : « فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبـونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومـة لائم » (٩) . ومن هذا قول أبى الطيب :

سأطلب حقـى بالقنـا ومشايخ
كأنهم من طول ما التثموا مرد
ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا
كثير اذا شدوا قليل اذا عدوا (١٠)

---

(٧) العير بفتح العين : الحمار ، والخسف : الذل ، والرمة : قطعة حبل بالية ، والشج : كسر الرأس ، فلا يرثى : فلا يرق ولا يرحم .

(٨) المختصر ضمن الشروح ٣٣٨/٤ .

(٩) المـائدة آيـة ٥٤ .

(١٠) القنا : الرماح ، التثموا : لبسوا لثام الحرب ، والمرد جمع أمرد وهو الشاب الذى لم تنبت له لحية ، ثقال : شداد على الأعداء ، خفاف : مسرعون ، شدوا : حملوا على الأعداء .

فذكر أحوال المشايخ فى البيت الثانى وأضاف لكل حال ما يليق بها • ومنه قــوله :

بدت قمــرا ومالت خــوط بان
وفاحت عنبــرا ورنت غـــزالا

ونحوه قــول الآخـــر :

ســفرن بدورا وانتقبن أهــله
ومس غصـــونا والتفتن جآذرا

ومن هذا قول الامام على كرم الله وجهه : أحسن الى من شئت تكن أميره ، واستغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج الى من شئت تكون أســـيره •

والثالث : استيفاء أقسام الشىء بالذكر • ومنه قوله تعـالى : « له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » (١١) ، فاستوفت الآية كافة العوالم وجميع أقسام الكون ، فلا شىء يخرج عما ذكر فيها ، وكل ذلك ملك لله تعالى • ومنه قوله تعالى : « هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا » (١٢) ، فليس فى رؤية البرق الا الخوف من الصواعق ، والطمع فى الأمطار ، ولا ثالث لهذين لقسمين ، ومن لطيف ما وقع فى هذه الآية تقديم الخوف على الطمع ، لان الصواعق يجوز وقوعها من أول برقة ، وهى سبب الخوف ، والمطر لا يحصل الا بعـد تواتر الابراق وهو سبب الطمع ، فقدم ما يجوز وقوع سببه أولا • كما أن فى تأخير الطمع نسخ للخوف ، كمجىء الرخاء بعد الشدة ، والفرج بعد الكرب ، فيكون ذلك أحلى موقعا فى القلوب (١٣) •

---

(١١) طـــه آيـة ٦ •
(١٢) الرعـــد آيـة ١٢ •
(١٣) أنظر بديع القرآن ٦٥ •

ومنه قوله تعالى : « يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما » (١٤) ، فقد تم استيفاء جميع الأقسام لانه سبحانه اما أن يفرد العبد بهبة الاناث ، أو بهبة الذكور ، أو يجمعهما له ، أو لا يهبه شيئا • وجاءت الأقسام فى الآية على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة ، وهو الانتقال فى النظم من الأدنى الى الأعلى ، اذ قدم فيها هبة الاناث ، وانتقل الى هبة الذكور، ثم الى هبة المجموع ، وجاء كل أقسام العطية بلفظ الهبة ، وأفرد معنى الحرمان بالتأخير ، لان الانعام فى هذا المقام أهم ، فالآية سيقت للاعتداد بالنعم ، وانما ذكر الحرمان ليكتمل التمدح بالقدرة على المنع كما يمدح بالعطاء ، فيعلم أنه لا مانع لما أعطى ، ولا معطى لما منع ، وعبر فى الاخبار عن الحرمان بالجعل دون الحرمان والمنع لما فيهما من الشدة والقسوة ، وليتناسب التعبير مع ما جرى عليه التعبير فى كثير من الآيات حيث يذكر الجعل فى مقام الحرمان كما فى قوله تعالى : « لو نشاء لجعلناه حطاما » (١٥) ، وقوله تعالى (١٦) : « لو نشاء جعلناه أجاجا » (١٧) •

ومنه قوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله » (١٨) فاستوفت الآية الكريمة جميع الأقسام التى يمكن وجودها •

ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم : « ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت » فاستوفى الحديث كل ما يعود على الانسان من ماله فى ثلاثة أشياء ولا رابع لها •

---

(١٤) الشورى آية ٤٩ ، ٥٠ .
(١٥) الواقعة آية ٦٥ .
(١٦) الواقعة آية ٧٠ .
(١٧) انظر بديع القرآن ٦٨ .
(١٨) فاطر آية ٣٢ .

ومن هذا قول أبى تمام فى الأفشين أحد كبار قادة المعتصم ، واتهم بعبادة النار كالمجوس فأحرق بهـا :

صلى لها حيا وكان وقـودها
ميتا ويدخلها مع انفجـار

فاستوفى أحواله مع النار فى محياه ومماته وآخرته .

ومنه قـول زهـير :

فان الحـق مقطعـه ثلاث
يمين أو نفـار أو جـلاء

فبين أن الحق يقطع بواحد من ثلاثة أشياء لا رابع لها اليمين ، أو الاحتكام الى رجل ، أو الكشف عنه حتى ينجلى ، وقد أعجب به عمر رضى الله عنه وقال لو أدركت زهيرا لوليته القضاء لمعرفته (١٩) .

ومنه قول صفى الدين الحلى فى بديعيته :

أفنى جيوش العدا غزوا فلست ترى
سوى قتيل ومأسـور ومنهـزم

بلاغـة التقسـيم :

فى اسلوب التقسيم تفصيل بعد اجمال ، وايضاح بعد ابهام حيث يذكر المتعدد ثم تفصل أحواله ، أو يذكر الشىء وتستوفى أقسـامه ، فيزداد المعنى بذلك فخامة وتأكيدا ، لكونه ذكـر مرتين على هيئتين مختلفتين .

وذكر الشىء دون تفصيل أحواله يشوق النفس لمعرفتها ، ويلهب الفكر ا[illegible] ورها ، فاذا ما جاءت الأقسام مفصلة والأحوال مبينة ثبتت

---

(١٩) الصـناعتين ٢٦٩ .

فى الذهن ، وتمكنت فى النفس ، للحصول عليها بعد شوق وطلب وكد .
واسلوب التقسيم من عوامل ترابط الاسلوب ، واتحاد أجزائه ، فأوله متصل وآخره مرتبط بأوله ، وكل كلمة فيه آخذة بعنق صاحبتها ، اذ الفائدة متوقفة على الكلام جميعه ، ومعلقة بالانتهاء منه ، وقد جعله الشيخ عبد القاهر من النظم الذى يتحد فى الوضع ويدق فيه الصنع ، وترى فيه أجزاء الكلام متحدة ومتداخلة ، ويشتد ارتباط ثان منهـــا بأول (٢٠) .

وفى التقسيم تناسق صوتى بديع ينشأ من الجمل المتســاوية ، والأقسام المحددة ، وما فيها من توازن وسجع غالبا .

وحصر أقسام الشىء واستيفائها بالذكر فى القسم الثالث منه له أثر جليل فى تثبيت المعانى وتمكينها ، حيث يحـــاط بالشىء من كافة أقســامه ، ويحصر من جميع وجوهه ، فلا يبقى أمام العقل الا ان يسلم بما عرض عليه ، ويتفرغ لهضمه واستيعابه .

ويشترط فى حسن التقسيم أن يكون تقسيما صحيحا ، فاذا ذكر المتكلم متعددا ثم ذكر أحوال أفراده فعليه أن يأتى على وجههــــا الصحيح ، واذا أراد حصر الأقسام واستيفاءها استوفاها على وجه دقيق دون أن يترك منها قسما أو يكرر شيئا ، او يداخل بين الأقسام ، شان مثل هذه الأمور تجعل التقسيم رديئا غير مقبول .

وفساد التقسيم يأتى من أمور أشار اليها البلاغيون وهى (٢١) :

١ ــ عدم استيفاء أقسام الشىء كما فى قول جرير :

صـــارت حنيفة أثلاثا فثلثهـم
من العبيد وثلث من مواليهـــا

---

(٢٠) انظر دلائل الاعجاز ٩٣ ، ٩٤ .
(٢١) انظر فى ذلك : نقد الشعر ١٩٢ ، ١٩٣ ، والصناعتين : ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، وسر الفصاحة : ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

فجعل بنى حنيفة ثلاثة أقسام ، ولكنه ذكر قسمين وترك القسم الثالث ، وهذا عيب أخل بالتقسيم وجعله فاسدا ، وروى أنه أنشده ورجل من حنيفة حاضر ، فقيل له من أى الأثلاث أنت ؟ فقال من الثلث الملغى ، وهذا نقد لطيف أظهر عيب التقسيم ٠

ومثله قول بعض العرب :

ســـقاه ســـقيتين الله ســـقيا
طهـــورا والغمـــام يرى الغمـــاما

فقال : سقيتين ثم قال : سقيا طهورا ، ولم يذكر الأخرى ، فلم يستوف الأقسام ٠

٢ ــ تكرير الأقسام ٠ من ذلك قول هذيل الأشجعى :

فما برحت تومى الى بطرفهـــا
وتومض أحيانا اذا خصمها غفل

فتومى بطرفها وتومض فى معنى واحد ، فالتقسيم فاسد ٠

ومنه قـــول أبى تمـــام :

قسم الزمان ربوعها بين الصبا
وقبولهـــا ودبورهـــا أثلاثا

فتقسيمه فاسد من طريق التكرار لان القبول هى الصبا ٠

٣ ــ دخول أحد القسمين فى الآخر ٠ كقول الشاعر :

أبـــادر اهـــلاك مســـتهلك
لمـــالى أو عبث العـــابث

فعبث العابث داخل فى اهلاك المستهلك ، وبذاك فسد التقسيم ٠

٤ — أن يكون أحد القسمين مما يجوز دخوله فى الآخر كقــول ابن القـــــرية :

الناس ثلاثة : عاقل وأحمق وفاجر ، فالفاجر يجوز أن يكون أحمق، ويجوز أن يكون عاقلا ، والعاقل يجوز أن يكون فاجرا وكذلك الأحمق ،

واذا جاز دخول أحد القسمين فى الآخر فسدت القسمة •

وسأل كيسان فقال : علقمة بن عبدة جاهلى أو من بنى تميـــم ؟ فضحك من سؤاله • لأن الجاهلى قد يكون من بنى تميم ومن غيرهم ، والتميمى قد يكون جاهليا واسلاميا •

٥ — عدم التناسب بين الأقسام كما فى قول قيس بن الخطيم :

وسلوا ضريح الكاهنين ومالكـــا
كم فيهـــم من دارع ونجيب

فلا مناســبة بين دارع ونجيب ، فالدارع الرجــل ذو الدرع ، والنجيب الكريم •

وقريب منه قول الأخطــل :

اذا التقت الأبطال أبصرت لونه
مضيئا وأعنــاق الكمــاة خضوع

فمضيئة مع خضوع ردىء جدا ، وكان ينبغى أن يقول : وألوان الكماة كاسفة •

الجمـــع مع التفـــريق

وهو أن يدخل شيئان في معنى واحد ويفرق بين جهتي الادخال (١) كقول رشيد الدين الوطواط :

فوجهـك كالنـار في ضـوئها
وقلبى كالنـار في حـرها

فأدخل قلبه ووجه الحبيب في معنى واحد حيث شبههما بالنار ، وفرق بين وجهى المشابهة ، فالوجه كالنار في الضوء والاشراق ، والقلب كالنار في الحرارة والاحتراق .

ومن هذا قوله تعالى : « وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة » (٢) ، فجمع بين الليـل والنهـار في كونهما آيتين ، ثم فرق بين الآيتين . فآية الليل مطموسة مظلمة ، وآية النهار مضيئة منيرة . وجعل الطيبى من هذا قوله تعالى : « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت في منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى » (٣) ، جمع الأنفس في حكم التوفى ، ثم فرق من جهتى التوفى بالحكم ، بالامساك والارسال ، أى الله يتـوفى الأنفس ، النفس التى تقبض ، والنفس التى لم تقبض ، فيمسك الأولى ويرسل الأخرى (٤) .

ومعنى الآية تفصيلا : الله يتوفى الأنفس وقت موتها المحدد لها ، وهذه هى الوفاة الحقيقية ، ويتوفى الأنفس التى لم تمت حقيقـة في منامها ، تشبيها النوم بالموت ، فيمسك الأنفس التى قضى عليها الموت

---

(١) الايضـاح ٦/٤٨ .
(٢) الاسـراء آيـة ١٢ .
(٣) الزمـر آيـة ٤٢ .
(٤) التبيـان ٤٠٥ .

الحقيقى فلا يردها حية ، ويرسل الأخرى النائمة حتى يأتى الأجل المحدد لموتها الحقيقى (٥) .

ومنه قوله تعالى : « قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » (٦) ، فالجمع فى الخلقة ، والتفريق فى بيان جنس الخلقة فابليس من نار وآدم من طين .

ومن الجمع مع التفريق قول البحترى :

ولما التقينا والنقا موعد لنا
تعجب رائى الدر حسنا ولا قطة
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها
ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

فجمع بين ثغرها وكلامها فى التعبير عنهما باللؤلؤ ، ثم فرق فاللؤلؤ الأول يتجلى عند ابتسامها ، واللؤلؤ الآخر يتساقط عند حديثها .

ومنه قول ابن حجة الحموى فى بديعيته :

سناه كالبرق أن أبدوا ظلام وغى
والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

فجمع بين سناه وعزمه فى كونهما يشبهان البرق ، وفرق فى جهتى المشابهة .

ومنه قول الفخر عيسى :

تشابه دمعانا غداة فراقنا
مشابهة فى قصة دون قصة

---

(٥) انظر الكشاف ، والانتصاف ٣٩٨/٣ ، ٤٠٠ .
(٦) ص ٧٦ .

فوجنتها تكسو المدامع حمرة
ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

فجمع بين الدمعين فى الشبه ، ثم فرق بينهما بأن دمعها أبيض ، فاذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها ، وأن دمعه أحمر لانه يبكى دما ، وخده من النحول أصفر فاذا جرى عليه الدمع كساه حمرة (٧) .

ومنه قول على بن مليك :

بالروح أفدى صاحبا لم يزل
محتقرا ذنبى فى عفوه
فكفه كالماء فى جوده
وقلبه كالماء فى صفوه

فجمع بين كفه وقلبه فى التشبيه ، وفرق بينهما فى وجه الشبه .

ومن الجيد فى ذلك لمجيئه على نمط فريد قول مروان بن أبى حفصة:

تشابه يوماه علينا فأشكلا
فما نحن ندرى أى يوميه أفضل
أيوم نداه الغمر أم يوم بأسه
وما منهما الا أغر محجل

فيوماه يتشابهان فى الفضل والبهاء ، وان كانا يفترقان فيما يعمله فى كل منهما ، فيوم للكرم ويوم للبأس والحرب .

---

(٧) خزانة الأدب ٢/٢٥٦ .

الجمــــع مع التقســــيم

وهو جمع متعدد تحت حــكم واحد ثم تقسيمه ، أو تقسيمه ثم جمعه تحت حكم واحد ، وعلى هذا فهو قسمان :

الأول : الجمع ثم التقسيم • كقول المتنبى :

حتى أقام على أرباض خرشنة
تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا
والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا(١)

فجمع فى البيت الأول شقاء الروم بالممدوح على سبيل الاجمال ، حيث قال : تشقى به الروم ، ثم قسم فى الثانى هذا الشقاء وفصله ، فقسمه الى سبى وقتل ونهب واحراق ، وفصله بأن أضــاف لكل حال ما يناسبه ، فللسبى ما نكحوا من النســاء ، وللقتل ما ولدوا ، وللنهب ما جمعوا من المال والمتاع ، وللنار ما زرعوا من مزروعات ، وأما ما عطف على الروم من الصلبان والبيع فلم يتعرض له فى التقسيم ، وعبر عن نسائهم وأولادهم بما التى لغير العاقل اشارة الى اهانتهم وقلة المبالاة بهم ، حتى كأنهم ليسوا من جنس ذوى العقول ، وملاءمة لقــــوله ما جمعــــوا وما زرعــــوا (٢) •

ومثل له السيوطى بقوله تعالى : « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم ســابق بالخيرات باذن الله » (٣) ، فقد جمعهم الله تعالى فى ايراث الكتاب ، ثم قسمهم

---

(١) الأرباض : أسوار المدينة ، وخرشنة : بلد بالروم •
(٢) المختصــــر وحاشية الدسوقى ٤/٣٤٠ •
(٣) فاطــــر آيــة ٣٢ •

الى الأقسام الثلاثة (٤) • التى استوفت جميعهم ، وقد سبق الاستشهاد بهذه الآية فى النوع الثالث من التقسيم باعتبار أنها قد استوفت أقسام الناس •

والثانى : التقسيم ثم الجمع • كقول حسان فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته :

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم
أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة
ان الخلائق فاعلم شرها البدع

فقسم فى البيت الأول صفة الممدوحين الى ضر الأعداء ونفع الأولياء ، ثم جمعهما فى البيت الثانى بقوله : سجية تلك منهم •

وقد أثنى الشيخ عبد القاهر على هذا القسم الثانى ، واستشهد له بقول حسان السابق ، ثم قال : ومن ذلك وهو شىء فى غاية الحسن قول القائل — ابراهيم بن العباس الصولى — :

لو أن ما أنتم فيه يدوم لكم
ظننت ما أنا فيه دائما أبدا
لكن رأيت الليالى غير تاركة
ما سر من حادث أو ساء مطردا
فقد سكنت الى أنى وأنكم
سنستجد خلاف الحالتين غدا

فقوله : « سنستجد خلاف الحالتين غدا » جمع فيما قسم لطيف ،

---

(٤) شرح عقود الجمان ١٠٨/٢ ، ١١٠ •

وقد ازداد لطفا بحسن ما بناه عليه ، ولطف ما توصل به اليه من قوله :
« فقد سكنت الى أنى وأنكم » (٥) .

وقد يأتى الجمع مقدرا ، كما قد يأتى التقسيم مقـــدرا ، وبين الطيبى هذا فقال : ومن الجمع التقديرى مع التقسيم قوله تعـــالى : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ، فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما » (٦) . فحذف فى الجمع ذكر المؤمنين أى ومن يستنكف ومن لم يستنكف فسيحشرهم وذلك لدلالة التقسيم عليـــــه .

ومن التقسيم التقديرى قوله تعالى عقب الآيات الســـابقة : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينـــا ، فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضـــل ويهديهم اليه صراطا مستقيما » (٧) ، فذكر جزاء المؤمن ولم يذكـــر جـــزاء الكافـــر (٨) .

وقد سبق أن أشار الزمخشرى الى هذا ففى الموضع الأول ذكر أن التفصيل اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحـــد ، وفى الموضع الثانى اشتمل التفصيل على فريق واحد (٩) . بعد ذكر الجميع فى المفصـــل .

---

(٥) دلائل الاعجاز ٩٤ ، ٩٥ .
(٦) النســـاء آيـة ١٧٢ ، ١٧٣ .
(٧) النســـاء آيـة ١٧٤ ، ١٧٥ .
(٨) التبيـــان ٤٠٦ .
(٩) انظر الكشـــاف ١/٥٨٨ ، ٥٨٩ .

الجمع مع التفريق والتقسيم

وهو أن يجمع بين متعدد فى حكم ، ثم يفرق بين أفراده ، ثم يضاف لكل واحد ما يناسبه . فتأتى الألوان الثلاثة مبدوءة بالجمع ، فالتفريق فالتقسيم .

ومن أمثلته قوله تعالى : « يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد ، فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد ، وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ » (١) ، فالجمع فى قوله : « لا تكلم نفس الا باذنه » فنفس متعدد معنى لان الفكرة فى سياق النفى تعم ، والتفريق فى قوله : « فمنهم شقى وسعيد » ، والتقسيم فى قوله : « فأما الذين شقوا » الى آخر الآيات (٢) .

ومنه قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » (٣) ، فالجمع فى قوله : « أنزل عليك الكتاب » والتفريق فى قوله : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات » والتقسيم فى قوله : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ » ، وقوله : « والراسخون فى العلم » .

ومن هذا قول ابن شرف القيروانى :

---

(١) هود آية ١٠٥ — ١٠٨ .
(٢) الايضاح ٦/٥١ .
(٣) آل عمران آية ٧ .

لمختلفى الحاجات جمـع ببـابه
فهـذا له فن وهـــذا له فن
فللخامل العليـا وللمعـدم الغنى
وللمذنب العتبى وللخـائف الأمن

فجمع بقوله : لمختلفى الحاجات ، وفرق بقوله : فهذا له فن وهذا له فن ، وقسم بقوله : فللخامل العايا ، الى آخر البيت .

ومنه قول ابراهيم بن العباس :

لنا ابل كوم يضيق بها الفضـا
ويفتـر عنها أرضـهـا وسماؤها
فمن دونهـا أن يستباح دماؤنا
ومن دوننا أن تستباح دماؤهـا
حمى وقرى فالموت دون مرامها
وأيسر خطب يوم حق فنـاؤها

فجمع فى البيت الأول ، وفرق فى البيت الثانى ، وقسم فى قوله : حمى وقرى .

بلاغة الفنـــون المزدوجة :

عرضنا فيما سبق لفنون مزدوجة هى الجمع مع التفريق ، والجمع مع التقسيم ، والجمع مع التفريق والتقسيم . وقد بينا فيما سبق بلاغة كل فن مفرد منها ، ولا شك أن اجتماع فنين أو ثلاثة منهـا فى الكلام يزيده جمالا وترابطا وقوة ، طالما لم يصحبها تكلف ولا تعقيد ، ولم تكن طاغية على جانب المعنى من أجل التحسين البديعى .

وقد أشار بعض البلاغيين الى أن فى اجتماع هذه الفنون تحسينا

زائدا على مجيئها منفردة .فالجمع مع التفريق ، أو مع التقسيم ، أو معهما ، يحدث لونا من التقابل فى الاسلوب يوجب حسنا زائدا على مجىء كل لون منها بمفرده (٤) .

وفى اجتماع هذه الفنون تلوين للكلام ، وتنشيط للسامع ، وتهييج للفكر ، بالانتقال من جمع الى تفريق الى تقسيم ، وأداء المعنى بصور مختلفة .

* * *

(٤) انظر عقود الجمان ١٠٨/٢ ، وحاشية الدسوقى ٣٣٨/٤ .

الخاتمـــــــة

مكانة البديع بين علوم البلاغـة

بدأت الدراسات المنهجية فى البلاغة العربية بدراسة فنون البديع على يد عبد الله بن المعتز ت ٢٩٦ هـ ، وذلك فى كتابه « البديع » الذى أسلفنا الحديث عنه فى التمهيد • ومضت مسيرة البحث البلاغى عبـــر العصور الأدبية ، ونالت فيها فنون البديع جل اهتمام العلماء ، كما نرى فى مؤلفات قدامة بن جعفر وأبى هلال العسكرى وابن رشيق وابن سنان الخفاجى وغيرهم ، وكان البديع عندهم يطلق على معظم الصور البلاغية التى صنفت بعد ذلك فى علوم ثلاثة : المعانى والبيان والبديع •

ثم عصفت رياح الضعف الأدبى حاملة معها تيارا مغرقا فى الصنعة مولعا بالتفنن والتشعيب فى ألوانه الأصيلة • وظهرت البديعيات وتفرغت عقول صائغيها لرصـــــد كل الوشى البديعى صحيحه وعليله ، أصيلة ودخيله ، فتراكم من ذلك كم هائل من فنون البديع ، منها ما له قيمة فى التعبير ، ومنها ما لا وزن له ، ومنها ما تداخل مع غـــيره فلا يفترقان الا فى الاســـــم •

ومن جراء ذلك تحول الفن التعبيرى الجميل الى زخرف شكلى ، وتلاعب لفظى ، فى سبك متكلف ، وصنعة معقدة • وهذا مما هون من شأن البديع لدى المتأخرين من علمـــاء البلاغة ، وأضعف من قيمتـــه ، واعتبروه حلية وزينة فى الاسلوب ، ولا دخل له فى بلاغة الكلام •

ويحمل الباحثون الخطيب القزوينى تبعـــة اخـــراج البديع من الخصائص البلاغية التى تتوقف عليها بلاغة الكلام ، حيث عرف البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، وبعد أن شرح التعريف

وبين مراتب البلاغة قال : واعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة غير راجعة الى مطابقة مقتضى الحال ، ولا الى الفصاحة ، تورث الكلام حسنا وقبولا (١) — يعنى وجوه البديع — • وبهذا أخرج فنون البديع من تعريف البلاغة اذ عدها غير راجعة الى مقتضى الحال ولا الى الفصاحة •

وأكد على هذا مرة ثانية حين بين أن بلاغة الكلام مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، فالذى يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى هو علم المعانى ، والذى يحترز به عن غير الفصيح بسبب التعقيد المعنوى هو علم البيان، وما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته هو علم البديع (٢) •

فجعل بلاغة الكلام راجعة الى علمى المعانى والبيان ، أما علم البديع فيعرف منه وجوه تحسين الكلام بعد تمام بلاغته بالمطابقة لمقتضى الحال ووضوح الدلالة •

ويرى بعض الباحثين أن الخطيب مقتد فى هذا بالسكاكى ، الذى حصر البلاغة فى علمى المعانى والبيان وبعد أن انتهى من شرح أبوابهما قال : واذ تقرر أن البلاغة بمرجعيها — المعانى والبيان — وأن الفصاحة بنوعيها — اللفظية والمعنوية — مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسين ، فهنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار اليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير الى الأعرف منها ، وهى قسمان : قسم يرجع الى المعنى وقسم يرجع الى اللفظ (٣) ، ثم مضى يشرح هذه الوجوه دون أن يطلق عليها اسم البديع •

وهذا الرأى موضع نظر ، لان كلام السكاكى غير قاطع فى اخراج

---

(١) الايضاح ١/٤١ ، ٤٦ ، ٤٧ •
(٢) الايضاح ١/٤٩ ، ٥٠ . وانظر تعريفه للبديع فى الايضاح ٦/٤ .
(٣) مفتاح العلوم ٤٢٣ .

وجوه البديع من البلاغة ، ولكنه يجعل هذه الوجوه تعدل الفصاحة والبلاغة فى تحسين الكلام وتزيينه ، واذا كان التحسين الذى تعقبه الفصاحة والبلاغة فى الاساليب ذاتيا فالتحسين الذى تعقبه هذه الوجوه فى الكلام كذلك (٤) . فوجوه البديع عنده مساوية لوجوه الفصاحة والبلاغة فى كونهما مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين ، ومن هنا ذكر ضمن وجوه تحسين الكلام الالتفات ، والايجاز والاطناب منبها على سبق دراستها فى علم المعانى (٥) .

وتأخير السكاكى الحديث عن وجوه التحسين الى الفراغ من علمى المعانى والبيان ، وافراده لها بالذكر لا يقتضى أنه جعلها ذيلا وذنبا للبلاغة ، ولا يشير الى أنه فصلها عنها ، فخطته التى اتبعها فى الكتاب استوجبت ذلك ، اذ أخذ نفسه فى أول الكتاب بتبيين الخواص التى تعرض للتراكيب من حذف وذكر وتعريف وتنكير واطلاق وتقييد ونحو ذلك ، فلم يلف شيئا منها طباقا أو مقابلة أو تقسيما أو مزاوجة أو ما اليها فوضعها هذا الوضع الذى لم ينزل من مكانتها مسويا بينها وبين العلمين فى العود على الكلام بالتحسين والتزيين (٦) .

وجاء بعد السكاكى بدر الدين بن مالك ت ٦٨٦ هـ بكتابه «المصباح» ومضى فى جل مباحثه على نهج السكاكى ، الا أنه أعطى وجوه تحسين الكلام مزيدا من الأصالة ، ووضعها فى مرتبة مباحث المعانى والبيان على النحو التالى :

١ — تحدث فى مقدمة كتابه عن فوائد علم البلاغة والفصاحة فقال : ويحترز به عن الخطأ فى تطبيق الكلام لمقتضى الحال ، من تأدية تمام المراد على وفق ما يقتضيها من وضوح الدلالة أو خفائها ، ومن تزيين

---

(٤) الصبغ البديعى ٥٠٥ .
(٥) انظر مفتاح العلوم ٤٢٩ ، ١٩٩ ، ٢٧٦ .
(٦) انظر الصبغ البديعى ٥٠٦ .

العبارة بما يورث مزيد قبولها واستجلائها (٧) ... فجعل محسنات العبارة شريكا مع مباحث علمى البيان والمعانى فى تأدية تمام المراد على وفق ما يقتضيه الحال .

٢ — جعل محسنات الكلام علما مستقلا له شأنه ومكانته هو علم البديع ، فأصبحت البلاغة على يديه تتكون من ثلاثة علوم : المعانى والبيان والبديع بعد أن كانت علمين عند السكاكى يعقبهما وجوه تحسين الكلام .

٣ — جعل الفصاحة متوقفة على أمرين :

أحدهما : الافهام والتعيين باللفظ المختار ، والآخر : تزيين الكلام بايداع ما يورثه القبول من وجوه التحسين . ووجوه التحسين هذه تنقسم الى قسمين :

الأول : ما يرجع الى الفصاحة اللفظية وذكر فيه أربعة وعشرين وجها منها : التجنيس — والتسجيع — والمطابقة — والمقابلة — والمشاكلة — والمزاوجة — والتوشيع .

والثانى : ما يرجع الى الفصاحة المعنوية ، ووجوه هذا القسم على نوعين : وجوه مختصة بالافهام التبيين ، وذكر منها تسعة عشر وجها منها : حسن البيان — والايضاح — والتقسيم — والتتميم — والاحتراس — والتذييل — والاعتراض — والتجريد — والتكرار — والتعليل . ووجوه مختصة بالتزيين والتحسين وعددها خمسة عشر وجها منها اللف والنشر — والتفريق — والجمع — والتورية — والائتلاف (٨) .

---

(٧) المصباح ٢ .
(٨) المصباح ٤ ، ١٦١ .

فنراه جعل فائدة بعض ألوان البديع الافهام والتبيين ، وهـذا أساس بلاغة الكلام ، والهدف المراد منه ؛ وما يحقق الأفهام والتبيين لا يمكن أن يعتبر شيئا عرضيا أو ترفا فى الأسلوب • كما أدخل صورا كثيرة من الاطناب فى علم البديع • وقد سبق له درس بعضها فى علم المعـــانى (٩) •

والمتأمل فى فنون البديع يرى أن بعضها لا يزيد عن كونه حليـــة شكلية وتلاعبا لفظيا ، وهذه الفنون ينبغى طرحها وعدم الاعتداد بها ، ويرى أن كثيرا من فنـــون البديع له أثر جليل فى الاسلوب شـــكلا ومضمونا ، كالفنون التى درسناها فى كتابنا ، ونحوها مما ورد فى كتب البلاغيين ، وهذه الفنون التى لها قيمة ووزن فى الكلام ، وتؤدى أغراضا لا توجد بدونها ، نعتبرها من جوهر البلاغة ولبها وصورها الأصيلة ، ولا تقل قيمة عن التشبيه أو الاستعارة أو غيرهما من الصـــور التى جعلوها داخلة فى حد البلاغة •

وهذا الرأى يؤيده ويؤكده عدة أمور :

١ ـــ أن صور البديع التى درسناها وما يشبهها تفيد أغراضـــا وقيما فى التعبير لا يمكن اغفالها أو التقليل من قيمتها ، وقد فصلنـــا القول فى بلاغة كل لون من الألوان التى درسناها وبينا أثره فى الاسلوب فلا داعى لتكرار ذلك هنا ، واذا كان التشبيه يفيد بيان حال المشبه أو بيان مقدار حاله أو تقريره أو بيـــان امكانه وغير ذلك ففى الألوان البديعية ما يفيد التوضيح والتقرير ، ومنها ما يفيد بيان الامكـــان والمبالغة ، ومنها ما يحقق التناسب والتلاؤم وتلاحم الأجزاء وهـذا مما لا يستغنى عنـــه الكلام البليغ ، اذا لا يصـــح وصف فن بديعى بالعرضية فى اسلوب أضـــاف اليه خصوصية ، وأدى فيه غرضـــا من الأغـــراض •

---

(٩) انظر المصـــباح ٨١ •

٢ — بعض صور البديع تدخل فى علم المعانى ، أو علم البيان ، وقد درسها بعض العلمـــاء فى مواطنها من هذين العلمين • من ذلك الالتفات — والتذييل — والتتميم — والتكميل — والايضاح بعـــد الابهام — والتهكم — وحسن التعليل — والتجريد ، وهذه الصور تدخل فى تعريف البلاغة عندما تدرس فى أحد هذين العلمين ، فكيف لا تدخل فى حد البـــلاغة اذا درست فى علم البديع ؟! هذا أمـــر يثير العجب ، ونظرة بعيدة عن الصواب لجأ اليها أنصار عرضية البديع عندما وجدوا بعض ألوانه تدرس فى علم المعانى أو علم البيان ، فقالوا عن الالتفات : انه من حيث اشتماله على نكتة (١٠) هى خاصية التركيب من علم المعانى، ومن حيث انه ايراد المعنى الواحد فى طرق مختلفة فى الوضوح والخفاء من علم البيـــان ، ومن حيث انه يحسن الكـــلام ويزينـــه من علـــم البـــديع (١١) •

فصنفوا الفن الواحد فى العلوم الثلاثة باعتبارات مختلفة ، وهو عندما يكون من المعانى أو البيان يعدونه من صميم البلاغة ، وعنـــدما يكون من البديع يعتبرونه حلية وعرضا ، وهذه تفرقة لا تصح ، فما دام اللون البلاغى قد جاء فى موطنه مستوفيا شروط القبول فمن العبث أن نصفه فى كلام واحد بأنه من صميم البلاغة ثم نعود ونصفه بأنه محسن ومزين عرضى بناء على اعتبارات لم يلتفت اليها المتكلم •

علما بأن المتكلم عنـــدما يستعمل اسلوب الالتفات أو غـــيره من الاساليب البلاغية فانه يستدعى ما فيها من أسرار صالحة للمقـــام ، يستوى فى ذلك ما كان منها راجعا الى المعانى أو البيان أو البديع •

٣ — وردت فنون البديع فى الأدب الجاهلى والاسلامى شـــعره

---

(١٠) نحو بعث المتلقى على مزيد الاصغاء والميل الى الكلام ، اذا كان المقام يستدعى ذلك .

(١١) حاشية السيد الشريف على المطـــول ١٣٠ ، وانظـــر مواهب الفتاح ١/٤٦٤ .

ونثره ، واستخدمها العرب الخلص فى التعبير عن أغراضهم كغيرها من طرق التعبير بطريقة فطرية لا تستند الى قواعد ، فجاء فى أساليبهم التشبيه والقصر والاستعارة بجوار الطباق والسجع والجناس دون فرق فالحكم على الأساليب الأولى بالذاتية والأخرى بالعرضية حكم غير صحيح ، لان جميعها عند الناطقين بها من طرق التعبير التى يؤدون بها معانيهم ، ويختارون منها لكل معنى ما يناسبه ، وما يؤديه على الوجه الأكمل ، فى ضوء الأحوال والمقامات .

٤ — يشتمل القرآن الكريم على قدر كبير من فنون البديع ، وقد جاءت فيه على نهجه المعجز، لا تختلف فى سمو بلاغتها عن بقية الاساليب والصور القرآنية ، والحكم على فنون البديع بالعرضية يعنى اشتمال النظم القرآنى ، على حلى عرضية ، وهذا اتهام تدحضه البلاغة القرآنية العالية التى أعجزت الانس والجن ، ولا يستساغ القول بعرضية هذه الفنون فى النتاج الأدبى ، وذاتيتها فى النظم القرآنى .

٥ — سلك الشيخ عبد القاهر المزاوجة — والتقسيم — والتشبيه المتعدد فى سلك واحد حين جعلهما من النظم العالى الذى يتحد فى الوضع ويدق فيه الصنع (١٢) ، فهو لا يفرق فى النظم بين لون بديعى ولون بيانى طالما أن كلا منهما يزيد من حسن النظم ويرفع من شأنه ويعلى من قيمته .

وتوسع فخر الدين الرازى فى هذا فسلك فى النظم العالى الذى تلتحم أجزاؤه ويشتد ارتباطها أبوابا كثيرة من البديع وبعض أبواب المعانى والبيان كالاعتراض — والالتفات — والتلميح (١٣) .

---

(١٢) انظر دلائل الاعجاز ٩٣ — ٩٦ .
(١٣) انظر نهاية الايجاز ٢٧٥ — ٢٩٣ .

فالفن الابلاغى عند الشيخين يقدر بأثره فى النظم ، وبالقيمة التى يحققها فيه ، وليس عندهما محسن ذاتى وآخر عرضى ، وهـذا هـو المقياس الصحيح الذى ينبغى تطبيقه فى الحكم على الفنون البلاغية .

٦ — لا يصح الحكم على الفنون البديعية احتجاجا بما لها من أثر شكلى فى الاسلوب ، لأن وراء هذا الأثر الشكلى أغراضا معنوية هى المقدمة فى الحكم عليها بالحسن ، وقد أكد الشيخ عبد القاهر على أن الحسن فى هذه الفنون راجع الى المعنى أولا ، وضرب أمثلة بالطباق والتجنيس والسجع بين فيها أن حسنها راجع الى ما لهـا من آثار معنوية ، وأن الحكم عليها ينبغى أن يكون من خلال المعنى (١٤) ، وقد فصلنا القول فى ذلك عندما تحدثنا عن بلاغة هذه الألوان ، وذكرنا كلام الشيخ فى هذا .

كما أن السكاكى بعد أن فرغ من الحديث عن المحسنات اللفظية خشى من أن يظن أن الحسن فيها راجع الى اللفظ فبين أن المعنى فيها هو أصل الحسن بقوله : وأصل الحسن فى جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعـانى لا أن تكون المعـانى لها توابع ، أعنى ألا تكون متكلفة (١٥) .

ومما يحمد للخطيب أنه ذكر مثل هذا فى ختام حديثه عن المحسنات اللفظية ، وأرجع الكلام الى مصدره وهو الشيخ عبد القاهر ، ونبه على ما يقع فيه بعض المتأخرين من شغف بالبديع حتى تستغلق معانيه على الأفهام ، ودعا الى اهمال بعض فنون البديع التى لا أثر لهـا فى التحسين ، أو اختلطت بغيرها من الصور البلاغية (١٦) .

---

(١٤) انظر اسرار البلاغة ٤ — ١٤ .
(١٥) مفتـاح العـلوم ٤٣٢ .
(١٦) الايضـاح ١٩٧/٦ ، ١٩٨ .

٧ — عرف المتقدمون البلاغة بأنها : ايصال المعنى الى القلب فى أحسن صورة فى اللفظ ، فاشترطوا فى الكلام البليغ حسن اللفظ وجمال الصورة بجانب ايصال المعنى الى قلب السامع • وجعل الرمانى البلاغة عشرة أقسام : الايجـاز — والتشبيه — والاستعارة — والتـلاؤم — والفواصل — والتجانس — والتصريف — والتضمين — والمبالغـة — وحسن البيان •وهذه الأقسام منها ما يدخل فى علم البيان ومنها ما يدخل فى علم البديع عند المتأخرين ، ومقاييس المتقدمين أصل فى هذا ينبغى الاعتماد عليه وعدم التفريط فيه •

٨ — مضى بعض أعلام المتأخرين على جعل البديع أصلا من أصول البلاغة يقف على قدم المساواة مع أخويه المعانى والبيان • من هؤلاء شرف الدين الطيبى (ت ٧٤٣ هـ) فقد جعل مرجع البلاغة الى الاحتراز عن الخطأ فى قوانين التراكيب ، وفى طرق دلالتها ، وفى التحسـين ، وما يحترز به عن الأول علم المعانى ، وعن الثانى علم البيان ، وعن الثالث علم البديع (١٧) •

وعلى نهجه مضى أبو جعفر الغرناطى (ت ٧٧٩ هـ) فى مقـدمة شرحه بديعية ابن جابر الأندلسى فى كتابه « طراز الحلة وشفاء الغلة » حيث عرف البلاغة بأنها : بلوغ المتكلم فى تأدية المقصود الغاية من رعاية حسن اللفظ ، وتوفية المعنى بحسب اقتضاء المقام ، وجعلها راجعة الى ثلاثة أشياء : ما يحترز به عن الخطأ فى خواص التراكيب وهـو علم المعانى وفى طرق دلالتها وهو علم البيان ، وفى وجوه تحسينها وهو علم البديع ، فالبلاغة لا تحصل الا لمن استكمل العلوم الثلاثة (١٨) •

ومن هذا نرى أنهما جعلا البلاغة متوقفة على مراعاة أصول العلوم

---

(١٧) التبيـــان ٤٧ •

(١٨) الصبغ البديعى ٥٠٧ ، ٥٠٨ •

الثلاثة دون فرق بينها فى الأهمية ، وهذه هى النظرة الصائبة التى يجب أن تسود الفكر البلاغى •

وبناء على ما سبق نرى أن فنون البديع اذا جاءت غير متكلفة وكان لها أثر فى الاساوب يقتضيه المقام فانها تكون محسنا ذاتيا ولا فرق بينها وبين الصور البلاغية الأخرى التى تدخل فى علمى المعانى والبيان •

وتعريف الخطيب للبلاغة يمكن أن يشمل هذه الفنون ، فالبلاغة عنده : مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته ، والتوسع فى مفهوم الحال يجعل التعريف منطبقا على فنون البديع ، فاذا اقتضى الحال طباقا أو تقسيما أو مزاوجة أو غير ذلك كان الكلام المشتمل عليها مطابقا لمقتضى الحال ، وخلوه منها يجعله غير مطابق ، فيكون فى الأول بليغا وفى الثانى على خلافه (١٩) •

وبهذا نصل الى نهاية ما قصدناه داعين الله عز وجل أن يجعل عملنا خالصا مقبولا • وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين •

* * *

(١٩) الصبغ البديعى ٧٠٥ .

المراجـــــــع

١ ــ الاتقان فى علوم القرآن ــ السـيوطى .
٢ ــ أسرار البلاغة ــ عبد القاهر الجرجانى . ت رشيد رضا .
٣ ــ الاشارات والتنبيهات ــ محمد الجرجانى . ت د. عبد القـادر حسـين .
٤ ــ الأطـول ــ العصـام .
٥ ــ الاعجاز البلاغى ــ د. محمد أبو موسى .
٦ ــ اعجاز القـرآن ــ الباقلانى . ت السيد صقر .
٧ ــ الأقصى القريب ــ التنوخى .
٨ ــ الانتصاف على الكشاف ــ ابن المنير .
٩ ــ الايضاح ــ الخطيب القزوينى . ت د. محمد خفاجى .
١٠ ــ بديع القرآن ــ ابن أبى الاصبع ــ ت د. حفنى شرف .
١١ ــ البديع ــ ابن المعتز . ت كراتشكوفسكى .
١٢ ــ البديع فى نقد الشعر ــ أسامة بن منقذ . ت د. أحمـد بدوى و د. حامد عبد المجيـد .
١٣ ــ البديع فى ضوء أساليب القرآن ــ د. عبد الفتاح لاشين .
١٤ ــ البديع من المعانى والألفاظ ــ د. عبد العظيم المطعنى .
١٥ ــ البرهان فى علوم القرآن ــ الزركشى . ت أبو الفضل .
١٦ ــ بغية الايضاح ــ عبد المتعال الصعيدى .
١٧ ــ البلاغة القرآنيـة ــ د. محمد أبو موسى .
١٨ ــ ابن أبى الاصبع المصرى ــ د. حفنى شرف .
١٩ ــ البيان والتبيين ــ الجاحظ . ت عبد السلام هارون .

٢٠ — تأويل مشكل القرآن — ابن قتيبة • ت السيد صقر •

٢١ — التبيان فى علم المعانى والبديع والبيان — الطيبى • ت هادى عطيــــة •

٢٢ — تحرير التحبير — ابن أبى الاصبع — ت د• حفنى شرف •

٢٣ — التحرير والتنوير — الطاهر بن عاشور •

٢٤ — جنان الجناس — الصــــفدى •

٢٥ — جوهر الكنز — نجم الدين الحلبى — ت د• محمد زغلول سلام•

٢٦ — حاشية الدسوقى على المختصر — محمد الدسوقى •

٣٧ — سر الفصاحة — ابن سنان الخفاجى • ت الصعيدى •

٢٨ — حاشية الشهاب على البيضاوى — الشهاب الخفاجى •

٢٩ — حاشية عبد الحكيم على المطول — عبد الحكيم السيالكوتى •

٣٠ — حدائق السحر فى دقائق الشعر — رشيد الدين العمرى •

٣١ — خزانة الأدب — ابن حجة الحموى • ت عصام شعيتو •

٣٢ — الخواطر السوانح فى أسرار الفــواتح — ابن أبى الاصبع • ت د• حفنى شرف •

٣٣ — دراسات بلاغية — د• صباح عبيد دراز •

٣٤ — دلائل الاعجاز — عبد القاهر الجرجانى • ت محمود شاكر •

٣٥ — ديوان حســان — ت وشرح البرقوقى •

٣٦ — ديوان المتنبى — شرح البرقوقى •

٣٧ — سر الفصاحة — ابن سنان الخفاجى • ت الصعيدى •

٣٨ — شرح عقود الجمان — السيوطى والمرشدى •

٣٩ — شرح مقامات الحريرى — الشريشى •

٤٠ — الصبغ البديعى فى اللغة العربية — د• أحمد موسى •

٤١ — الصناعتين — أبو هلال العسكرى •

٤٢ ـ الصور البديعية بين النظرية والتطبيق ـ د. حفنى شرف .
٤٣ ـ الطـــراز ـ العـــلوى .
٤٤ ـ عروس الأفـراح ـ السبكى .
٤٥ ـ العمـــدة ـ ابن رشيق . محمد محيى الدين .
٤٦ ـ علوم البلاغة ـ أحمد المراغى .
٤٧ ـ عيار الشعر ـ ابن طباطبا . ت د. عبد العزيز المانع .
٤٨ ـ فض الختــام عن التورية والاستخدام ـ الصـــفدى .
ت د. المحمدى الحنـــاوى .
٤٩ ـ فن البديع ـ د. محمد حسن حجازى .
٥٠ ـ قدامة والنقد الأدبى ـ د. بدوى طبانة .
٥١ ـ قواعد الشعر ـ ثعلب . ت د. محمد خفاجى .
٥٢ ـ الكامل ـ المبـــرد .
٥٣ ـ الكشــاف ـ الزمخشرى .
٥٤ ـ لسان العرب ـ ابن منظور .
٥٥ ـ المختصـــر ـ سعد الدين التفتازانى .
٥٦ ـ المثل الســائر ـ ابن الأثير .
٥٧ ـ المصباح فى المعــانى والبيان والبديع ـ بدر الدين بن مالك .
ت د. حسنى عبد الجليل .
٥٨ ـ المطول ـ سعد الدين التفتازانى .
٥٩ ـ معاهد التنصيص ـ العباسى . ت محيى الدين .
٦٠ ـ معترك الأقران ـ السيوطى . ت البجاوى .
٦١ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية .
٦٢ ـ مفتاح العلوم ـ السكاكى . ت زرزور .
٦٣ ـ منهاج البلغاء ـ حازم القرطاجنى . ت ابن الخوجة .

٦٤ — الموازنة — الآمدى . ت السيد صقر .

٦٥ — مواهب الفتاح — ابن يعقوب .

٦٦ — المواهب الفتحية — حمزة فتح الله .

٦٧ — الموشـــح — المرزبانى .

٦٨ — نظرات فى البلاغة والاسناد — د. محمد عبد الرحمن الكردى .

٦٩ — نظرات فى البيان — د. محمد عبد الرحمن الكردى .

٧٠ — نقد الشعر — قدامة بن جعفر . ت د. خفاجى .

٧١ — نقد النثر — تقديم طه حسين و ت العبادى .

٧٢ — النكت فى اعجاز القرآن . الرمانى .

٧٣ — نهاية الايجـــاز فى دراية الاعجـــاز — الرازى . ت بكرى شـيخ أمين .

٧٤ — الوســاطة بين المتنبى وخصــومه — القاضى الجرجــانى . ت أبو الفضل والبجاوى .

٧٥ — يتيمة الدهر — الثعالبى . ت محيى الدين .

* * *

محتـــويات الكتـــــاب

مقـــــدمة : ٣ ــ ٥ •

تمهيـــــد : البديع نشأته وتطوره : ٧ ــ ٢٩ •

الفصل لأول : فنون التناسب : ٣١ ــ ١٢٥ •

الطباق : ٣٣ ــ بلاغته : ٥٠ ــ المقابلة : ٥٣ ــ بلاغتها : ٦٤ ــ مراعاة النظير : ٦٩ ــ بلاغتها : ٨٤ ــ الارصاد أو التسهيم : ٩١ ــ بلاغته : ٩٣ ــ المزاوجة : ٩٧ ــ بلاغتها : ٩٩ ــ السجع : ١٠١ ــ الفواصـل القرآنية : ١٠٨ ــ بلاغة السجع : ١١٠ ــ مواضـع التأنق : ١١٤ ــ حسن الابتداء : ١١٤ ــ فواتح السور : ١١٨ ــ حسن التخلص : ١١٩ ــ حسن الانتهاء : ١٢٣ ــ خواتم السور : ١٢٥ •

الفصل الثانى : فنون التخييل والايهام : ١٢٧ ــ ٢٢٠ •

التورية : ١٢٨ ــ بلاغتها : ١٣٧ ــ المشاكلة : ١٤١ ــ بلاغتها : ١٤٩ ــ حسن التعليل : ١٥٠ ــ بلاغته : ١٦٠ ــ التجريد : ١٦٤ ــ بلاغته : ١٧٩ ــ تأكيد المدح بما يشبه الذم : ١٨٤ ــ تأكيد الذم بما يشبه المدح : ١٩١ ــ بلاغة هذين اللونين : ١٩٤ ــ الجناس : ١٩٧ ــ الجناس التام : ١٩٧ ــ الجناس غير التام : ٢٠٣ ــ ألوان من الجناس : ٢١٣ ــ بلاغة الجناس : ٢١٦ •

الفصل الثالث : فنون الاجمال والتفصيل ٢٢١ ــ ٢٥٦ •

اللف والنشر : ٢٢٢ ــ بلاغته : ٢٢٨ ــ الجمع : ٢٣١ ــ بلاغته : ٢٣٣ ــ التفريق : ٢٣٥ ــ بلاغته : ٢٣٨ ــ التقسيم : ٢٣٩ ــ بلاغته : ٢٤٤ ــ الجمع مع التفريق : ٢٤٨ ــ الجمع مع التقسيم : ٢٥١ ــ الجمع مع التفريق والتقسيم : ٢٥٤ ــ بلاغة الفنون المزدوجة : ٢٥٥ •

الخاتمة : مكانة البديع بين علوم البلاغة : ٢٥٧ ــ ٢٦٦ •

المراجـــــع : ٢٦٧ •

الفهـــــرس : ٢٧١ •

للمؤلـــف

الكتب :

١ ـ مع النظم القرآنى فى سورة النور • توزيع دار المعارف •
٢ ـ ابحث البلاغى فى ظلال القرآن الكريم • توزيع دار المعارف •
٣ ـ المعركة النقدية بين ابن وكيع والمتنبى • توزيع دار المعارف •
٤ ـ خصائص النظم القرآنى فى قصة ابراهيم عليه السلام • مكتبة وهبـــة •
٥ ـ بحوث فى البلاغة والنقد • مكتبة وهبـــة •
٦ ـ مقاييس البلاغيين فى فصاحة الكلمة • مكتبة وهبة •
٧ ـ دراسات منهجية فى علم البديع •

البحـــوث :

١ ـ الأمر عن طريق الاستفهام • مواقعه وأسراره فى القرآن الكريم مجلة الأزهـــر •
٢ ـ ابن المعتز وكتابه « البديع » • مجلة كلية اللغة العربية بدمنهور •
٣ ـ اللفظ القرآنى ومقاييس الفصاحة • مجلة كلية اللغـــة العربية بدمنهـــور •
٤ ـ التقديم والتأخير بين عبد القاهر والمتأخرين • مجلة كلية اللغـــة العربية بدمنهور •

تحت الطبع :

١ ـ ابن طباطبا العلوى وجهوده البلاغية والنقدية • رسالة ماجستير •
٢ ـ البلاغة القرآنية فى تفسير أبى السعود • رسالة دكتوراه •

رقم الايداع : ٢٨٤٠/١٩٩٤

دار خفاجى للطباعة والنشر ـ كفر شبين قليوبية تليفون : ٧٠٠٣٣٤ / ٠١٣

